

مجلة المجمع العلمي

فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الثالث ــ المجلد السادس والستون

١٤٤١هـ ــ ٢٠١٩م

(شروط النشر وضوابطه)

١.تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .
٢.لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .
٣.يشترط في البحث أن لا يكون قد نشر أو قدم للنشر في مجلّة اخرى ورفض لعدم صلاحيته او انه مسروق .
٤.تعرض البحوث المقدّمة للنشر في المجلّة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .
٥.هيئة تحرير المجلّة غير ملزمة برد البحوث الى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر.
٦.لاتنشر المجلة الدراسات السياسية التي تمس كيانا معينا اوتنظيما خاصا .
٧.لاتنشر المجلة البحوث الدينية التي تمس العقائد لان هذا مجال نشره المجلات الخاصة .
٨.لاتنشر المجلة بحوثا تتحدث عن الفساد لاي من الموسسات .
٩.لاتنشر المجلة بحوثا مضطربة اللغة والاسلوب ولايمكن اصلاحها .
١٠.يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات الاتية :

أ ان يكون مطبوعا على الحاسوب ومخزونا على قرص CD ومرفق (٢) بنسخة ورقية – وينضد على word 2007 (واستخراج الهوامش من word مراجع نافذة حواشي سفلية – علامة مخصصة) ويتم ترقيم هامش البحث حسب التسلسل (١) (٢)....... الخ .

ب ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل إسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

ت يجب أن لايزيد عدد الصفحات على (٣٠) ثلاثين صفحة .

ث أن يكون مستوفيا للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقا تاما حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

ج. يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو صور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار إلى المصدر إذا كانت مقتبسة .

ح. يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

خ. ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربيا .

١١.يعطى صاحب البحث (عند نشره) ثلاث نسخ من المجلّة مع خمس مستلات من بحثِهِ .

البحوث لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

توجه البحوث والمراسلات الى رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي

الاشتراكات : داخل العراق (٢٠٠٠٠) الف دينار سنويا . iraqacademy@yahoo.com

خارج العراق (١٠٠) دولار امريكي سنويا . journalacademy@yahoo.com

الهيئة الاستشارية

محتويـــات

الجزء الثالث / المجلد السادس والســتون

افتتاحيــة

احتلَّ التـاريخُ – ولا يـزالُ حتّـى يومِنَـا هـذا – حيِّزًا مهمًّا فـي العقلِ الجمعـيِّ للمجتمعـاتِ المتنوعـة ، فـالفرد النَّـاجحُ هـو الـذي يمتلـكُ أدواتٍ جيـدةً يحسنُ استخدامها بشكلٍ منظَّمٍ ، وهذه الأدواتُ يتمُّ اكتسابُها عن طريق تتبُّعِ الخبرات والثقافات السابقة التي حفظها التاريخ سواءٌ أكانَ ذلكَ بقصد أم من غير قصد من أجلِ الوصولِ الى الحقيقة .

قـد لا نُجانِـبُ الصـوابَ إذا قلنـا : إن الحـسَّ التـاريخيّ موجـودٌ عنـد الإنسان بالفطرة ، وهوَ معروفٌ قبلَ التدوين ، فمن الطبيعي جدًا أنَّ الإنسانَ الأول كـان يقصُّ علـى أولاده وأحفاده عصـارة تجاربـهِ وأفكـاره والأحداث التـي مرَّ بها فـي حياتـهِ ، أي : ينقلُ ثقافات مَنْ سبقوه نقـلًا عن آبائـه وأجدادهِ ، وهذا يدخل في باب الرواية الشفويَّة البدائيَّة ، رافق ذلك أنَّ هذا الإنسان كان يُخربشُ بالرسمِ على الجدرانِ المحيطة بهِ أو الصخور التي تصادفه ؛ ليصوِّرَ كثيرًا من جوانب حياته اليومية ، ويسجل خضوعَهُ لأشياء لا يفهمُ كنهها ومِنْ ثَمَّ فهو يخشـاها ، وكانـت هذه المخربشـات بدائيَّـةً ، مفيـدةً للآثـاريّ واللغـويّ والمـؤرِّخ فـي الوقـت الحاضـر ، فهـي تـوحي بوجـود شـعور بالـذات والمحـيط والزمن الـذي يفضـي إلـى الـوعي التـاريخيّ ، فإذا أردت "... أنْ تكون مؤرِّخًا يجـب عليـك فـي أول الأمـر أن تكـون مـؤرِّخَ نفسـك ..." وفِـي ضـوء ذلـك عـرّف التـاريخَ ، مؤسِّـسُ التـاريخِ الفرنسـيّ الحـديث المـؤرِّخُ لوسـيان فيفـر (lucien Fevbre) (١٨٧٨–١٩٥٦م) سنة (١٩٤٧م) بأنَّـه : " الحاجة التـي تشـعر بهـا جماعـة بشرية ، فـي كل لحظـة من تطورهـا ، للبحـث فـي

الماضي ، وإبراز الوقائع والأحداث ، والتطلُّعات التي تُهيّء الزمنَ الحاضرَ ، وتسمحُ بفهمه ، وتُساعدُ على الحياة فيه " وهذا التعريف يعبِّرُ عن الاتجاه النفسي للإنسان ، فنحن نتفق مع رأيهِ بأنَّ مصطلحَ (عصور قبل التاريخ) يمكنُ الاستعاضةُ عنه بمصطلح (عصور قبل الكتابة أو التَّدوين) ؛ لأنَّ التاريخَ بدأ مع الإنسان وبَقيَ ملازمًا له ، وأنَّ أولَ وثيقة تأريخية كانت مُدَوَّنَةً علَى ألواحٍ حجريَّة ، عَلَى أَنَّ ميزةَ عصور مَا قبل الكتابة تَتَّسِمُ بأنَّها دراساتٌ تاريخيَّةٌ في الحضارةِ الإنسانية ، فمثلا : الأختام الاسطوانية ، تعطينا صورةً اخبارية رمزيَّة عن أفكارِ الإنسان آنذاك ، أمَّا العصور الكتابيَّة فهي عصورُ التَّدوين والتَّوثيق ، إذ أخذَ الإنسانُ يُعبِّرُ عن نفسهِ ومشاعره وأفكاره بشكلٍ واضحٍ ، فكانت الكتابةُ هيَ الوسيلةَ لحفظ نشاطات الإنسان وإنجازاته ؛ ليقدِّمها بعد ذلك للأجيال اللاحقة ، على شكل علوم متنوعة حُفِظَتْ في مُسَجِّل التجربة البشرية (علم التاريخ) ، فالتاريخ : هو أقدم العلوم الإنسانيه زمنيًّا ، على رأي روبير ماندرو (Robert Mandro) أحد روّاد علم النفس التارِيخي ، وهو الذي حفظ إرث العلوم الأخرى التي أنتجها الإنسان على مَرِّ العصور.

وفِي بداية ظهور الكتابة ، ظهر التدوين التاريخيّ الأسطوريّ ، وهو سِجِلٌّ لِما يقومُ بهِ الحُكَّامُ والملوكُ ، بأمرٍ من الآلهةِ الَّتي تفرضُ عليهم ما ينبغي أن يقوموا بهِ من أفعالٍ ، ويُسَمِّي عالِمُ الآثار البريطاني روبن جورج كولينجوود (Collingwoo) وهو فيلسوفٌ ومؤرِّخٌ أيضًا (١٨٨٩-١٩٤٣م): هذا التاريخَ بـ (شِبه التاريخ) ؛ لأنَّه يفتقر إلى بعض التمحيص ، وبعدها ظهرت كتابات متنوعة تُنبىء عن تاريخها ؛ لأنَّ الكتابة التاريخية ليست

كتابةً في اللا زمان ، بل الغاية منها الوقوف على تفاصيل الصيرورة ، ورسم معالم التطوُّر بتنوُّعها وتداخُلِها وتناسُبِها ، واستِحْضار الماضي بكلِّ ما اتَّصفت به ، ولا يَخفَى أنَّ العراقيين هم أول من دوّن التاريخ وتشهد على ذلك: ألواح سومر وأرشيف لكش وماري ...وكانت للكتابة مكانةٌ كبيرةٌ عند العراقيين القدماء وقدسية ؛ إذ خُصِّصَت لها آلهةٌ أُطلِقَ عليها اسم : نيسابا (Nisaba).

والحديثُ عن الكتابةِ , وأهميّتِهَا ومكانتِها عند الشّعوبِ ولا سيمَا عند العراقيّينَ حديثٌ يَطولُ ، ولكن ما نريدُ التّأكيدَ عليهِ أنَّ العالَمَ مهما تطوَّرتْ أدواتُهُ وتقاناتهُ الرّقميَّة ستبقَى بهِ حاجةٌ إلَى الكتابةِ ولا يمكن أن يستَغنيَ عنهَا أو عن الوسيطِ الورقيِّ الّذي سيبقَى حاجةً مُلِحَّةً لكلِّ الباحثينَ وطلبةِ العلمِ .

بينَ أيدي الباحثينَ الكرام نضعُ الجزءَ الثّالثَ من المجلَّدِ السّادسِ والسّتينَ من مَجَلَّةَ (المجمع العلميّ العراقيّ) وبينَ طَيَّاتِهِ مجموعةٌ من البحوث والدراساتِ القيِّمة لباحثينَ عراقيّينَ خَطُّوا بكتاباتِهم شَتَّى ألوانِ المعرفةِ والثّقَافةِ والدّراسَاتِ الإنسانيَّةِ والعلميَّة ؛ لكي يُبرهنوا للعَالَمِ أَنَّ الكتابَة وُلِدَتْ في العراقِ وستظلُّ باقيَةً في أحلكِ الظّروفِ ، وسيبقَى البَاحِثُ العراقيُّ مُبدِعًا في كتاباتِهِ وفي أفكارِهِ .

الأستاذ الدكتور

جواد مطر الموسوي

مدير التحرير

عماد عبدالسلام ...
بحر زاخر لا ساحل له

الأستاذ الدكتور
جواد مطر الموسوي[١]

الملخص :

يسلط البحث الاضواء على شخصية ثقافية وعلمية مهمة هو الاستاذ الدكتور عماد عبد السلام ، الذي له اسهامات كبيرة ومهمة في كتابة التاريخ الحديث ولا سيما التاريخ العثماني ، وسجل حضور واضح بين زملاء عصره من المؤرخين وبرز من بينهم ، كما اهتم بتحقيق المخطوطات العلمية والتاريخية والمذكرات الشخصية ، واهتم بكتب الانساب ودققها وحققها ، كتب بحوث كثيرة ومقالات صحفية تاريخية نشر في حينها في النصف الاخير من القرن العشرين وظهر في الاعلام المسموع والمرئي ، كذلك حقق كثير من المواقع الاثارية والمراقد وقبور العلماء وبذلك كان بحر زاخر لا ساحل له .

قرأتُ في النصف الثاني من سبعينيات القرن الماضي قبل أن أكونَ مُختصًّا بعلم التاريخ وَمُلِمًّا بدقائِقِه ، وعند قبولي في قسم التاريخ جامعة البصرة ، وجدت اسمهُ يتداول بين أساتذتي في القسم ؛ ومنهم : تدريسيّو

---

[١] رئيس اللجنة العلمية في المجمع العلمي العراقي .

التـاريخ الحـديث آنـذاك مـن أمثـالِ الـدكتور يقظـان سـعدون العـامر[٢] الّـذي استشـهد سنة (٢٠٠٧م) فـي بغداد جراء انفجار فـي شارع الرشيد ، والـدكتور خليل علي مراد[٣]

---

[٢] ولد سنة (١٩٥٥م) ؛ أكمل دراسته بدار المعلمين العالية ، وحصـل علـى (الـدكتوراه) فـي (التـاريخ الأوربـي الحـديث) مـن جامعـة لنـدن ؛ وهـي أكبـر جامعـة تقليديـة فـي بريطانيا ؛ درّس في مدارس وزارة التربية ثم في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في جامعتي البصرة وبغداد وفي الجامعات الليبية ؛ قال عنهُ الأستاذ حميد المطبعي في موسوعته (أعلام العراق في القرن العشرين) التي تقع في ثلاثة أجزاء والمطبوعة فـي بغـداد فـي أواسـط عقد التسـعينيّات مـن القـرن العشـرين : إنـه باحـث كبيـر فـي التاريخ ؛ كتب عنه الدكتور جون كيلي الأستاذ البريطـاني المتخصـص بتاريخ الخليج العربـي الحـديث ؛ وكتـب عنـه الأستاذ الـدكتور أحمد عبد الرحيم مصـطفى وهـو مـن أبـرز أسـاتذة التـاريخ الحـديث فـي جامعـة القـاهرة ، مـن كتبـه : نشـاط شـركة الهنـد الشرقية الانكليزيـة في البصرة (البصرة : جامعة البصرة ، ١٩٩٠م) ؛ وخصـوصـيات اسـتعمار الجمهوريـة الفرنسـية الثالثـة (١٨٧٠-١٩١٤م) (بغـداد : مكتبـة عـدنان للطباعـة ، ٢٠١٤م) ؛ ونشـاط شـركة الهند الشرقية الإنكليزيـة في البصـرة (البصـرة : مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٩٠م) ؛ وغيرها من المؤلّفات .

[٣] (ولـد فـي كركـوك ١٩٥٠م) أسـتاذ فـي قسـم التـاريخ – كليـة الآداب/ جامعـة صـلاح الـدين ، حصـل علـى بكـالوريوس تـاريخ – كليـة الآداب/ جامعـة بغـداد (١٩٧٣م) وماجستير(١٩٧٦م) ودكتوراه (١٩٧٩م) تاريخ حديث من كلية الآداب نفسها/ جامعة بغـداد ، عنـوان رسـالة الماجسـتير : تـاريخ العـراق الإداري والاقتصـادي فـي العهـد العثمـاني الثـاني ١٦٣٨- ١٧٥٠م ، وعنـوان أطروحـة الـدكتوراه : تطـور السياسـة الأمريكيـة فـي منطقـة الخليج العربـي ١٩٤١-١٩٤٧م ، لـه أكثـر مـن كتـاب وبحـث مؤلـف ومتـرجم ؛ منهـا : الكتـب المنشـورة : تطـور السياسـة الأمريكيـة فـي الخلـيج العربـي ١٩٤١-١٩٤٧م (البصـرة : ١٩٨٠م) ؛ ودراسـات فـي تـاريخ الخلـيج العربـي

الحديث والمعاصر (البصرة : ١٩٨٤م) بالاشتراك مع مصطفى النجار وآخرين ؛ ومصادر التسلح الإيراني (١٩٤٦-١٩٨٥م) (البصرة : ١٩٨٦م) بالاشتراك مع عبدالجبار ناجي ؛ وتركيا المعاصرة (الموصل : ١٩٨٨م) بالاشتراك مع ابراهيم خليل احمد وآخرين ودراسات في التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر (الموصل : ١٩٨٨م) بالاشتراك مع جبار قادر غفور وجاسم محمد العدول ؛ وقضايا عربية معاصرة (الموصل : ١٩٨٩م) بالاشتراك مع طالب محمد وآخرين وإيران وتركيا : دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر (الموصل : ١٩٩٢م) بالاشتراك مع ابراهيم خليل أحمد ؛ والكرد وكردستان في كتاب " جهان نُما " لكاتب جلبي (١٦٥٧ – ١٦٥٩م) (أربيل : الأكاديمية الكردية : ٢٠١٣م) بادينان في سالنامات ولاية الموصل (١٣٠٨-١٣٣٠هـ/ ١٨٩٠-١٩١٢م) (أربيل : الأكاديمية الكردية ، ٢٠١٣م) بالاشتراك مع عبد الفتاح علي يحيى ؛ ومن الأرشيف العثماني : دفتر مُفصّل واجمال ولاية أربيل (٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م) (أربيل : الأكاديمية الكوردية ، ٢٠١٥م) ؛ وصفحات من تأريخ الكورد وكوردستان الحديث في الوثائق العثمانية (١٨٤٠-١٩١٥م) (أربيل : الاكاديمية الكوردية ، ٢٠١٥م) بالاشتراك مع عبد الفتاح علي يحيى ؛ وحُرّاس الأتاتوركية : موقف المؤسسة العسكرية من الإسلام والحرا ك الإسلامي في تركيا (١٩٥٠-١٩٩٧م) (عمان : دار غيداء للنشر ، ٢٠١٦م) ومن الكتب والبحوث المترجمة : مكلورن وآخرون ، دراسات سياسية عن الخليج العربي (البصرة : مركز دراسات الخليج العربي ، ١٩٨٣م) ؛ برهان أبا بكر ياسين ، كوردستان في سياسات القوى العظمى (١٩٤١-١٩٤٧م) (دهوك : ٢٠٠٢م) ؛ لينور مارتن ، الأمن القومي التركي في الشرق الأوسط (الموصل : مركز الدراسات الإقليمية ، ٢٠٠٥م) ؛ الكتب المترجمة من التركية : اسماعيل حقي أوزون جارشلي ، أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (البصرة : ١٩٨٥م) وصدرت طبعة ثانية منه في (بيروت : ٢٠٠٣م).

والدكتور جهاد صالح العمر[٤].

عماد عبد السلام من الباحثين الرواد في التاريخ الحديث ، تفوق على معاصريه بغزارة نتاجه العلمي والثقافي ، ازدادت معرفتي به أكثر عندما كنت أقتني مصادر المواد الدراسيَّة ومراجعها التي كنت أدرسها أو أعمل لها بحوثًا أو وريقات بحثية ؛ من مثل : كتابه ولاية الموصل في العهد العثماني،

---

[٤] المؤرخ البصري ؛ قال عنه أخوه الأكبر أستاذ التاريخ الحديث في جامعة البصرة الدكتور فاروق صالح العمر ؛ بتاريخ (١٧/ ٩/ ٢٠١٧م) : (ولد في أبي الخصيب / البصرة سنة ١٩٤١م) أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة فيها ، أكمل الدراس الثانوية في ثانوية البصرة الفرع الأدبي ، التحق بكلية التربية جامعة بغداد ، عين بوظيفة مدرس في متوسطة التحرير في العشار ، وحصل على زمالة دراسية من هنغاريا ونال درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث ، عاد الى جامعة البصرة كلية التربية ، انتمى إلى حزب البعث وأصبح عضو فرع البصرة ، ثم نقل الى محافظ ذي قار ، قتل سنة ١٩٩١م)) (الظالميّ ، محمد ساجت محول ، فاروق صالح العمر : سيرته ونشاطه الوظيفي ودوره السياسي ومنهجهُ في التاريخ الحديث والمعاصر حتى عام ٢٠١٨م ، رسالة ماجستير غير منشورة (المثنى : جامعة المثنى- كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ٢٠١٨م ، ص ١٧) في اثناء الانتفاضة الشعبانية ، ومن المناصب الإدارية التي تولاها : مدير مركز الدراسات الايرانية بجامعة البصرة .آخر رسالة أشرف عليها : لطالب الماجستير ياسين طه ياسين ، وعنوانها : البصرة دراسة في الاحوال الاقتصادية والسياسية بين عامي (١٩٣٢-١٩٣٩م) ؛ من كتبه : العلاقات الايرانية – السوفيتية بين ١٩١٧-١٩٤١م) (البصرة : مركز الدراسات الإيرانية ، ١٩٩٠م) بالاشتراك مع عودة سلطان عودة ؛ واشترك مع : أسعد محمد زيدان الجواري ، إيران في عهد رضا شاه بهلوي (١٩٢٥-١٩٤١م) (البصرة : مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٩٠م).

فتـرة الحكـم المحلـي[٥] والحـدود الشـرقية للـوطن العربـي[٦] مـع مجموعـة مـن البـاحثين ؛ وإيـران بمنظـور تـاريخي[٧] وكتابـه : لمحـات مـن تـاريخ العرب الحديث الصادر[٨] من منظمة العمل العربية[٩] (Arab Labor Organization) وكتابه : معركة عين جالوت[١٠] وإمارة بني كعب العربية في القرن الثامن عشر في ضوء الوثائق البريطانية[١١] بالاشتراك مع الدكتور علاء موسى كاظم نورس [١٢] ، وغيرها.

---

[٥] (النجف الاشرف : مطبعة الآداب ، ١٩٧٥م) .

[٦] (بغداد : دار الحرية ، ١٩٨١م) .

[٧] (بغداد : دار الحرية ، ١٩٨٢م)

[٨] (بغداد : ١٩٨٣م).

[٩] منظمة أنشأتها جامعة الدول العربية سنة (١٩٦٥م) وكان مقرها في بغداد ثم في مدينة الجيزة في مصر.

[١٠] (بغداد : دار الحرية ، ١٩٨٦م) .

[١١] (بغداد : دار الحرية ، ١٩٨٢م) .

[١٢] (ولد في بغداد سنة ١٩٤٦م) ، هو ابن المؤرخ والمترجم من اللغة التركية الأستاذ موسى كاظم نورس ، قال عنه المؤرخ الأستاذ الدكتور إبراهيم خليل العلاف : من مؤلفاته فضلا عن كتابيه :"حكم المماليك في العراق (١٧٥٠-١٨٣١م) وهي رسالته للماجستير التي قدمها الى كلية الآداب/ جامعة بغداد ، سنة (١٩٧٣م) وطبعتها وزارة الاعلام - بغداد سنة (١٩٧٥م) واطروحته للدكتوراه التي طبعتها دار الرشيد ببغداد سنة (١٩٧٩م) بعنوان : العراق في العهد العثماني :دراسة في العلاقات السياسية (١٧٠٠-١٨٦٩م) وهي بالأصل تحت عنوان : الصراع العثماني - الفارسي على العراق في القرن الثامن عشر ؛ وقدمها الى كلية الآداب - جامعة القاهرة سنة (١٩٧٨م) ؛ ومن كتبه : أحوال بغداد في القرنين الثامن عشر والتاسع

وبعد قبولي في الدراسات العليا (الماجستير) في حقبة الثمانينيّات ، أخذت اهتم بالمناقشات العلمية ، فحضرت له بعضها ، ثم التقيت معه في اتحاد المؤرخين العرب(١٣) عندما كان مقره في الكريعات في بغداد ، واطَّلعت على بعض بحوثه في مجلة : المؤرخ العربي وآفاق عربية الصادرة من وزارة الإعلام/ بغداد.

لكن اللقاء المهم معه ، كان في بداية تسعينيّات القرن الماضي ؛ عندما كنت تدريسيًا في كلية التربية والآداب/ جامعة القادسية(١٤) ، واروم البحث والتحقيق الجغرافي عن موقع (قديس) أو مدينة القادسية ، لتأليف كتابي الأول : أضواء جديدة على موقع مدينة القادسية (١٥) وكان لقائي معه في غرفة رئيس قسم التاريخ – كلية التربية/ جامعة بغداد ؛ وعرضت عليه ما توصّلت له لبيانِ رأيهِ في ذلك ، وهو الخططي العارف والمهتم في الجغرافية

عشر ١٩٨٠م ؛ وثورة ١٤ تموز في تقارير الدبلوماسيين البريطانيين والصحافة العربية ١٩٩٠م ؛ ولمحات من تاريخ الحركة القومية العربية ١٩٩٦م ؛ السياسة الايرانية في الخليج العربي ابان عهد كريم خان الزند ؛ وبغداد في رحلات الأجانب ؛ والجامعة العربية في تقارير الدبلوماسيين البريطانيين ؛ ومسؤولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية.

(١٣) مؤسسة تابعة لجامعة الدول العربية مهتمة بالتاريخ العربي ، تتبعها عدة مؤسسات ، تأسس هذا الاتّحاد في بغداد سنة (١٩٧٣م) أول رئيس له كان الدكتور حسين أمين (ت ٢٠١٣م) ، وبعده الدكتور مصطفى عبد القادر النجار ، ويرأسها في الوقت الحالي الدكتور محمد جاسم المشهداني .

(١٤) (تأسست سنة ١٩٨٧م) في محافظة الديوانية .

(١٥) (بغداد : اتحاد المؤرخين العرب ، ١٩٩٩م) .

والجغرافية التاريخية وجغرافية المدن ، وله اكثر من صولة في طيات كتبه ؛ ومنها : تحقيقه كتاب شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري (ت : ٧٤٩هـ) الجزء (٢٢) من موسوعته : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار[١٦] وكتاب : جغرافيا ابن البيطار[١٧] وكتاب : هيت في التاريخ[١٨] وكتاب : العقد اللامع في آثار بغداد والمساجد والجوامع لعبد الحميد عبادة دراسة وتحقيق[١٩] ، ثم بعد ذلك كتابه المهم : الأصول التاريخية لأسماء محلات بغداد ، الّذي أصدَرتهُ أمانة بغداد[٢٠] وعلى الرغم من رداءة الطباعة وكثرة الأخطاء الطباعية إلا أنه يُعَدُّ من المصادر المهمة عن تاريخ بغداد وتحقيق معالمها الجغرافية ونعتقد أنَّ معظم الباحثين الذين جاؤوا بعده كانوا عيالًا عليه سواء أذكروا ذلك أم لم يذكروه ، وكعادته المعهودة عنه تناقشَ معي بأسلوب علميٍّ جميل على الرغم من علو كعبه العلمي آنذاك وأنا في بداية مشواري البحثي في مجال التاريخ ، وقد أوصاني بجملةٍ من الوصايا العلميَّة والمعرفيَّة من أهمّها أن أكون منتجًا علميًّا في كل المجالات الثقافية التي لي القابلية للخوض فيها من أجلِ التوصُّل إلى نتائج تفيد المجتمع ، كما أشار الى شيء جديد لم اتنبّه اليه متصوّرًا أنَّه ليس ضمن مجاله العلمي ؛ هو الإشراف على تحقيق المخطوطات في مركز

---

[١٦] (أبو ظبي : المجمع الثقافي ، ٢٠٠٥م).
[١٧] (القاهرة : المكتب العربي للمعارف ، ٢٠١٥م).
[١٨] (بغداد : ٢٠٠٤م)..
[١٩] (بغداد : مطبعة أنوار دجلة ، ٢٠٠٤م).
[٢٠] (بغداد : ١٩٩٤م).

إحياء التراث العلمي العربي[٢١] ، فضلًا عن اهتمامه الواسع في متابعة تحقيق المخطوطات ، بل يعدّ من الروّاد في هذا المجال وقدّم دراسة مهمة للمحققين ، ولاسيما عن منهجية تحقيق المخطوطات العلمية ؛ وهي بعنوان (تحقيق المخطوطات العلمية)[٢٢] ، ففي سنة (١٩٧٤م) نشر أول كتاب محقَّق له هو : زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية[٢٣] للشاعر والمؤرخ ياسين خيرالله الخطيب العمري (١١٥٨-١٢٣٥م) وهو فصل ما جمعه داود الجلبي من كتاب العمري : الآثار الجلية في الحوادث الأرضية ، عن تاريخ الموصل من سنة (٦٢٩هـ/ ١٢٣١م) حتى عصر المؤلف العمري ؛ وشمل : وقائع التتار واستيلاء الشاه الصفوي عباس الأول (١٥٨٨-١٦٢٩م) على الموصل وقدوم السلطان العثماني مراد الرابع (١٠٣٢-١٠٤٩هـ/١٦٢٣-١٦٤٠م) اليها والسيطرة عليها وأحوال ولاة آل عثمان الذين حكموا الموصل فضلًا عن أخبار ولاية بغداد والعلاقات بينها وبين ولاية الموصل.

وكان الدكتور عماد عبد السلام قد استفاد من هذه المخطوطة عند إعداد رسالته للماجستير في التاريخ الحديث الموسومة : ولاية الموصل في

---

[٢١] تأسس سنة (١٩٧٧م) يتبع جامعة بغداد ، يسعى إلى تجميع التراث العلمي العربي والإسلامي في مكتبة خاصة تضم المخطوطات والرسائل التي لَمّا تنشر بعد والدراسات لتكون في متناول ايدي الباحثين والمهتمين بشؤون التراث العلمي العربي ويضم الأقسام الآتية (قسم العلوم الاجتماعية وخدمة المجتمع ، قسم المخطوطات ، قسم العلوم الصرفة).

[٢٢] (بغداد : ٢٠٠٦م).

[٢٣] (النجف الاشرف : مطبعة الآداب ، ١٩٧٤م).

العهـد الجليلـي[٢٤] (١٧٤٩-١٨٣٤م) المجـازة مـن جامعـة القـاهرة سنة(١٩٧٣م) والحقيقة أن الدكتور عماد عبدالسلام مولع بهذه الحقبة في أثناء دراسته العليا ويمكن القولُ : إنَّ أطروحته للدكتوراه ، كانت ضمن المدة نفسها مع فارق ضئيل اَي من(١٧٥٠-١٨٣١م) على أنهّ قد تحدَّثَ فيها عن الأحوال الاجتماعية للعراق وليس ولاية واحدة في عهد المماليك .

وبعد سنة (١٩٧٤م) نشر الدكتور عماد عبدالسلام كتاب : الدرر المنظومة والصرر المختومة[٢٥] للأديب البصير خليل بن علي بن إسماعيل من أسرة آل الفخري والملقب بـ (خليل البصيري) (١١١٢-١١٧٦هـ/ ١٧٠١-١٧٦٢م) وهي أرجوزة في النحو ، وله أخرى اسمها : الملحمة في

---

[٢٤] الجليلي (بني عبد الجليل)عائلة سيطرت على ولاية الموصل منذ بداية القرن الثامن عشر حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، تنتسب إلى جدهم عبد الجليل الذي كان مملوكا لحكام ولاية الموصل العثمانيين ، لكن بعد مدة من الزمن أصبحت لإسماعيل بن عبدالجليل مكانة عند العثمانيين ، وترقى حتى أصبح واليا على الموصل سنة (١١٣٨ه/ ١٧٢٦م) وجاء بعده حسين باشا الجليلي بن إسماعيل (١١٤٣هـ/ ١٧٣١م) الذي ردّ محاولة مؤسس الدولة الافشارية نادر شاه (١٧٣٦-١٧٤٧م) للسيطرة على الموصل سنة (١١٥٥هـ/ ١٧٤٣م) ، لم تتوقف سيطرة العائلة على ولاية الموصل فحسب بل أصبح بعض أفرادها ولاة لولايات عثمانية مجاورة ، أبعدت عائلة الجليلي عن الحكم في عهد محمد امين باشا بن الحاج عثمان بك الجليلي (١٢٤٥- ١٢٥٠هـ/ ١٨٢٩-١٨٣٤م) استمر نفوذهم الاقتصادي في العراق حتى نهاية العهد الملكي (١٣٧٧ه /١٩٥٨م).

[٢٥] مجلة (المجمع العلمي العراقي) مج : ٢٥ (بغداد : المجمع العلمي العراقي ، ١٩٧٤م).

وصف حصار الشاه الصفوي نادر شاه للموصل سنة (١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م) وهي باللغة العربية .

وتربو المخطوطات التي حققها العلامة عماد عبدالسلام على أكثر من أربعين مخطوطا جلها في التاريخ الحديث ، سلّط فيها الأضواء على حقبة التاريخ الحديث ، تفيد القارئ والدارس من الباحثين وطلبة الدراسات العليا ، وآخر مخطوطتين قام بتحقيقهما هي مخطوطة : تذكرة المتقين ، وهي مخطوطة نادرة محفوظة في المكتبة الوطنية الفرنسية / باريس وربما هي مخطوطة (شهاب الدين أبو الهدى أحمد بن عبد المنعم الواسطي المعروف بالسهريسي) ، وعنوان المخطوط الكامل هو : تذكرة المقتفين آثار أولي الصفا وتبصرة المقتدين بطريق السيد تاج العارفين أبي الوفا ، فرغ منها سنة (٧٧٧هـ) ، كما ذكر إسماعيل البغدادي في ترجمته له[٢٦] وقد شاركه في التحقيق زميل له في جامعة دهوك ، وهذه المخطوطة تسلط الضوء على حقبة مهمة من تاريخ التصوف في العراق وانتشاره من القرن السادس حتى القرن الثامن للهجرة ونشرتها الأكاديمية الكردية[٢٧] وصدرت من جامعة

---

[٢٦] هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المنصفين ، ترجمة رقم (٧٦٣).

[٢٧] يعتقد انها استمرار لفرع المجمع العلمي الكردي التابع للمجمع العلمي العراقي ، الذي اقره مجلس قيادة الثورة المُنحلّ في العراق بالقرار ذي الرقم (٩٩٦) لسنة (١٩٧٠م) ، ونصت (المادة الأولى) على ما يأتي : (ضرورة أن ينشأ في العراق مجمع علمي كردي كفرع من المجمع العلمي العراقي ، وحددت (المادة الثانية) مكان المجمع في بغداد وتعقد اجتماعاته فيه ، بينما تأسست الاكاديمية الكردية بتاريخ (٢٠٠٧/٧/١٢م) في مدينة أربيل ، من لجنة تألفت من : شفيق قزاز وكمال فؤاد وكمال مظهر وعبد الرحمن معروف وعز الدين مصطفى رسول وعبد الفتاح بوتاني

صلاح الدين[٢٨] ، وفي السنة نفسها نشر مخطوطة أخرى[٢٩] ، هي : نزهة الأدباء في تراجم علماء ووزراء وأشراف مدينة السلام الزوراء[٣٠] وفيها حديثٌ عن تراجم لمجموعةٍ من أعلام العراق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للهجرة ، وتكشف هذه التراجم عن صفحات مطوية من تاريخ العراق في حقبة مهمة من تاريخ العصر العثماني وتنفرد بكثيرٍ من المعلومات غير المعروفة سابقًا ، وتضمنت تراجُمَ الموسيقيين أيضًا ، وقرّاء المقام ، فكان المحقق عماد عبدالسلام يقدم صورة متحركة مفعمة بالحيوية والمواقف عِبْرَ نشاطاتها في مجتمعها ، بعضها بعبارات مسجوعة بأسلوب خالٍ من المحسنات والتكلف ، كتبها أبو نافع محمد أمين بن عبد الرحمن العباسي السهروردي (ت : ١٣١٢هـ) وهو أحد علماء بغداد المشهورين بالعلم والأدب ، وكان شاعرًا عارفًا لطيفًا مُنقِّبًا حسن المطارحة ، ذا براعة ومهارة فائقة كما له اليد الطولى في ميدان مبارزة العلماء ، وترجم له الشيخ محمد صالح بن سليم السهروردي ، وذكر أنَّ السبب في عمارة جامع الإمام أبي حنيفة النعمان (رض) هو محمد أمين السهروردي الذي رغّب الوالي في عمارته ، كما انه هو الذي وضع خارطة البناء بهذا الشكل حتى الوقت الحاضر ، وأشرف على تنفيذها.

ومحمد ملا كريم ورشيد فندي ومحمد علي قره داغي وجمال عبدول ومحسن محمد حسين.

[٢٨] (أربيل : مطبعة جامعة صلاح الدين ، ٢٠١٦م).

[٢٩] (دمشق : دار الزمان للطباعة والنشر ، ٢٠١٦م).

[٣٠] (دمشق : دار الزمان ، ٢٠١٦م).

وتوطَّدَت العلاقة أكثر مع الدكتور عماد عبد السلام عندما قبلت زوجته المصون أم رؤوف بروين بدري توفيق فكرة في الدراسات المسائية لقسم تاريخ / كليّة الآداب بعد سنة (١٩٩٨م) بحسب ما أتذكر ، وعن طريق الصدفة وجدت في الصف طالبة نبهة مثقفة على وعيٍ عالٍ بما تقول وتفهم ما تُسألُ عنه ، وتناقش بهدوء العارف ما يمكنُ أن يُقَالَ في محلِّهِ ، تصوَّرتُ في البداية أنها معلمة مثقفة حالها حال كثير من طلبة الدراسات المسائية ، لكن قالت لي : إنها تحملُ شهادةَ الدبلوم من معهد الوثائقية العرب التابع إلى مركز الوثائق في بغداد[٣١] وذكرت أنَّ لها نتاجًا علميًّا في المجلات العلمية ، ووعدت بأنها ستجلب شيئًا من نتاجها في المحاضرة القادمة ، وهذا ما حدث فعلا وتفاجأ الطلبة بإبداعها ، فهي بعدَ هذا باحثة في التاريخ والتراث وتحقيق المخطوطات وأَتذكَّرُ انها أهدت لي بعضًا من نتاجِها العلميِّ واطَّلعتُ على تحقيق مخطوطتين من تحقيقها ، هما: سر الأسرار في معرفة الجواهر والاحجار[٣٢] تأليف عمر بن أحمد بن علي الشماع الحلبي (ت : ٩٣٦هـ)

---

[٣١] المركز الوطني للوثائق : تأسس في بغداد ، وتطور حتى أصبح فرعًا للمجلس الدولي للوثائق وباشر الفرع بإصدار مجلة باسم "الوثائق" وكانت تصدر بأربع لغات ، وكان الأمين العام للمركز الوثائقي الاول في العراق الصديق الأستاذ سالم الآلوسي (١٩٢٥- ١٢/١٦/ ٢٠١٤م) الذي كانَ معنيًا بالوثائق والتوثيق ونشر الوعي الوثائقي وقاد حملة وطنية في هذا الاتجاه بمساندةِ مجموعة من الشباب المحب للوثائق في العراق ، لكن وزير الإعلام في العهد البائد لطيف نصيف الدليمي ، قام بغلق المركز والفرع ، وعد هذه الوثائق من الأزبال ، كما صرح لي بذلك الأستاذ سالم الآلوسيّ سنة (١٩٩٣م) في اتحاد المؤرخين.

[٣٢] (بغداد : بيت الحكمة ، ١٩٩٩م).

وقطف الأزهار في خصائص المعادن والأحجار ونتائج المعارف والأسرار[٣٣] تـأليف أحمد بـن عـوض المغربـي (ت : ٩٧٦هـ) ، وهاتـان المخطوطتـان تتحـدَّثَانِ عـن الأحجـار الكريمـة[٣٤] عنـد العـرب ، حصـلت بـروين علـى الماجستير والدكتوراه بعد ذلك من معهد التاريخ العربي في بغداد ، وعنوان أطروحتها للدكتوراه كانت : الأديرة والكنائس في شمال بلاد الرافدين من القرن الرابع حتى القرن الثاني عشر الميلادي ، وهيَ اليومَ تشكِّل حضورًا علميًّا وثقافيًّا مهمًا ، وتوسَّعت المعرفة لديها لتهتم باللغة السريانية .

وفي سنة (١٩٩٩م) زرت بيت الدكتور عماد في حي الخضراء ، ووجـدتُ حسـن الاسـتقبال مـن أفـرادِ أسـرتهِ وتعرَّفـت علـى الأبنـاء ، وعلى هواياتهم ووجدت الابن البكر رؤوف العطار مهتمًا بالفن التشكيلي وهو رسام مبدع ، دُعيتُ في أحد الأيام لحضور معرضه الشخصي الرابع سنة (٢٠٠٠م) وقد أُقيمَ في أهم قاعة في بغداد/ باب الشرقي قاعة (المتحف الوطني للفن الحديث)[٣٥] ، وله اكثر من معرض

---

[٣٣] (بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٠م).

[٣٤] هي أنواع مختلفة من المعادن المتبلورة مركبة من عنصرين أو أكثر ، وتتكون أساسًا من مادة السليكا مع وجود بعض الشوائب المعدنية ، ويختلف نوع الحجر الكريم باختلاف المادة المكونة فضلًا عن السليكا وتوجد عادة في مناطق الطمي البركانية أو تكون في صورة حرة ، مثل الياقوت والزمرد والألماس أو تستخرج من قاع البحر ، مثل المرجان واللؤلؤ الذي كان يعد من أجمل الأحجار وأغلاها ثمنًا آنذاك .

[٣٥] أُنشأت أمانة بغداد مبنى المتحف الوطني للفن الحديث في وسط بغداد/ الباب الشرقي ، بمبادرة من الفنان الرائد نوري الراوي اذ أقنع الوزير بشراء أول مجموعة لوحات من الفنانين الرواد ، واستمر الراوي يبذل كل جهوده الشخصية للحصول على

فردي [٣٦] وجماعي محلي ودولي ، حصل بعد ذلك على دبلوم من معهد الفنون الجميلة ، ثم بكالوريوس تصميم من كلية الفنون الجميلة ، كما ذكر لي الدكتور معتز عناد غزوان ، وله شَغَفٌ باللغة الفرنسية فهو عضو في جمعية أصدقاء اللغة الفرنسية ، حاز في سنة (٢٠٠٤م) على الجائزة الاولى من جامعة بغداد نظيرَ مشاركتهِ في مهرجان روعة الابداع للتأمل الفني فضلًا عن حصولهِ على جوائز أخرى .

وكان بيتهم الجميل يكاد يكون كلهُ مكتبة عامرة ، ففي أيِّ اتجاه تنظر تجد الكتب والملفوفات (الخرائط والمشجرات) والأوراق ، وفي هذه

منحة عالمية ، وفعلا حصل على منحة من مؤسسة كولبنكيان العالمية التي مقرها لشبونة/ البرتغال لبناء المتحف الوطني للفن الحديث ، وانتهى البناء منه في أواخر سنة (١٩٦١م) ، ويضم أربع قاعات ، كانت القاعة الكبرى متحفا دائميا للفن العراقي ، وافتتح رسميا في تموز من سنة (١٩٦٢م) فأصبح مركزا للفنون وإقامة المعارض التشكيلية وصيانة الأعمال الفنية واقامة الأمسيات الأسبوعية والندوات الثقافية –يديره الراوي (ت :١٣/ ٥/ ٢٠١٤م) بصفته أول مدير له– وصرحا ثقافيا فنيا يضيء الوجه الحقيقي لحركة الفن التشكيلي في العراق ، بل يعدّ مركزا متدفقا لكل متذوقي الفن التشكيلي ، ومكانا للإعلان عن تشكيل الجماعات الفنية ، واقامة معارض لفنانين عرب واجانب ، ليختفي نهائيا بعد الاحتلال الأميركي سنة (٢٠٠٣م) وتنهب منه اكثر من ثمانية آلاف لوحة تؤرخ الذائقة العراقية!!!.

[٣٦] المعرض الشخصي الأول سنة ١٩٩٣م والثاني سنة ١٩٩٨م والثالث (قاعة عبلة العزاوي) سنة ١٩٩٩م والخامس (مركز الفنون) سنة ٢٠٠١م ، والسادس (قاعة بابل) سنة ٢٠٠٢م والسابع في الملتقى القطري الأول (مركز الفنون) سنة ٢٠٠٣م والثامن (قاعة نادى الصيد) سنة ٢٠٠٤م والتاسع (قاعة الدروبي) سنة ٢٠٠٥م والعاشر (نادى الصيد) سنة ٢٠٠٨م والحادي عشر سنة ٢٠٠٩م.

الزيارة اكتشفتُ شيئًا جديدًا لم أتوقع أن يكونَ الأستاذ الدكتور عماد عبدالسلام مبدعًا فيهِ ، ذلكَ هو تبحُّرهُ في علم الأنساب العلوية والعامة ، ولا سيما نسبهُ العباسي الذي كان هو أمينهُ ، وعلمتُ أنَّ الناس تأتي إليه ؛ ليحقِّق انسابها وينقِّيها من الشوائب ويختم عليها ، وأَنَّ ختمهُ يعدُّ حجةً عند النسَّابين ، وتحدَّثتُ معهُ في هذا المجال عن الأنساب العامة والعلوية وأهم مصادر الأنساب واهتمام العرب بعلم النسب والاعتناء بهِ وتميّزهم بهذه المزية عن الشعوب الأخرى ، ولا يكاد يمر قرن من القرون الهجرية إلّا ونجد بروز أكثر من نسابة وتأليف أكثر من كتاب ، فالعرب مولعون بهذا العلم ، وكان حديثًا جميلًا ، أضاف لي الكثير في هذا المجال ، كنتُ في حينها نائبًا لرئيس هيئة الأنساب العربية في اتحاد المؤرخين العرب ، ومهتما بهذا المجال وقد استفدت كثيرًا من ملاحظاته القيِّمة .

ويبدو لي أن اهتمامهُ بتحقيق المخطوطات التي تُعنَى بتراجم الشخصيات هو الذي رَغَّبَه في البحث في علم الأنساب ولهُ أكثر من مخطوطة حققها تدخل في هذا المجال ؛ منها : تاريخ الأسر العلمية في بغداد[٣٧] للسيد محمد سعيد الراوي ، وبيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة[٣٨] لعبد الرحمن حلمي العباسي السهروردي ، وحديقة الزوراء في سيرة الوزراء[٣٩] لعبد الرحمن السويدي ، وثيقة نسب أمراء بهدينان وتاريخهم

---

[٣٧] (بغداد : دار الشؤون الثقافية في بغداد ، ١٩٩٧م).

[٣٨] (بغداد : مكتب الجواد ، ١٩٩٧م).

[٣٩] (بغداد : المجمع العلمي العراقي ، ٢٠٠٢م).

الموسومة : الشجرة الزيوكية[٤٠] ، وغيرها من المخطوطات الأخرى كما تتبع أنساب من درسهم ، مثال ذلك (بنو كعب) .

استمرت لقاءاتنا ولاسيما في المحافل العلمية والأماكن الثقافية الأخرى ، وفي نهاية سنة (٢٠٠٥م) التقيتُه هو وزوجتهُ في الباحة الموجودة التي بين كلية الآداب وكلية التربية وكنتُ في حينها معاون عميد كلية الآداب للشؤون العلمية والدراسات العليا (٢٠٠٥-٢٠٠٧م) وتجاذبنا أطراف الحديث عن الأوضاع العامة والظروف العائلية لكل منّا والوضع الأمني المتردي ، ومع ذلك لم ننسَ أن نتحدَّثَ عن الوضع الثقافي ، وسألته عن آخر ابداعاتهِ فإذا بهِ يحدِّثني بشغف عن نتاج جديد لهُ صدر سنه (٢٠٠٣م) من المجمع الثقافي[٤١] في (أبو ظبي) ، وهي رحلة المطراقي زاده وقد وصف لي أناقة الطبعة ، الّتي ضَمَّت أكثر من (١٩٢) صفحة فضلًا عن وجود ملحقٍ و١٢٢ صورة ملونه جميلة بحجم (٢٤cm) وهي من تأليف : نصوح أفندي السلاحيّ الشهير بمطراقي زاده ، وترجمة: صبحي ناظم توفيق ، والعنوان الأصلي للمخطوط باللغة التركية (منازل سفر العراقيين إلى السلطان سليمان خان) وتناولت أحداث حملة السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) للسيطرة على (بغداد وتبريز).

وإبعاد سيطرة الشاه الصفوي طهماسب بن إسماعيل (٩٣٠هـ-٩٨٣/ ١٥٢٤م- ١٥٧٦م) عن بغداد سنة (٩٤٠هـ/ ١٥٣٤م) التي سبق أن سيطر

---

[٤٠] (أربيل : مكتب التفسير ، ٢٠٠٩م).

[٤١] اكاديمية علمية اماراتية تأسست سنة (١٩٨١م) ، تهتم بالآداب والثقافة والفنون .

عليها والده إسماعيل الأول (٩٠٧-٩٣٠هـ/١٥٠١-١٥٢٤م) سنة (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) وقضى على دولة (الاق قوينلو)[٤٢].

وفي الرحلة صور للمحطات الواقعة بين مدينة همذان[٤٣] وبغداد ، وفيها يُسمِّي المؤلف أمراء معظم البلدان الذين قدموا الولاء للسلطان سليمان القانوني ، ويذكر الأضرحة التي زارها في بغداد وكربلاء المقدسة والنجف الأشرف ، وأسماء المحطات بين مدينة تبريز[٤٤] وبغداد مع وصف لها وما فيها من مراقد وأضرحة ، ثم يصف مطراقي زاده محطات الرجوع الى

---

[٤٢] الآق قويونلو (الآغ قويونلو) الخرفان البيض : من القبائل التركمانية ، حكمت في شرق الأناضول وأذربيجان وفارس والعراق وأفغانستان وتركستان ما بين (١٤٦٧-١٥٠٢م).

[٤٣] هَمِدان أو همذان "هگمتانه" وهي (أكبتانا) بناها الملك الميدي ديوسسوس لتكون عاصمة لدولته وكانت ذات أسوار منيعة ، وتسمى باللغة الأذرية (آقباتان) أي فرش بيضاء أو مطلي بالبياض باللغة الآذرية ، فيها قبر العالم الطبيب ابن سينا والشاعر باباطاهر الهمداني المشهور بالعريان ، وهي اليوم مركز محافظة همذان الإيرانية سكانها أكثرهم من قبائل اللر واللك والزنكنة والفرس مع الترك الآذر ، ويتكلمون اللغة الفارسية بلكنة محلية . (https ://ar.wikipedia.org/wiki/).

[٤٤] بالفارسيَّة الفهلويَّة تَبْرِيز : هي إحدى أبرز المدن في إيران وعاصمة مُحافظة أذربيجان الشرقيَّة ، وثالث أكبر مُدن إيران بعد كُلٍّ من طهران ومشهد وأكبر مدينة في شمال غرب البلاد ، تشتهر تبريز بتاريخها العريق ، بما في ذلك العهود الفرثية والساسانيَّة ، ومن ثمَّ العبَّاسيَّة والخوارزميَّة والمغوليَّة والإلخانيَّة والتيموريَّة ، والجلائريَّة والقره قويونليَّة والآق قويونليَّة والصفويَّة والقاجاريَّة وغيرها ، وقد اتُخذت عاصمةً لإيران خلال عدَّة مراحل من التاريخ أبرزها : الصفويَّة والقاجاريَّة . (https://ar.wikipedia.org/wiki/).

إسطنبول منها مدن : اخلاط [٤٥] وديار بكر وحلب وقد فرغ من تأليفه سنة (٩٤٥هـ).

وهذا ليس بجديد على الدكتور عماد عبد السلام فهو شغوف بدراسة الرحلات وتحقيقها ، وفارس من فرسان أدب الرحلات ، لما لأدب الرحلات من أهمية واضحة ومتميزة للباحث المختص ، تسمح له بالتعرف على تفاصيل كثيرة بعضها جزئية يغفل المؤرخون عن ذكرها ؛ لأنها اعتيادية في نظرهم ومألوفة ، ومعظم هذه التفاصيل تدخل في الحياة اليومية للفرد والجماعة ، منها : الملبس والمأكل والخدمات العامة والعادات والألعاب والأعياد ، وهذه من شأنها أن تجذب انتباه نظر الرحَّالة الغريب أكثر من غيره .

وللدكتور عماد في هذا المجال أكثر من نتاج علمي ؛ منها: رحلة طه الكردي الباليساني في العراق والاناضول وبلاد الشام ومصر والحجاز[٤٦] وصف هذا الرحالة : طه بن يحيى بن سليمان الباليساني الخوشناوي مدنا كثيرة ، واستمر ترحاله أكثر من خمسين سنة ما بين سنة (١١٥٧-١٢٠٤هـ/ ١٧٤٤- ١٧٨٩م) انطلق من قريته بالسيان[٤٧] فسلك طريق الحج

---

[٤٥] مدينة ومنطقة تاريخية في تركيا ، فتحها المسلمون على يدي عياض بن غنم ، كانت تابعة لمحافظة بدليس في منطقة الأناضول الشرقية ، وضمت ما بين (١٩٢٩-١٩٣٦م) لمحافظة وان ، وتطل مدينة خلاط على الشاطئ الشمالي الغربي لبحيرة وان وكانت سابقا تابعة لأرمينيا . (https ://ar.wikipedia.org/wiki/)

[٤٦] (بغداد : دار الثقافة والنشر الكردية ، ٢٠٠٢م).

[٤٧] اليوم ناحية باليسان وهي احدى نواحي قضاء شقلاوة في محافظة أربيل في العراق.

مارا بالموصل ودمشق وبيت المقدس ويافا ودمياط والمنصورة وطنطا والقاهرة ومنها سلك طريق السويس فينبع وجده ومكة فأدى فريضة الحج ثم سلك طريق بلاد الشام إلى دمشق عبر جوف سورية ، ثم طرابلس على البحر المتوسط في لبنان فركب البحر إلى قبرص ، ثم رجع إلى مصر مرة أخرى عن طريق البحر ، قصد مكة والمدينة لأداء الحج مرة ثانية ورجع الى دمشق ثم سلك طريق حمص قاصدا إسطنبول ، ومنها رجع الى وطنه العراق سالكا طريق نهر الفرات ، فمر بكثير من القصبات والمدن ، منها مدينة هيت حتى دخل بغداد سنة (١١٨٥هـ/ ١٧٧٢م) واستقر فيها مدة من الزمن فغادرها قاصدا كركوك وعقرة سنة (١٢٥١هـ/ ١٧٨٦م) ومنها : الى زاخو ونصيبين فماردين فمدينة حلب وحماة وحمص لينتهي به الطواف في دمشق للمرة الأخيرة سنة (١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م) ، وتعد رحلة شاقة وماتعة فيها الكثير من المعلومات التاريخية عن المدن التي زارها يستفيد منها الباحث كثيرا.

وحقق المحقق الدكتور عماد عبد السلام ، مخطوطة أخرى ؛ هي مخطوطة العالم النابه فضل الله بن محب الله بن محمد محب الدين بن أبي بكر تقي الدين أبي الفضل العلواني الحموي الدمشقي (١٠٦١- ١١١١هـ/ ١٦٥١- ١٦٩٩م) وهو من أشهر أعلام دمشق آنذاك وهو من أسرة مثقفة جمعت بين العلم والأدب ، وكانت المخطوطة بعنوان (الرحلتان الرومية والمصرية)[٤٨] ، والرحلتان نصّ مهم في أدب الرحلات ، يشتمل على رحلتين الأولى إلى إسطنبول الّتي وصلها سنة (١٠٥١هـ/١٦٤١م) ، لكنه بعد ذلك رجع الى دمشق ليغادرها في سنة (١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م) الى القاهرة لتبدأ

---

[٤٨] (دمشق : دار الزمان ، ٢٠١٢م).

الرحلة الثانية ، ومن ثَمَّ يرجع بعد ذلك الى مرتع صباه دمشق ويبدو انه لم يستطع تحقيق طموحه في المناصب ، وكشف عن ضيق نفسه ويأسه فكتب آخر أيامه ، قائلا :

لزوم البيت أرْوَحُ في زمـانٍ

عدمنا فيـه فائدة البُــروز

فلا السلطان يرفع من مَحلّي

ولستُ على الرعيةِ بالعزيز

وحقق مخطوطـة أخرى بعنوان: رحلـة من نـابلس الـى اسلامبول[٤٩] من تأليف الشاب آنذاك عبد القادر آل أبي السعود من اسرة مقدسية عريقة مثقفة ؛ منها الكثير من العلماء والأدباء ، قام برحلته في سنة (١٢٥٦هـ/ ١٨٤١م) فـي أكثـر تقـدير ، وأقـام المؤلـف فـي إسـطنبول سـنة (١٢٥٧هـ/ ١٨٤٢م) ووصف وقائع سفره من مدينـة نـابلس في فلسطين الـى إسطنبول ، فوصف البيئة والبنايات من قصور ومساجد وأديرة وأضرحة وجسور وقنـاطر وخانات وقلاع ، وتناول الباحث الدكتور عماد في مؤلفاته دراسة الرحلات ، منها: كتابه الموسوم : رحلة القائد التركي سيدي علي ودراسات أُخرى)[٥٠] ، وكتابه الآخر: العراق كما رسمه المطراقي زاده[٥١].

---

[٤٩] (دمشق : دار الزمان ، ٢٠١٥م).

[٥٠] (بيروت : العربية للموسوعات ، ٢٠٠٩م).

[٥١] (بيروت : مؤسسة الاعلمي ، ٢٠١٤م).

وعمل الدكتور عماد عبد السلام في الببليوغرافيا (Bibliography) والفهارس ؛ فكان ببليوغرافيا من الطراز الأول ، ومن أعماله ؛ موسوعته المعروفة : الاثار الخطية في المكتبة القادرية ، بخمسة أجزاء :

- الجزء الاول ، علوم القرآن والحديث[٥٢].

- الجزء الثاني ، الفقه[٥٣].

- الجزء الثالث ، متنوع[٥٤].

- الجزء الرابع ، متنوع[٥٥].

- الجزء الخامس ، المجاميع[٥٦].

وللببليوغرافي الدكتور عماد كتاب آخر في الببليوغرافيا ، عنوانه : الآثار الخطية في جامع السيد سلطان علي ببغداد[٥٧].

وكذلك فهرس الدكتور عماد عبدالسلام خزانة الكتب للسيد سعيد الراوي : مخطوطات السيد محمد سعيد الرّاوي في بغداد[٥٨] وتعدّ مكتبة الراوي من كبريات المكتبات الزاخرة بالمخطوطات النادرة في مختلف الفنون

---

[٥٢] (بغداد : مطبعة الارشاد ، ١٩٧٣م).

[٥٣] (بغداد : دار الرسالة ، ١٩٧٨م).

[٥٤] (بغداد : دار المعارف ، ١٩٧٩م).

[٥٥] (بغداد : دار المعارف ، ١٩٨٠م).

[٥٦] (بغداد : دار المعارف ، ١٩٨٠م).

[٥٧] (بغداد : مركز إحياء التراث العلمي ، ١٩٧٤م).

[٥٨] (بغداد : مركز إحياء التراث العلمي ، ١٩٩٣م).

والآداب ، وقد قام المفهرس الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف بفهرستها وترتيب مخطوطاتها على نحو علمي يليق بمكانة صاحبها وبأهمية الكتب أنفسها في هذا البحث[٥٩] .

وحقق كتاب : فهرس مكاتب بغداد الموقوفة[٦٠] تأليف : نعمان خير الدين الآلوسي[٦١] ، وقال عنه المحقِّق: (يُعدُّ هذا الكتاب أول محاولة معروفة لفهرسة خزائن الكتب ببغداد ، بل في العراق بصورة عامة) ، يتناول الكتاب فهرسة عشر خزانات حافلة بالكتب الخطية كانت ملحقة ببعض مساجد بغداد ومدارسها المهمة وهي :

---

[٥٩] https ://www.alukah.net/library/0/90063/#ixzz5tyLuPGC9

[٦٠] (بغداد : مركز إحياء التراث العلمي ، ٢٠١٣م).

[٦١] ولد في بغداد سنة (١٢٥٢ هـ/١٨٣٦م) ونشأ وأخذ العلم من علماء بغداد ، ومن أبيه محمود الآلوسي ، والشيخ حسين البشدري ، ومن شيوخه الملا قاسم أفندي المفتي ، تولى وظيفة القضاء في مدن متعددة منها الحلة ، وسافر إلى إسطنبول سنة (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م) ، فمكث سنتين ، وعاد يحمل لقب رئيس المدرسين ، وكان من مشاهير الخطاطين في عصره ، وأخذ عن والده في فن الخط ، وكان يكتب كتبه ومؤلفاته بخطهِ ، ومن آثارهِ الخطية بعض المخطوطات في مكتبته المحفوظة في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد ، منها : جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، وابن تيمية وابن حجر ، وشقائق النعمان ، وإتمام كتاب حديقة الورود ، والإصابة في منع النساء من الكتابة ، توفي في بغداد سنة (١٣١٧هـ/١٨٩٩م) ودفن في جامع مرجان. (https ://ar.wikipedia.org/wiki)

١. خزانة كتب المدرسة المرجانية[٦٢] : في شارع الرشيد .
٢. خزانة كتب جامع الصاغة[٦٣] : على شاطئ دجلة الشرقي في جنوب المدرسة المستنصرية .

---

[٦٢] شيدت هذه المدرسة في جامع مرجان ، وهو أحد الجوامع الآثارية العراقية القديمة ، الواقع في شارع الرشيد ، بداية سوق الشورجة على يمين الداخل إلى سوق العطارين ، شيّدها أمين الدين مرجان بن عبدالله من موالي السلطان أويس بن حسن الإليخاني(أبن حفيد هولاكو خان) احد أمراء الجلائريين سنة (٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م) وفي سنة (١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م) ، هُدِمَت المدرسة المرجانية واقتطع منها جزءٌ كبيرٌ أضيف إلى شارع الرشيد وشيِّد على ما تبقى منهُ مسجد جامع ولم يبق من أصل المدرسة سوى بابها الأثري القديم وهو الأثر الوحيد الباقي في بغداد من عهد الدولة الايلخانية.

[٦٣] تقع في خان الثلاثاء (أو خان جغان أو الصاغة) قبل إزالته وبناء سوق دانيال مكانه في الربع الأول من القرن العشرين ، في (جامع الخفافين)و (جامع الصاغة) وهو من الأبنية التي ترجع إلى العصر الأخير من الخلافة العباسية ، شيّدته زمرد خاتون (ت : ٥٩٩هـ) أم الناصر لدين الله زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله ، يقع هذا الجامع اليوم على الضفة اليسرى من نهر دجلة ، تحت المدرسة المستنصرية –لم يبق من بنائه الأصلي غير منارته–جدده أكثر من شخص منهم : أبو بكر الباجةجي سنة (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) وأنشأ فيه هذه المدرسة على المذهب الحنفي سنة (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م) ومن الذين درّسوا فيها محمود شكري الألوسي (١٢٧٣–١٣٤٢هـ/١٨٥٦–١٩٢٤م) صاحب كتاب (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب) (جواد ، مصطفى ، وأحمد سوسة ، دليل خارطة بغداد المفصل (بغداد : المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٨م) ص ١١٨ ، ١٨٩ ، ٣٤٣)

٣. خزانـة كتـب المدرسـة الطبقجليـة : فـي محلـة العاقوليـة[٦٤] شـرق بغداد .

٤. خزانة كتب جامع أبي حنيفة[٦٥] : في الأعظمية .

---

[٦٤] العاقولية : محلة كانت حاضرة في التاريخ وغائبة من الواقع ، تقع في الرصافة قرب جـامع الحيدرخانـة وفيهـا جـامع "العـاقولي" الـذي يضـم قبـر الشيخ جمـال الـدين ابـن الشـيخ العـاقولي الـذي كـان مـن علمـاء عصـره ، وآخـر مـن ذكرهـا ضـابط البحريـة البريطانية في الهند ، جيمس فيلكس جونز ، الذي عمل أكثر من خمسة عشر عامًا في العراق (١٨٤٠-١٨٥٥م) أجرى خلالها مجموعةً من المسوحات والاستكشافات الجغرافيـة فـي الأنهـر والمـدن العراقيـة ، مـن نتائجهـا مجموعـة رائعـة مـن الخـرائط والرسومات والبحوث عن العراق ، وقد قامت حكومـة الهند البريطانيـة ، بجمـع هذه التقارير المهمة ، وأصدرتها في كتاب :

Memoirs by Commander James Felix Jones : [e] Memoir [1854] on the province of Baghdad; accompanied by a ground-plan of the ancient of Baghdad. (Bombay : Bombay Education .Society's Press, 1857)

وتضمن الكتاب تقريرا عن رحلته في الباخرة " نيتوكرس" إلى شمال بغداد في نيسان سنة (١٨٤٦م) وأرفقت معه خارطـة بغداد الملونـة ، والمفصلة ، التـي أسـهم المـلازم كولينغوود بوضعها مع جونز ، وأصبح هذا الكتاب من الكتب العراقية النادرة .

[٦٥] جـامع الإمـام الأعظـم أو جـامع أبـي حنيفـة النعمـان هـو أحـد المسـاجد والمـدارس التاريخيـة فـي مدينـة بغداد ، فـي منطقـة الأعظميـة شمال بغداد علـى جهـة الرصـافة ويقابلها منطقة الكاظمية نسبة إلى مرقد الامام موسى الكاظم (عليه السلام) الذي يقع فيها ، ولقد بني المسجد سنة (٣٧٥هـ) بجوار قبر الإمام أبي حنيفة النعمان (رض)، ثم في سنة (٤٥٩ هـ/ ١٠٦٦م) ، بنـي مشـهد وقبـة علـى القبـر ومدرسـة كبيرة ، تعدّ مدرسة أبي حنيفة الفقهية من أقدم المدارس وتسمّى في الوقت الحاضر : كليـة الإمام

٥. خزانة كتب المدرسة العلية[٦٦]: قرب مبنى وزارة الدفاع.

الأعظم . (أبو زهرة ، محمد ، أبو حنيفة ... حياته وعصره ، وآراؤه وفقهه ، ط٢(القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٥٥م) ص١٤).

(٦٦) وهي المدرسة العباسية الفريدة المستقلة عن الجامع كحال معظم المدارس العباسية ، تم إنشاء هذه المدرسة بعد الاحتلال المغولي لبغداد بعد عقود من الزمن ، وقد بناها الأمير علاء الدين علي بن عبد المؤمن السكرجي ، أخي الأمير شمس الدين السكرجي والي العراق من سنة (٦٩٣-٦٩٤هـ/ ١٢٩٣-١٢٩٤م) عرفت بالفخامة والجمال وهي المدرسة (الشاطئية الراكبة على كرسي الجسر العتيق المحاذي لمدرسة ورباط الشيخ ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر السهروردي) وأصبحت بنايتها عندما زار نيبور بغداد سنة (١١٧٤هـ/١٧٦٠م) دارا للصناعة ومخزنا للبارود ، وقام محمدعلي باشا بتجديدها سنة (١١٧٥هـ/١٧٦١م) وافتتاحها سنة (١١٧٦هـ/١٧٦٢م) بولايته كما في الكتابة المثبتة عليها ، والمدرسة العلية او العلائية مطلة على مقتربات الجسر الشمالية ، والمدرسة السهروردية مطلة على مقتربات الجسر الجنوبية ، ولا يفصل بينهما إلا الطريق المؤدّي إلى الجسر ، وهو الشارع المتفرع الآن من ساحة الميدان الى شاطئ دجلة اليوم ، وقد درَّس فيها جملة من علماء بغداد ، منهم : المفتي محمد أمين بن محمد صالح الطبقجلي (١٢٦٥هـ/١٨٤٨م) والشيخ عبد القادر المارينى (١٢٩٩هـ/١٨٨١م) وآخرهم الشيخ محمد فيضي الزهاوي (١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م) اذ حوّلها مدحت باشا سنة (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) الى مدرسة للصنايع ومطبعة لجريدة الزوراء ، واتخذت معملا لإصلاح سيارات الجيش البريطاني بعد سنة (١٩١٧م) ، وفي سنة (١٩٢٨م) أجريت عليها تعميرات وتحويرات لسكنى الملك فيصل الأول(١٩٢١-١٩٣٣م) فالملك غازي(١٩٣٣-١٩٣٩م) ، وتحولت بعد سنة (١٩٣٨م) لتكون مقرا للمجلس النيابي حتى سقوط العهد الملكي سنة (١٩٥٨م) ، وفي العهد الجمهوري اشتهرت بنايتها بصفتها مقرا لهيأة المحكمة العسكرية الخاصة برئاسة العقيد فاضل عباس

٦. خزانة كتب المدرسة القبلانية[٦٧]: في سوق الهرج قرب الميدان .
٧. خزانة كتب جامع الوزير[٦٨]: قرب جسر الشهداء .

المهداوي ، ثم أهملت بنايتها الى سنة (١٩٦٧م) وقد اتخذت متحفا عسكريا حتى سنة (١٩٨٠م) ثم رممت وجددت وصارت قصرا للثقافة والفنون ، وفي سنة (١٩٩٥م) اتخذت مقرا لمؤسسة بيت الحكمة ، ثم رممت سنة (٢٠١٠م). (علي ، معن حمدان ، المدرسة العلائية ، جريدة (المدى) ع :٧٩٩٣ (بغداد : دار المدى ، ٢٠١٩م).

[٦٧] وهي في جامع القبلانية من مساجد بغداد الأثرية ، الذي جدد بناءهُ قبلان مصطفى باشا والي بغداد (١٦٧٧م) في عهد الدولة العثمانية سنة (١٠٨٨هـ/١٦٧٧م) وبعد ذلك جدد عمارته سليمان باشا والي بغداد ، وشيد فيهِ مدرسة علمية وجعل فيها خزانة كتب تضم نوادر المخطوطات وذلك في سنة (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) ، وبلغت مساحة الجامع نحو (٢٠٠٠م٢) وتعلوه مئذنة وعدد من القباب الصغيرة ، أنمحى واندرس أثره وأصبح في الوقت الحاضر سوقا يُسمّى سوق هرج ، ولم يبق من الجامع سوى الحجرة المطلة على سوق المغازجية التي تضم رفاتين من علماء بغداد هما : الإمام أحمد القدوري (ت : ٤٢٨هـ/١٠٣٧م) صاحب كتاب (نور الأيضاح) ، وهو كتاب في الفقه الحنفي ، والإمام محمد الوتري صاحب القصائد الوترية ، ولقد تصدر للتدريس في مدرسة الجامع علماء كثيرون ، منهم : الشيخ نجم الدين الواعظ ، وكان في المدرسة مجلس وعظ.(دليل الجوامع والمساجد التراثية والأثرية (بغداد : الوقف السني) ص٦٧ ، https ://ar.wikipedia.org/wiki/).

[٦٨] قام الوزير حسن باشا بن محمد باشا الطويل زمن ولايتهِ لبغداد في أيام السلطان محمد خان ، ببناء جامع الوزير سنة (١٠٠٨هـ/١٦٠٠م) وجرى ترميمه وإعادة بنائه في عهد الدولة العثمانية سنة (١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م) ، ويقع في جانب الرصافة من مدينة بغداد ، خلف سوق السراي على ضفاف نهر دجلة ، ولقد هدم جزء منه وأضيفت بعض مساحتهِ إلى مدخل جسر المأمون (جسر الشهداء) في سنة

٨. خزانـة كتـب المدرسـة المراديـة[٦٩] : فـي بـاب المعظـم قـرب المكتبـة الوطنية.

٩. خزانة كتب المدرسة العمرية[٧٠] : غربي بغداد قرب جامع القمرية.

(١٩٣٩م) ، وانتهت عمارتـهِ سنة (١٣٦٠هـ) ، ولـم يبـق منـهُ إلا منارتـهِ ، فأعادتـه مديرية الأوقاف العامة سنة (١٩٥٧م) ، ثم جدد سنة (١٩٧٥م) وكانت تصدر منه مجلة (الثقافة الإسلامية. (الراوي ، محمد سعيد ، خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغـداد ، تـح : عمـاد عبـد السـلام رؤوف (بغـداد : ٢٠٠٦م) ص ٧٤ ؛ صـاحب ، سعد ، حكايات بغدادية يرويها جامع الوزير في سوق السراي ، جريدة (الصباح) ع : ٢٠٥٢ (بغداد : شبكة الاعلام العراقي ، ٢٠١٠م)).

[٦٩] وهي في جامع المرادية من مساجد بغداد القديمة ، ويقع هذا الجامع في باب المعظم منطقة السور في الرصافة مجاور مبنى المكتبة الوطنية ، ويبعد عن جامع الأزبك بمسافة (١٣٠م) ولقد شيد فـي زمـن والـي بغـداد مـراد باشـا ، وفـي عهـد السـلطان العثمـاني سـليم الثـاني (١٥٦٦-١٥٧٤م) سـنة (٩٧٨هـ/١٥٧٠م) جُـدد بنـاؤه سـنة (١٣١٩هـ/١٩٠١م) ، وهـو علـى نمـط هندسـي غايـة فـي الاتقـان ، وتبلـغ مسـاحته (١٥٠٠م٢) ، وقد جدد عدة مرات آخرها في سنة (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).(الآلوسـي ، محمود شمري ، تاريخ مساجد بغداد وآثارها ، مراجعة : محمد بهجة الأثري (بغداد : مطبعة دار السلام ، ١٩٢٧م) ص٧٠).

[٧٠] تقـع هذه المدرسـة غربـي بغداد علـى شـاطئ دجلـة بـالقرب من جـامع قمريـة ، شيدها والـي بغـداد عمـر باشـا سـنة (١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م) وجعـل فيهـا غرفـا لطـلاب العلـم ، وممن قطنها الشيخ محمود شكري الآلوسي في أثناء دراسته ، وذكر ذلك في كتابه : غرائب الاغتراب ، وقال : (وقد لزمت الاقامة في المدرسة العمرية الواقعة في الجانب الغربـي شرقي جـامع القمريـة) ، وللمدرسـة وقـف خـاص ، وكانـت فيهـا حديقـة غنـاء ، وخزانـة كتب كبيرة ، وتوقفت الدراسة فيها منذ عقود ، وذكر حينئذ في المسجد مدرسة وخزانـة كتـب ، غيـر أنهـا اليوم لا مـدرس فيهـا ولا تـدريس وليس فيهـا أيُّ كتـاب ، ثـم

١٠.خزانة كتب جامع الفضل[٧١] : ويقع في منطقة الفضل في شرق بغداد .

عاد المهذب في أسفل الصفحة ليذكر : بعد التأليف (سنة ١٣٤٦هـ) بسنتين عين للمدرسة مدرس وعمرت له ، وتمَّ وضعُ بعض الكتب الموقوفة فيها (الآلوسي ، محمود شكري الآلوسي ، تاريخ مساجد بغداد وآثارها ، تح : عبد الله الجبوري (بغداد : ٢٠٠٦) ص ٢١٨ ؛ محمد بهجة ، تهذيب تاريخ مساجد بغداد (بغداد : مطبعة دار السلام ، ١٣٤٦هـ) ص ٥٧ ؛ الكيلاني ، ميعاد شرف الدين ، مدارس بغداد القديمة ٩٤١-١٣٣٦هـ/١٥٣٤-١٩١٧م ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠١٥م) ص٣٧.).

(٧١) يعد الفضل من أحياء بغداد القديمة ، ويقع في جانب الرصافة بين محلات خان لاوند والبارودية وحمام المالح وقنبر علي وكانت في العصر العباسي جزءًا من محلة باب أبرز ومقبرتها وقد برز اسم المحلة في القرن الحادي عشر للهجرة الموافق للقرن السابع عشر للميلاد في أقل تقدير.. وتسمى ايضا باسم محلة محمد الفضل وكذلك محلة "أبو الفضل" كما ورد في الوقفيات وسجلات المحكمة الشرعية ، وهي منسوبة الى جامع الفضل الواقع فيها وهو جامع قديم من مساجد بغداد التراثية ويرجح انه أنشئ بالقرب من قبر الفضل ابن سهل بن بشر الشافعي الواعظ البغدادي (ت : ٥٤٨هـ) فسميت بالفضل ، وقيل نسبة إلى الفضل بن الربيع حاجب الخليفة هارون الرشيد ، وفي عهد الوالي سليمان باشا الكبير سنة (١٢١١هـ/١٧٩٦م) أمر بشراء بعض الدور المجاورة لهُ وألحقها بهِ وجدد بنيانهِ سنة (١٢١٩هـ/١٨٠٤م) وكان الجامع يحتوي على مدرسة دينية تدرس فيها العلوم الشرعية وفيه غرف لإيواء طلبة العلوم الدينية ، الذين كانوا يدرسون في المدرسة وكان من مدرسيها الشيخ عبد الوهاب النائب العبيدي (ت : ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م). (الكيلاني ، ميعاد ، مدارس بغداد القديمة ، ص٤٠.).

وضمّ الكتاب وصفًا تعريفيًّا لـ(٣٨٩٦) نسخة خطية ، وقسّمت مخطوطات كل خزانة على عدة موضوعات ، مع ذكر تلك المكتبات بشيء من التفصيل ، إلّا أن مفهرس هذه المخطوطات اختصر عنوانات أكثر الكتب التي نوّه بها في فهرسته ، وسبب ذلك ربما يعود إلى رغبته في الإسراع بالعمل من جهة ، أو لكون هذه العنوانات معروفة لدى علماء عصره معرفة تامة ، لكثرة نسخها و لأنّها من الكتب الجادة ، ومنهج المؤلف في التعريف بالنسخ الخطيّة ، وعلى النحو الآتي :

أ - ذكر اسم الخزانة .
ب - الموضوع .
ت - تعداد النسخ التي في الموضوع المذكور .
ث - التعريف بالنسخة ؛ وفيها: عنوان المخطوط ، واسم المؤلف ، مع ذكر أنّه مطبوع ، أو لا يزال مخطوطا[٧٢].

وله كتاب الكتروني ؛ بعنوان : وقف الكتب في بغداد/ وقفيات سليمان باشا الكبير)[٧٣] ، يحتوي على وثائق مهمة وهي أنموذج لوقفيات الكتب في بغداد إبان العصر العثماني ، وقفيات ثلاث لوالي

---

[٧٢] مركز تصوير المخطوطات وفهرستها على الفيسبوك https://www.facebook.com/1476419545990519/posts/2048946195404515?s=100000817786835&sfns=mo) بتاريخ (١٧/ ٧/ ٢٠١٩م).

[٧٣] ((نشر على موقع شبكة الالوكة ، ٢٠١٥م)) (https://www.alukah.net/library/0/89237/#ixzz5ty4rhbtz

بغداد سليمان باشا الكبير[٧٤] ، الأولى والثانية تهتمان بوقف الكتب على المدرسة التي أنشأها في جامع السراي[٧٥] المسمّى بجامع جديد حسن

---

[٧٤] سليمان باشا هذا هو المعروف بالكبير ، (بالتركية بُيوك) تمييزًا له عن سليمان باشا المعروف بأبي ليلة ، أول ولاة المماليك في بغداد ، بدأ حياته مملوكا لمحمد أفندي المارديني متسلم ماردين ، ثم أرسله هذا إلى بغداد ملتحقا بخدمة سميه سليمان باشا المذكور ، وبرزت مكانته في عهد عمر باشا ، فعينه متسلما للبصرة غير مرة في السنوات (١١٧٧-١١٩٠هـ/ ١٧٦٣-١٧٧٨م) وأثرت عنه إصلاحات مهمة فيها ، كما أدى دورًا كبيرًا في الدفاع عن مدينة البصرة في أثناء حصار الزنديين لها سنة (١١٨٨هـ/١٧٧٤م) ، وأشاد بذكره المؤرخون ، ونال سليمان منصب ولاية بغداد بعد خروج واليها حسن باشا منها سنة (١١٩١هـ/ ١٧٨٠م) ، فقد دام حكمه ٢٢ سنة ، استطاع خلالها القيام بأعمال عمرانية مختلفة ذات نفع عام ، منها : إعادة بناء جامع الخلفاء (جامع القصر القديم في العصر العباسي) وتجديد وصيانة عدة جوامع ببغداد ، وقيامه بأعمال عمرانية واسعة في المدن والقصبات العراقية خارج بغداد ، توفي سنة(١٢٠٧هـ/١٨٠٢م) ، (https ://www.alukah.net/library/0/89237/#ixzz5ty7EDFZA)

[٧٥] ويعرف بجامع حسن باشا أو جامع الناصر لدين الله ، يعد من مساجد بغداد التاريخية الشهيرة في جانب الرصافة من بغداد ، شيده سنة (٥٨٩ هـ/١١٩٣م) الخليفة الناصر لدين الله واسمه أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن (٥٧٧-٦٢٣هـ/١١٨٠- ١٢٢٥م) كان خليفة عباسيًا ، حكم في بغداد ، حاول إعادة الخلافة إلى دورها المهيمن السابق ، ووسع سيادته إلى العراق وبلاد فارس ، كما كان عالما ومؤلفا وشاعرا وراويا للحديث. تولى الحكم بعد أبيه المستضيء بأمر الله وحكم ما يقارب خمسين عاما.(الآلوسي ، محمود شكري ، تاريخ مساجد بغداد وآثارها ، ص٣١ -٣٢.).

باشا[٧٦] ، وتحمل الأولى تاريخ (٧ من شهر ذي الحجة ، ١١٩٧هـ/ ٢ كانون الأول ، ١٧٨٣م) والأخرى قائمة مفصلة بالكتب الموقوفة مؤرخة في (٢٢ شوال ، ١١٩٦هـ/٢٦ كانون الأول ، ١٧٨٧م) أي قبل نحو شهرين من تسجيله وقفيته على المدرسة المذكورة[٧٧].

اهتم المؤرخ الدكتور عماد في تحقيق كتب السير والمذكرات التي هي وثائق علمية أصلية بالغة الأهمية للمؤرخ تعبِّر عن تجارب شخصية تضيء بعض الأحداث وتضيف إليها ، من الذين شكلوا حضورًا واضحًا في ميادين الحياة بأفراحها واتراحها ، وهي تختلف باختلاف الشخصية ، فلكل شخص زاوية ينظر من خلالها ، فهي لا تؤرخ لسيرة كاتبها فحسب ، بل تؤرِّخ للشخصية الزمنية التي عايشها وللأحداث والتطورات الاجتماعية المهمة التي حدثت في عصره .

ومن كتبِ الدكتور عماد عبد السلام في هذا المجال دراسته وتحقيقه لمذكرات فخري الفخري [٧٨] (١٩٠٨-١٩٩٥م) : الوزير وأمين العاصمة في

---

[٧٦] جامع كبير يقع في محلة الحيدرخانه شرقي بغداد ، فيه مرقد إبراهيم الفضل ، شيده والي بغداد حسين باشا سنة (١٠٨٥هـ) ، وشيد فيه مدرسة علمية لتدريس العلوم العقلية والنقلية ، وتصدر للتدريس فيه الشيخ محمد القزلجي والشيخ توفيق الخيّاط ، وكانت فيه مكتبة تضم نوادر المخطوطات ضمت فيما بعد إلى مكتبة الاوقاف ، فيه غرف متعدّدة لإسكان طلبة العلم ، ودرس فيه الشيخ حبيب الكروي (ت : ١٢٩هـ/١٨٧٣م) وعلي الخوجة (ت : ١٣٣٦هـ/١٩١٧م) والجامع اليوم يشكو الخراب والإهمال. (الكيلاني ، ميعاد ، مدارس بغداد القديمة ، ص ٣٤-٣٥.).

[٧٧] https ://www.alukah.net/library/0/89237/#ixzz5ty4rhbtz

[٧٨] فخري جميل الفخري هو مهندس مدني وسياسي عراقي ، ولد في الموصل سنة ١٩٠٨م وتوفي سنة ١٩٩٥م ،وكان وزيرا المواصلات والنقل في وزارة أرشد العمري.

العهد الملكي[٧٩] ، ومذكرات عبد المجيد محمود[٨٠] : الوزير في العهد الملكي في العراق[٨١] ومذكرات قاسم محمد الرجب [٨٢]، صاحب مكتبة المثنى ببغداد[٨٣].

استمر تواصلنا باللقاء المباشر وعن طريق الهاتف ، وعندما كنت في سنة (٢٠١١م) أتولى رئاسة اللجنة العلمية لجائزة شيخ المؤرخين الدكتور

---

[٧٩] (بغداد : مطبعة المثنى ، ٢٠٠٠ م).

[٨٠] عبد المجيد محمود القره غولي سياسي عراقي ، ولد في محلة الهيتاويين في بغداد سنة (١٩٠٩م) وتوفي في بغداد سنة (١٩٩٢م) كان وزيرا من غير حقيبة وزارية في وزارة أرشد العمري في العهد الملكي في العراق.

[٨١] (لندن : دار الحكمة ،٢٠٠٨م).

[٨٢] وهو أبو محمد قاسم بن محمد بن رجب ابن الحاج قاسم الأعظمي ، أديب وكاتب ومؤلف عراقي ، ينتمي إلى قبيلة العبيد العربية القحطانية الحميرية ، وأهل مدينة الأعظمية في بغداد أغلبهم من أبناء هذه القبيلة ، ولد في بغداد سنة (١٣٣٨هـ/١٩١٩م) ، ونشأ في الأعظمية وتعلم القرآن وهو صغير ثم أكمل دراسته الابتدائية ، واشتغل في (المكتبة العربية) الشهيرة في سوق السراي لصاحبها نعمان الأعظمي ، ولعدة سنوات ، كان ذكيا يحب مطالعة الكتب ويستمع إلى زوار (المكتبة العربية) وجلاسها حين يبدون آراءهم في الكتب ودرجاتها وأهميتها ، وبرع في عملهِ ، واكتسب خبرة في تصريف الكتب ، ثم انفصل عن أستاذه ، وافتتح مكتبة صغيرة في سوق السراي سمّاها (مكتبة المعري) ، سنة (١٩٣٥م) وهو شاب ، ثم غير اسمها إلى (مكتبة المثنى) ، ثم نمت المكتبة وتوسعت حتى صارت من أشهر دور الكتب في الوطن العربي (الدباغ ، هاشم مصطفى ،الأعظمية والأعظميون (بغداد : مطبعة دار الجاحظ ، ١٩٨٤م) ص٢١٢).

[٨٣] (بيروت : العربية للموسوعات ، ٢٠٠٨م).

حسين أمين ، فكرت في هذه السنة أن تكون جائزة التاريخ الحديث من حصة المؤرخ الدكتور عماد عبد السلام ، وشاركني الرأي كل أعضاء اللجنة وكان من بينهم : الأستاذ الدكتور ناجي حسن (ت:٢٠١٩م) والأستاذ الدكتور محمود القيسي (معاون عميد كلية الآداب/ بغداد في الوقت الحاضر) ، وقد تمَّ تكريم آخرين قبل الدّكتور عماد في السنوات الماضية ، وكان من المفترض أنْ يتم اختياره منذ الدورة الأولى ، لأنه يُمَثِّلُ علامةً فارقة في هذا المجال ، وبعدَ الاتّفاق على ترشيحه من لَدُن اللجنةِ قمتُ بالاتّصالِ هاتفيًّا بهِ ولا أعلمُ كيف انطلقت الكلمات لتخبره بأنَّ الجائزة تُكرِّم بحملك لها وكانت عبارات خرجت من القلب مباشرة ، يؤسفني أنني لم احتفظ بها ، وعلى الفور أرجع الجواب بكلمات أجمل منها مع السيرة العلميّة...

أخذت السيرة العلمية وقمتُ بطباعتِها على الورق ووجدتُ كثيرًا من الأشياء التي لم أعرفها عن الدكتور عماد عبد السلام ؛ منها في مجال الشعر انطلاقًا من أنَّ للشعر العربي – قديمه وحديثه – أهمية كبيرة ، بوصفهِ مصدرًا من مصادر التاريخ بأشكاله المتعددة: السياسي والاجتماعي والفكري... فقام بتحقيق ديوان العشاري للشاعر حسين بن علي العشاري[٨٤](ت: ١٧٨١م) بالمشاركة مع الحاج وليد عبد الكريم العبيدي الأعظمي (ت: ٢٠٠٤م) كما اشترك في تحقيق ديوان عبد الرحمن السويدي[٨٥] مع فؤاد حمدي النسخة الأصل والكاملة ، إذ سبق أنْ حُقِّقَ ونُشر وتُرجم من اللغة التركية بالمشاركة مع الأب أنستاس ماري الكرملي

---

[٨٤] (بغداد : وزارة الأوقاف ، ١٩٧٧م).

[٨٥] (بغداد : دار الرجاء ، ٢٠٠٠م).

(ت: ١٩٤٧م) وطبعه في مطبعة دار الطباعة العراقية في بغداد سنة (١٩٣٦م) ، وحقق كتابًا آخر بعنوان: تذكرة الشعراء ؛ لعبد القادر الخطيبي الشهرباني[٨٦] ، يتحدَّثُ فيه عن شعراء بغداد في عهد الوزير داود باشا[٨٧].

ولم يقتصر اهتمام الدكتور عماد عبد السلام على الآداب العربية ، بل درس اللغة نفسها فألّف كتابًا عنوانه: التفريس اللغوي في الأحواز[٨٨] وهي دراسة وثائقية ، بالاشتراك مع علاء موسى كاظم نورس ، وكتابًا آخر

---

[٨٦] (بغداد : المجمع العلمي ، ٢٠٠٢م).

[٨٧] داود باشا : آخر ولاة المماليك في بغداد ، ولد في (جورجيا) سنة (١٧٦٧م) ، وجلب إلى بغداد وعمره نحو ستة اعوام ، فتعلم التركية والعربية والفارسية ، وأصبح مساعدًا لوالي بغداد المملوكي (سليمان باشا) وتزوج ابنته ، فعينه قائدًا للجيش سنة (١٨١٤م) فشن الحملات لتأديب القبائل ومنعها من الغزو ، ووضع العسكر لحماية زوار كربلاء المقدسة من اعتداءات البدو ، وبعد وفاة سليمان باشا أصبح واليا على بغداد ، تأثر بتجربة محمدعلي باشا في مصر ، وأراد استقلال العراق عن الدولة العثمانية ، اهتم داود باشا ببناء المدارس والمعاهد العلمية ومصانع النسيج والجوامع وشجع التجارة والزراعة واهتم بالجيش واستقدم الخبراء الاوربيين ، ثم أعلن رفضه الخضوع للسلطان العثماني محمود الثاني (١٨٠٨- ١٨٣٩م) فحاصر السلطان بغداد سنة (١٨٣١م) وبعد حصار دام أشهر فتحت أبواب بغداد ، لقاء وعد بمعاملة (داود باشا) بالحسنى ، وتم نقل داود باشا إلى خارج العراق ليتولى عدة مناصب حتى توفي في مكة سنة (١٨٥١م)(للتفصيل : نوار ، عبدالعزيز سليمان ، داود باشا والي بغداد ، تر : احمد عزت عبدالكريم (القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة ، ١٩٦٨م)).

[٨٨] (بغداد : دار الحرية ، ١٩٨٢م).

عنوانه: ألفاظ ريفية مصرية في القرن السابع عشر[٨٩] دراسة في كتاب: هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف للشيخ يوسف الشربيني[٩٠] ، وقد طبع الكتاب أكثر من طبعة وتحقيق ؛ منها: طبعتان في بولاق سنة (١٢٧٤هـ/١٨٥٨م) وسنة (١٢٨٢هـ) وأعيد نشره سنة (١٩٦٣م)[٩١] والكتاب من تحقيق (طاهر أبو فاشا) (١٩٠٨-١٩٨٩م) شاعر وزجّال مصري من دمياط ، وهز القحوف مصنّف شعبي في الأدب المكشوف ووثيقة مهمة عن الأحوال الاجتماعية بمصر في العصر الملوكي ، وهو بجزأين في مجلد واحد ، الجزء الأول ، يتضمن مقدمة طويلة تصف أحوال الريف وحياة الفلاحين ، وملتزمي الأراضي الزراعية ، وطباع أهل الريف ، وأخلاقهم ، وأسماءَهم ، وملابسهم ، وأشعارهم ، ونسائهم ، وفقهاءَهم.... فيقدم صورًا عن الريف المصري إبّان القرن السابع عشر الميلادي : (فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر

---

[٨٩] (القاهرة : المكتب العربي للمعارف ، ٢٠١٥م).

[٩٠] (القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٧م).

[٩١] (القاهرة : دار النهضة العربية) ، إعداد محمد قنديل البقلي ، محقق كتاب تاريخ الجبرتي وصبح الأعشى للقلقشندي ، وفي هذه الطبعة تم حذف ما رآه البقلي غير لائق من الألفاظ المكشوفة التي يحويها الكتاب في طبعاته السابقة. ، وحققه وترجمه الى اللغة الانكليزيَّة في ٣٦٠ صفحة : همفري ديفيز ، ونشر في (ابوظبي : المكتبة العربية ، ٢٠٠٥م).

الشربيني[٩٢] ، كان الله له ورحم سلفه: إن مما مرّ عليّ من نظم شعر الأرياف ، الموصوف بكثافة اللفظ بلا خلاف المشابه في رصه لطين الجوالس ...)[٩٣] وقد ختم الجزء بأرجوزة طويلة في ١٩٣ بيتًا ، لخص فيها أحوال الريف تلخيصًا بديعًا ، والجزء الأخير يشرح الشربيني القصيدة التي هي من البحر الطويل ، ونسبها إلى رجل سمّاه أبا شادوف بن أبي ياروف بن شقارف بن لقالق ، وواضح أن هذه الشخصية وهمية تمامًا اختلقها الشربيني من بنات أفكاره ، بصفته أنموذجًا لفلاح ذلك العهد الذي أثقلته مظالم الحكم.... وتضمن الكتاب فضلا عن ذلك ، ثروة لغوية كبيرة من الألفاظ التي كانت مستعملة في الريف المصري في القرن الحادي عشر للهجرة (السابع عشر للميلاد) ، وأكثر هذه الألفاظ من أصول عربية ، إلا أن بعضها اتخذ معاني اصطلاحية جديدة ، وقسم منها اندثر استعماله في مصر اليوم ، وقسم آخر لبث معروفًا متداولًا ، ومن هذه الألفاظ المندثرة لا يزالُ مستعملًا في عاميات عربية أخرى ، كما هو الحال في العراق وبلاد الشام والحجاز[٩٤] ، مثال ذلك:(بابوج: كلمة فارسية بمعنى الخُف الذي يُلبس في القدم ، قال : أعطته بابوجًا جديدًا, والكلمة لما تزل تستعمل في الشام

---

[٩٢] كاتب وشاعر مصري نسبته إلى بلدة شربين المصرية ، يرجح انه ولد في أوائل القرن الحادي عشر للهجرة ، وأتم الحج سنة (١٠٧٥هـ) ولا نعرفُ بالتحديد سنة وفاته إلا أنه أتم أحد مصنفاته سنة (١٠٩٨هـ).

[٩٣] الشربيني ، يوسف بن محمد ، هزّ القحوف بشرح قصيد ابي شادوف ، تح وتر : همفري ديفيز (ابوظبي : المكتبة العربية ، ٢٠٠٥م) ص٩.

[٩٤] ينظر : العماري ، علي ، اللغة العامية في القرن الحادي عشر ، مجلة (الرسالة) ع : ٩٢٩(القاهرة :١٩٥١م.

والعراق) ، لذلك نجد الدكتور (عماد) يخص هذا الكتاب بدراسة لغوية واستخراج الألفاظ العامية وترتيبها في معجم صغير على وفق حروف الهجاء ، مع شرح أكثرها من واقع تكرر ورودها في غير موضع واحد ، ورجع من بعد ذلك إلى معاجم اللغة العربية القديمة والحديثة والتركية ومعاجم اللهجات المحلية... وغيرها من الكتب التي صنفت في العامية المصرية للمقابلة بينها وبين ما ورد في الكتاب من ألفاظ .

وقد وجد الكاتب أن أغلب ما جاء في كتاب "هز القحوف" لم نجد له مثيلًا في معاجم اللغة العربية وهذا يؤكد أهمية ما استخرجه الكاتب من لفظ ومصطلح نادر تفرّد به كتاب "هز القحوف".[٩٥] ومن نصوص كتاب (هز القحوف):

أيُّها الناس مالي أراكم عن الزّردة بالعسل النحل غافلون * وعن الأرز المفلفل باللحم الضاني تاركون * وعن البقلاوة في الصواني مُعرضون * وعن الإوزّ السمين والدجاج المحمر لاهون * فما هذا يا إخواني إلا أحوال المفلسين * وأفعال الفقراء المقلّين * فجدّوا رحمكم الله في تحصيل الدراهم لتغتنوا المأكل النفيسة * والمطاعم اللذيذة * فقد قال الإمام سيّدنا علي (كرّم الله وجهه) : صاحب العلم والفهم لذة الدنيا ثلاث أكل اللحم وركوب اللحم وإدخال.... فمن أنعم الله عليه فليشكر * ومن أحرمه فليصبر *[٩٦].

---

[٩٥] https ://www.alukah.net/library/0/51100/#ixzz5uDAc5JDU

[٩٦] للتفصيل : الشربيني ، يوسف بن محمد ، هزّ القحوف بشرح قصيد ابي شادوف ، ص٢٩٨.

وكان الدكتور عماد وفيًّا لمصر ولأيام الدراسة فيها فلم يكتف بتأليف ما ذكرناه فقط ، بل حقَّق كتاب: أعمال بلاد الديار المصرية[٩٧] لمؤلف مجهول من القرن التاسع للهجرة ؛ إذ حظيت مصر في عهد المماليك بتصنيف مجموعة من الكتب التي صنَّفها مَنْ لهم دراية بالزراعة وضرائبها وأقسامها الإدارية تكشف عن دقة الإدارة المصرية وقوتها وإحكام هيمنتها على هذه الشؤون المهمة ، وتوضح من جهه أخرى استقرار شؤون الملكية الزراعية فى هذه البلاد وقدرة مؤسساتها على ضمان سبل انتقالها من المالكين وإرثها من جيل لآخر.

وفي سنة (٢٠١٥م) كنت رئيس لجنة مناقشة لإحدى الطالبات من جامعة تكريت ، وبما أن الوضع في هذه المحافظة والمحافظات المجاورة لها تحت سيطرة عصابات داعش ، فقد جرت المناقشة في محافظة كركوك ، وتطلب مني أن أسافر بالطائرة إلى أربيل ومنها برًّا الى كركوك ، وكانت فرصة طيبة أن التقي بالأستاذ الدكتور عماد عبد السلام حيث يستقر في أربيل ، اتَّصلتُ به هاتفيًّا وقلتُ له: أنا هنا في أربيل وأريد اللقاءَ بكم ؛ وبطريقة ما أخذ اسم الفندق ، وإذا به يزورني مساءً بنفسه ومعه حرمه الدكتورة بروين بدري ، وجلسنا نتجاذب الحديث عن الجانب الاجتماعي والعلمي ، وعلى الرغم من أنني وجدته متعبًا بعض الشيء إلّا أنه تحدّث عن نشر أكثر من ثمانية كتب مؤلفة ؛ منها: سبق وأن ذكرناه ؛ هي: ألفاظ ريفية مصرية في القرن السابع عشر ، وأعمال بلاد الديار المصرية ، ورحلة عبد القادر أبي السعود المقدسي ، وجغرافية ابن البيطار ، وكتاب محمود بن

---

[٩٧] (القاهرة : المكتب العربي للمعارف ، ٢٠١٥م)

عثمان الرحبي (كان حيّا سنة ١١٦٢هـ/١٧٤٩م)[٩٨] الموسوم: بهجة الأخوان في ذكر الوزير سليمان[٩٩] ، الذي يسلط الضوء على عصر المماليك في العراق ، الذي بدأ في عهد سليمان باشا (أبو ليلة) وحسن باشا وابنه أحمد باشا ، وكان ظهورهم في العراق جزءًا من ظاهرة عامة انطبعت آثارها في أرجاء الدولة العثمانية ، بسبب غياب حكومة عثمانية مركزية قوية قادرة على ممارسة سلطتها فيها ، وازدياد نفوذ القبائل البدوية والريفية على المدن وإحكام سيطرتها عليها ، وينتمي المماليك إلى جنس القوقازي في منطقة تفليس التابعة لبلاد الكرج (جورجيا) وهي مصدر تجارة الرقيق الأبيض (كوله مند) ، وكان المماليك يتم اختيارهم للجيش النظامي العثماني (الينكجرية=الانكشارية) وللمناصب السياسيّة والعسكرية ، بعد إتمامهم لدراستهم وتدريبهم وانضمامهم إلى صفوف أغوات الداخل (إيج أغاسي) حيث يكون تحت إمرة (السلحدار) في أثناء الحروب ، وبذلك يعدّ كتاب الرحبي مصدرًا مهمًّا لدارسي هذه

---

[٩٨] مفتي الحلة ، الذي تسمى باسمهم عقد (عگد المفتي) كما يروي الحليون أي : زقاق المفتي الشيخ محمود الزهاوي ؛إذ كان مفتيا للحلة وبعد وفاة الشيخ محمود (١١٦٢-١٢٤٧هـ/ ١٧٤٩-١٨٣١م) تولى الافتاء من بعده آل الرحبي وسكنوا العقد نفسه وكان ؛ منهم : الشيخ عثمان الرحبي الذي تولى بعده ابنه الشيخ محمود ، وكان ابن أخ محمود وهو محمد عبد الغفار بن عثمان مفتيًا في بغداد وله كتاب بعنوان : المشتاق لعلماء بغداد ، وعندما أصبح أحمد بن محمد سعد بن محمد بن الغفار نائب الحلة في إسطنبول غيَّر لقبه إلى (قاضي جبران) بدلًا من الرحبي وتلقب به أبناؤه وأحفاده.

[٩٩] (دمشق : دار الزمان ،٢٠١٥م).

الحقبة ، استطاع المحقِّق الدكتور عماد عبد السلام أن يحققه ويدّرسه ويقدّمه بشكل قشيب .

وكتاب : الخليج العربي في تقارير مراسلي جريدة الزوراء[١٠٠] ، ومحتوى الكتاب واضح من عنوانه ، وكتاب: عادلة خاتون ، صفحة من تاريخ العراق ، طبعة مزيدة بوثائق جديدة[١٠١] ، وكتاب : مؤرخون سريان محدثون ، دراسة في تطور منهج البحث التاريخي[١٠٢] ، والدكتور عماد عبد السلام من المهتمين بالبحث التاريخي ومناهجه ورواده ، فله كتاب مهم جدا ؛ بعنوان : التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني[١٠٣] ، ولأهمية هذا الكتاب قام الدكتور عبد الوهاب شانع من مركز الدراسات الإسلامية في جامعة لاغو في ولاية قانسو شمال غرب الصين بترجمة فصول من الكتاب الى اللغة الصينية ، اختارها الدكتور جمال الدين الكيلاني ونشرت بمجلة الولاية تباعًا مع تعريفٍ وافٍ بالمؤلِّف سنة (٢٠١٦م).

والمطَّلع على إنتاج المؤرِّخ عماد عبد السلام يجده يهتم كثيرًا بالتاريخ الاجتماعي أكثر من غيره ، ولاسيما في الأُسر والبيوتات البغدادية ، فنجده يحقِّق كتاب محمد سعيد بن الغني عبد بن محمد الراوي المدرس بالمدرسة القادرية وصاحب المؤلفات في الفقه والقضاء والعقيدة ، ويقال تولى كليدار

---

[١٠٠] (القاهرة : دار المكتب العربي للمعارف ، ٢٠١٥م).

[١٠١] (دمشق : دار الزمان ، ٢٠١٥م).

[١٠٢] (بيروت : دار الرافدين ، ٢٠١٥م).

[١٠٣] (بغداد : دار واسط ، ١٩٨٣م) وطبعة منقحة ومزيدة (لندن : دار الحكمة ، ٢٠٠٩م).

الحضـرة الكاظميـة مـدة مـن الـزمن ، الموسـوم: تـاريخ الأسـر العلميـة فـي بغـداد[١٠٤] ، يتنـاول تـاريخ الأسـر العلميـة فـي بغـداد فـي القـرن الثـاني عشـر للهجـرة ، وكـان فـي هـذا القـرن نهـوض ثقـافي وفكـري ، وحقَّق كتـاب: عبـد الـرحمن حلمـي العباسـي السـهروردي (١٢١٣-١٢٨٧هـ/ ١٧٩٨-١٨٧٠م) الذي ورث عن آبائه وأجداده الاهتمام بتاريخ مدينة بغداد فألف كتاب: بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة[١٠٥] ، وأضـاف عليـه العلاّمـة عماد عبد السـلام ملحقًـا يحتـوي ثبتًـا بأسـماء العوائـل البغداديـة فـي العصـر العثمـاني مستخرجة من الوقفيات والحجج الشرعية ، والكتاب يعكس جانبًا من التكافل الاجتماعي في بغداد بعد طاعون سنة (١٨٣١م) الذي حصد أرواحَ أغلب سكان بغداد ، وحقق كتاب: تاريخ القراغول ، تأليف عبدالستار عبدالوهاب عبدالقادر القراغولي (١٩٠٦-١٩٦١م)[١٠٦] ، وهـو شـاعر وتربـوي كـان لـه أثـر واضـح فـي المشـهد الثقـافي فـي العهـد الملكـي وتـدرَّج فـي مهنتـه (معلـم) إلـى مـدير للمعـارف ، وكـان مـن مؤسِّسـي نـادي المثنـى ، وكتابـه سـلط الأضواء علـى قبيلتـه (القراغول) تاريخًا ونسبًا ، ولـه مؤلَّف آخر عن: تاريخ الخدمـة النسـوية العامـة فـي العـراق[١٠٧] ، ومنـه اسـتقى كتابـه الآخـر: مـن الخـدمات النسـوية العامـة فـي بغـداد ، الـذي تـرجم إلـى الإنكليزيـة والفرنسـية

---

[١٠٤] (بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٧م).

[١٠٥] (بغداد : مكتبة الجواد ، ١٩٩٨م).

[١٠٦] (بغداد : مطبعة أنوار دجلة ، ٢٠٠٦م).

[١٠٧] (بغداد : الاتحاد العام لنساء العراق ، ١٩٨٦م).

والاسبانية[١٠٨] ، كما ألّف كتابًا عن: تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد[١٠٩] ، وبصفته تربويًا ومربيًّا فقد اهتم بتأليف الكتب عن التربية والتعليم والمدارس ورموزها ؛ منها كتابه : مدارس بغداد في العصر العباسي[١١٠] ، وكتابه: المدرسة العلية في بغداد[١١١].

وعطاء العلاّمة عماد عبد السلام رؤوف لم يتوقف فهو زاخر مستمر الفيض ، ففي نهاية سنة (٢٠١٨م) كلفت من الوقف الشيعي بترؤّس اللجنة العلمية لدراسة أبواب سور مرقد الإمام موسى الكاظم (ع) وعرضتُ على اللجنة أن نستفيد من المهتمين بهذا الموضوع مِمَّن لهم باع كبير في دراسة المراقد والمساجد وآثارها في التاريخ الحديث ، وأول ما تبادر الى ذهني الاتصال بالخططي عماد عبد السلام ، وقبل ذلك وفي أثناء الاجتماع ذكرت أهم منجزاته في مجالي التحقيق والتأليف والتي منها: تحقيق ودراسة كتاب : خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد ، لمحمد سعيد الراوي[١١٢] ، وتأليف كتاب: معالم بغداد في القرون المتأخرة[١١٣].

---

[١٠٨] (بغداد : دار المأمون ، ٢٠١٤م).

[١٠٩] (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠١م).

[١١٠] (بغداد : دار البصري ، ١٩٦٦م).

[١١١] (بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٦م).

[١١٢] (بغداد : الوقف السني ، ٢٠٠٦م) وله طبعة سنة ٢٠١٤م.

[١١٣] (بغداد : بيت الحكمة ، ٢٠٠٠م) وطبعة ثانية موسعة (بغداد : الوقف السني ، ٢٠١٦م).

والمشهور عن الموسوعي الأستاذ الدكتور عماد ، أنه فارس التاريخ الحديث وله كتب مهمة في هذا المجال منها كتابه المنهجي المشترك : التاريخ الحديث والمعاصر للوطن العربي[١١٤] ، وكتابه: الخليج في تقرير مراسلي جريدة الزوراء[١١٥] ، كذلك نجده يكتب في التاريخ العربي والإسلامي ؛ منها: كتابه الذي سبق وأن ذكرناه ؛ مدارس بغداد في العصر العباسي[١١٦] ، وكتابه : دعوة أبي هاشم وحزبه ؛ دراسة في فجر الدعوة العباسية[١١٧] ، تناول فيها الدعوة العباسية منذ التأسيس حتى قيام الخلافة العباسية ، وهو كتاب مهم في تجذير التاريخ العباسي ، ولا يستغني عنه المختصّون والباحثون في هذا المجال ، وكذلك بحث في عصور ما بعد نهاية الخلافة العباسية سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) منها : موقف المماليك من التتار في كتابه معركة عين جالوت[١١٨] ، وله كتاب جميل بعنوان : علم الأحجار الكريمة عند العرب[١١٩] ، كما أعدَّ وقدَّم كتاب المرحوم الدكتور خالد العسلي : دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام والعهود الإسلامية المتأخرة ، في جزءَين[١٢٠].

---

[١١٤] (بغداد : وزارة التربية ١٩٨١م).

[١١٥] (القاهرة : المكتب العربي للمعارف ، ٢٠١٥م).

[١١٦] (بغداد : دار البصري ، ١٩٦٦م).

[١١٧] (بغداد : دار الجاحظ ١٩٧٨م).

[١١٨] (بغداد : دار الحرية ، ١٩٨٦م).

[١١٩] (بغداد : مطبعة المتنبي ، ٢٠٠٥م).

[١٢٠] (بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ٢٠٠٢م).

والتاريخ عند العلاّمة عماد عبد السلام ، هو البحث والتجذير في البيئة المحيطة به ، فهو تلبية لحاجة المجتمع ، وبما أنَّه استقر في شمال العراق ، بعد سنة (٢٠٠٤م) فقد أسهم كثيرًا في المشهد الثقافي هناك وحقّق وألف أكثر من كتاب ، منها ما ذكرناه سابقًا ومن ذلك كتاب: روضة الأخبار في ذكر أفراد الأخيار[١٢١] ، لمؤلف مجهول ، ويتناول تاريخ ولاة بغداد والموصل وأمراء بابان وسوران وبهدينان ، وكتاب محمود الرحبي ؛ الموسوم : بهجة الأخوان في ذكر الوزير سليمان[١٢٢] ، والّف كتابًا بعنوان: مراكز ثقافية مغمورة في كردستان[١٢٣] ، وهي دراسة في أهم المراكز التي ظهرت في كردستان في القرون المتأخرة ، كذلك نشر: دراسات وثائقية في تاريخ الكرد الحديث وحضارتهم[١٢٤] ، وتناول جوانب من تاريخ الكرد في العصر الحديث معتمدا على وثائق وتأليف غير منشور من الأرشيف العثماني والارشيف المصري فضلا عن وثائق محلية ونصوص تاريخية كتبها مؤرخون محليون .

ونشرت له الأكاديمية الكردية كتابين الأول : المعجم التاريخي لأمارة بهدينان[١٢٥] ، وهي إمارة عباسية تُسمّى بإمارة العمادية (٧٤٠هـ-١٢٥٨هـ/١٣٣٩م-١٨٤٢م) نسبة إلى عاصمتها ، وحكامها من ذرية الأمير

---

[١٢١] (السليمانية : دار زين ، ٢٠١٠م) ؛ (بيروت : العربية للموسوعات ، ٢٠١١م).

[١٢٢] (دمشق : دار الزمان ، ٢٠١٥م).

[١٢٣] (أربيل : موكرياني ، ٢٠٠٨م).

[١٢٤] (أربيل : وزارة الثقافة ، ٢٠١٨م).

[١٢٥] (أربيل : مطبعة الهاشم ، ٢٠١١م).

المبارك ابن الخليفة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين في بغداد ، وأول حكامها ومؤسسها هو الملك خليل بن الملك عز الدين بن الأمير محمد بن الأمير المبارك (٧٣٩-٧٤٢هـ/ ١٣٣٤-١٣٣٩م) ، والكتاب الآخر عن : شواهد المقبرة السلطانية في العمادية[١٢٦] ، وهي دراسة تاريخية آثارية مهمة عن آثار مدينة بهدينان في المقبرة السلطانية أو مقبرة الأُمراء في العمادية ، وفي هذه المقبرة اليوم ضريحان الأول قبر السلطان حسين وهو السلطان الرابع الذي حكم الإمارة نحو أربعين سنة وتوفي في سنة (٩٨٤هـ) والآخر لروشن بنت إسماعيل باشا (ت: ١٤٠٣هـ) ويبدو أن لها مكانة عند العائلة لذلك دفنت في مقبرة الأمراء ، وقد حافظ هذان الضريحان على بقائهما أكثر من أربعة قرون ، وكانت مقبرة الأمراء أو السلاطين تحتوي على عدد من المقابر لكن الزحف العمراني قضى عليها.

اهتمَّ المؤرخ الدكتور عماد عبدالسلام بدراسة الشخصيات التاريخية المؤثرة في مجال حيزها الزمكاني ، فألّف كتابًا عن: عبدالله السويدي ؛ سيرته ورحلته[١٢٧] ، وهو لغوي وكاتب عراقي من القرن الثامن عشر الميلادي (١١٠٤-١١٧٤هـ/١٧٩٢-١٧٦١م) درس في المدرسة المرجانية ، له مؤلفات متعددة ؛ منها: رشف الضرب في شرح لامية العرب ، والنفخة المسكية في الرحلة المكية ، وشرح صحيح البخاري وغيره ، كما ألّف كتابًا عن المربي: محمد رؤوف العطار من روّاد التربية والتعليم في العراق[١٢٨] ،

---

[١٢٦] (أربيل : مطبعة الهاشم ، ٢٠١١م).

[١٢٧] (بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٦م).

[١٢٨] (بغداد : مطبعة أسعد ، ١٩٨٨م).

ويدخل هذا في تاريخ العائلة العلمية ؛ فهو جَدُّ المؤرخ الدكتور عماد عبدالسلام ولد في الموصل سنة (١٨٧٨م) ودرس فيها وفي كركوك وبغداد والبصرة ، تعاون مع ساطع الحصري[١٢٩] في كتابة المنهاج ، تخرج من

---

[١٢٩] (أبو خلدون) (– ٢٤ كانون الأول ١٩٦٨) مفكر سوري وأحد مؤسسي الفكر القومي العربي ، ولد في صنعاء باليمن في (١٧ شعبان ١٢٩٦هـ/٥ آب ٢٨٧٩م) ، وكان أبوه محمد هلال الحُصري موظفا فيها ، ثم درس في المدارس التركية وتخرج منها ونال عدة وظائف تعليمية وإدارية ، وعين مديرا لدار المعلمين في إسطنبول ، ثم عين محافظا لبعض الولايات في البلقان ، وكانت نزعته طورانية تركية بحتة ، وعمل مع جمعية الاتحاد والترقي ، وقد نشر عدة مقالات في الدعوة إلى الطورانية والتتريك في مجلة (تورك أوجاني) ثم انقلب بين عشية وضحاها ليصبح رائدا من رواد القومية العربية وكانت في لغته رطانة ، وشغل عدة مناصب في بلاط السلطان عبد الحميد الثاني حتى سقوط دولة الخلافة العثمانية ثم رحل إلى دمشق سنة (١٩١٩م) ، تولى في دمشق منصب وزير التعليم وعمل على وضع مناهج التعليم العربية وكانت لهُ علاقات مع كبار المفكرين والعلماء في سوريا إلى أن خلع الملك فيصل الأول سنة (١٩٢٠م) ، عندما ولي الملك فيصل الأول على عرش العراق وجاء معه ساطع الحصري ، عينه معاونا لوزير المعارف ثم مديرا للآثار وتولى إدارة دار المعلمين العالية في بغداد ، وكان الحصري علمانيا فلم يبد اهتماما بدروس الدين في المناهج المدرسية ، بل جعل درس الدين لا قيمة لهُ ، وكتابه القراءة الخلدونية للصف الأول الابتدائي لا تجد فيه كلمات عن (الله ، الرسول ، كعبة ، قرآن ، قبلة ، صلاة) وغير ذلك من الألفاظ الإسلامية ، وكانت له خصومة مع فهمي المدرس بسب موقف الحصري ضد جامعة آل البيت وكتب المدرس عدة مقالات حول مسألة الجامعة ، ولكن بقي الحصري مسؤولا عن التعليم في العراق وعلى تطوير مناهج التعليم فيها ، وظل يدعو إلى فكرة القومية العربية إلى أن قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني سنة (١٩٤١م) ، فقام الإنجليز بنفي ساطع الحصري إلى حلب فتسلل منها إلى بيروت

مدرسة الحقوق سنه ١٩٢٤م ، كان مديرا للمعارف في عدة ألوية (محافظات) في عشرينيّات القرن الماضي ، توفي سنة (١٩٦٠م)[١٣٠] ، ويذكر في هذا المجال أن والد الدكتور عماد عبد السلام ، هو المهندس عبد السلام رؤوف أول مدير عام لبلدية إمارة دبي في أربعينيّات القرن الماضي .

وكتب عن : ضياء جعفر ؛ سيرة وذكريات[١٣١] ، ومن كتبه الوثائقية عن الشخصيات كتابه الموسوم: الملفة الشخصية للواء الركن عبد الكريم قاسم[١٣٢] ، وقد ضَمَّ الكتاب (٢٠٠) وثيقة رسمية ، ظهرت فيها كثرة ديون عبد الكريم قاسم واجازاته المرضية ، والكتاب يميط اللثام عن خفايا مهمة عن شخصيته من إضبارته الشخصية ، ولم يكتفِ بالكتابة عن الشخصيات السياسة المؤثرة ، بل تناول شخصيات ثقافية ؛ منها كتابه الموسوم : عبلة العزاوي ؛ رحلة بين بين الطين والروح ؛ سيرة شخصية وفنية[١٣٣] ، وعدها

حتى عاد مرة أخرى إلى دمشق سنة (١٩٤٤م) حيث قامت الحكومة السورية المستقلة بتكليفه للعمل كمستشار لصياغة النظام التربوي والتعليمي في البلاد واهتم بالفكر القومي وبتطوير مناهج التعليم. عين مديرا لمعهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة سنة (١٩٥٣م) ، وفي سنة (١٩٦٥م) ، عاد إلى العراق وتوفي في بغداد في (٤ شوال ١٣٨٨ هـ/ ٢٣ كانون الأول ١٩٦٨م) ، وصلى على جنازته الحاج معتوق الأعظمي في جامع أبي حنيفة ، ودفن في مقبرة الخيزران ، في الأعظمية ، قرب مرقد الشيخ رضا الواعظ. (https ://ar.wikipedia.org/wiki/).

[١٣٠] موقع الدكتور عمر الطالب ، اعلام الموصل في القرن العشرين.

[١٣١] (بغداد : مطبعة الأديب ، ١٩٩٧م).

[١٣٢] (السليمانية : مؤسسة زين ، ٢٠١٢م).

[١٣٣] (بغداد : ٢٠٠٥م).

الخزافة الأولى في العراق ، ولدت عبلة يوسف نجم الدين سنة (١٩٣٥م) في بغداد وقضت سنوات تعليمها الأولى في مدرسة الجادرية الابتدائية وعاشت في أجواء تتخللها (العقد) و(الشناشيل) و الأزقة الضيقة والأبواب الضخمة ، أكملت دراستها في معهد الفنون الجميلة ، ومن أعمالها الكبيرة جدارية ضخمة أنجزتها سنة (١٩٨٢م) تمثِّل مدينة بغداد موضوعة عند بناية المصرف العقاري في الكرخ ، أقامت معرضها الشخصي الرابع عشر في قاعة المركز الثقافي في باريس في شهر نيسان سنة (٢٠٠٢م) توفيت يوم (٦/ كانون الثاني/ ٢٠١٦م) ، من هذا الكتاب نكتشف أن روح الجمال والفن موجودة عند الدكتور عماد ولايستبعد أن يكون له إنتاجٌ إبداعيٌّ فنيّ في مجال النحت والرسم وغيره ، وألَّف الموسوعي الدكتور عماد كتابًا عن الشيخ جمال الدين أبي المواهب سلطان بن ناصر بن أحمد الجبوري الخابوري (١٦٦٠-١٧٢٧م)[١٣٤] ، بعنوان : شيخ الاسلام سلطان بن ناصر الجبوري[١٣٥] ، ومن الذين كتب عن الشيخ نفسه بعده : عبدالله الجبوري ، بعنوان : شيخ الإسلام الشيخ سلطان بن ناصر الجبوري الخابوري البغدادي (١٠٧٢-١١٣٨هـ)[١٣٦] ، وله كتاب بعنوان : صفاء الدين عبسي ؛ حياته

---

[١٣٤] ولد في منطقة نهر خابور في سوريا ، ثم انتقل الى الموصل ، ورحل الى بغداد ، ودرس على يد أكابر علماءها ، ثم درس في المدرسة المرجانية والمدرسة الإسماعيلية ، ومن تلاميذه : عبدالله السويدي ، وللشيخ سلطان ذرية في كرخ بغداد ، تعرف ب(بيت الهندي) ومن أحفاده الفنان والمخرج الكبير إبراهيم جلال (١٩٢١-١٩٩١م) وهو من أكابر علماء العالم الإسلامي في حينه.

[١٣٥] (اربيل : ٢٠٠٨م).

[١٣٦] (بغداد : مطبعة هيئة ادارة واستثمار اموال الوقف السني ، ٢٠١١م).

وآثــاره[١٣٧] ، (١٢٠٣-١٢٨٣هــ/١٧٨٨-١٨٦٦م) وهــو صــاحب كتــاب : جامع الأنوار في مناقب الأخبار ؛ تراجم الوجوه والأعيان المدفونين في بغداد ومجاورها مـن الـبلاد[١٣٨] ، وهـو كتـاب موسـوعي يتنـاول نخبـة مـن الأعـلام الذين تركوا بصماتهم على المشهد الثقافي في المراحل التاريخية الإسلامية المختلفة ، فهو تصنيف مهم في تراجم الرجال .

ومن كتبه عن الشخصيات كتاب ؛ بعنوان : محمد سعيد الزهاوي ، سيرته ومخطوطاته[١٣٩] ، وهو ابن محمد فيض الزهاوي (ت١٣٠٨هـ) ، ولد في بغداد ومات فيها (١٢٦٨- ١٣٣٩هـ/١٨٥١-١٩٢١م) كان مدرِّسًا في مدرسة السليمانية في عهد الوالي حسن باشا سنة (١٩٠٨م) بعد إعلان

---

(١٣٧) (أربيل : مطبعه المنار ، ٢٠٠٩م).

(١٣٨) تـح : اسـامة ناصـر النقشـبندي ومهـدي عبـد الحسـين الـنجم (بيـروت : الدارالعربيـة للموسوعات ، ٢٠٠٩م).

(١٣٩) (اربيل : مطبعة المنار ، ٢٠٠٩م).

المشروطية الثانية[١٤٠] ، ترأس مجلس إصلاح المدارس ، ووكالة قاضي بغداد ، وبعد الاحتلال البريطاني للعراق عين مديرًا لأوقاف بغداد ثم رئيسًا لمجلس التمييز الشرعي .

وله كتاب عن : السلطان حسنين الولي أمير بهدينان[١٤١] ، تناول فيه إسهام الامارة العباسية –التي ظهرت في شمال العراق واستمر حتى السيطرة العثمانية– في النهضة العلمية وأوج عظمتها في زمن السلطان حسن وابنه السلطان حسين ، ومن كتبهِ عن الشخصيات كتابهِ: ابراهيم الكوراني

---

[١٤٠] نقصد بالمشروطية الأولى (مشروطيت) : تشكيل السُلطان العُثماني عبد الحميد الثاني لجنة باسم المجلس الخاص لتحضير وكتابة الدستور الأول للدولة ، وأعلن هذا الدستور باسم القانون الأساسي في (٢٣ كانون الاول ١٨٧٦م) وافتتح المجلس العمومي الذي يتكون من مجلس المبعوثان في (١٩ آذار ١٨٧٧م) ، قام السُلطان بإحالة المجلس في (١٣ حزيران ١٨٧٧م) حتى إعلان المشروطية الثانية ، بعد أربعة عشر عاما وهي المدة التي بدأ فيها إعلان الدستور العثمانى من جديد في (٢٤ تموز ١٩٠٨م) بعد أن ظل معلقا تسعة وعشرين عاما –تعد التصفية النهائية للدولة العثمانية في (٥ تشرين الثاني ١٩٢٢م)– تعرف فيها المجتمع في الأربعة عشر عاما على مفاهيم جديدة ؛ مثل : الديمقراطية البرلمانية ، والانتخابات ، والحزب السياسى. وشهد حربان وعايش (حرب البلقان والحرب العالمية الأولى) وانهيار الإمبراطورية التي عمرت ٦٠٠ سنة . (https ://archive.is/PQZNb موقع مجلس الامة التركي الكبير).

[١٤١] (أربيل : مطبعة المنار ، ٢٠٠٩م).

الشـهرزوري[١٤٢] ، وهـو مـن أعـلام الصـوفية النقشـبندية (١٠٢٥-١١٠١هـ) وله مؤلف بعنوان : ضياء المصباح في شرح بهجة الأرواح.

لا يمكن لباحث منشغل[١٤٣] أن يتابع ما قدّمه الموسوعي عماد عبد السـلام رؤوف للثقافـة العراقيـة والعربيـة ، إلا إذا انقطـع لـه بالدراسـة العليـا (الماجستير والدكتوراه) ؛ لغرض تتبُّع نتاجه العلمي ووصفه على نار هادئة ، فنتاجهُ غزير والأكثر من ذلك أن بحوثه لم توثق ولا شَكَّ أنَّ فيها كثيرًا من الأشـياء التـي لـم نعرفهـا عنـهُ ، فكتـب فـي مجـلات علميـة محكمـة عراقيـة وخليجيـة وعربيـة ولـه إسـهامات ثقافيـة فـي الصـحافة المقـروءة والمسـموعة (الإذاعة والتلفاز) بها حاجة الى باحث آخر مختص يتابعها[١٤٤].

العلاّمـة عمـاد عبدالسـلام رؤوف العطـار العباسـي : بحـر زاخـر مـن الإبـداع ، فهـو مُوثّـق ومحلـل للتـاريخ الحـديث عميـق الفكـر غزيـر المـادة

---

[١٤٢] (أربيل : مطبعة منارة ، ٢٠١٠م).

[١٤٣] شـاءت الصـدفة وأنـا اكتـب هـذا المقـال أن اكتشـف الأطبـاء أنـي مصـاب بمـرض (Lung Cancer) – عافاكم الله – ، فكانت مدة علاجي ونقاهتي هي سياحة في فكر العلامة عماد عبدالسلام وإبداعه وتسجيل بعض الذكريات الجميلة التي لم يعكر صفوها طارئ ، سوى الاحترام والحب المتبادل ، أطال الله في عمره وحفظ عائلته.

[١٤٤] هنـاك دراسـة مهمـة قدمها احد تلامذة الـدكتور عمـاد ؛ النجبـاء والأفيـاء ، هوالـدكتور أحمد ناجي الغريري معنونة بـ " عماد عبد السلام رؤوف ... أربعون سنة في دراسة التـاريخ وكتابتــه (النجـف : دار الأنــدلس ٢٠٠٥م) ، وتربطنــي بالــدكتور احمــد علاقة طيبة فهو على خلق عالية اذا وعد وفى ؛ حلو المعشر ، مبدع في مجال تخصصه ، وقد اطلعت على سيرته العلمية وجدتها غزيرة النتاج العلمي يحذو حذو بأستاذه العلامة عماد عبدالسلام رؤوف .

العلميـة ، لـه أسـلوب مـاتع وعبـارات رشـيقة وبيـان ناصـع ، يشـد القـارئ بالاستمرار فـي قراءة إنتاجه ، إنـه واحد مـن المثقفين الأكاديميين المشـهورين في النصف الثاني من القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين ، عاش مسيرة علمية شاقة أخذت الكثير من حياته والسبب شغفه بالتاريخ والثقافة ، فَقَدَّم– ولا يزالُ يقدِّمُ حتى يومنا هذا – نتاجا علميا كبيرا وغزيرا .. أطال الله في عمره .

التحليل البنيويّ للنصّ القرآنـيّ
سورة القصص أنموذجا

الأستاذة الدكتورة
لطيفة عبد الرسول عبد الضّايف
كليّة الآداب / الجامعة المستنصريّة

الملخص :

يكاد يجمع الدارسون والباحثون على أنّه لا يوجد تعريف دقيق ومحدد لمفهوم النّص ؛ لأنّ كلَّ دارس ينظر إليه من زاويته الخاصة ، وبحسب العلم الذي ينتمي إليه ، وانطلاقا من خلفياته المرجعيّة التي تحكمه ، وتؤثر فيه ، فضلا عن أنّ النّص ظلّ محكوما بسلطتين هما : الأولى : سلطة إنتاجه . الثانية : سلطة قارئه .

ورد في تعريفه بأنّه : "بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات . وقد تربط هذه العلاقات بين جملتين أو بين أكثر من جملتين" .

والنّص أيضا : ظاهرة لغويّة ، يزيد فيها المعنى على اللفظ ، تجمع بين الجملة والكلام والقول والتبليغ والخطاب والنظم ، أي مستوى التركيب .. ومستوى الدلالة والخطاب الذي يحتاج إلى متكلم وسامع ورسالة ومقام خاص بهذا الخطاب ، ومن جانبٍ آخر هو التفسير والتأويل والشرح ، في حالة أنّ النص يتمحور حول حضارة أو ثقافة خاصة بشعبٍ عريق ، وهي

من الممكن أن تكون كل ما يكتب ، ويعبر عن أفكار وموضوعات مختلفة ، وهنا نختص بهيئات النص ، الذي قد يكون نثرا ، أو شعرا ، وفي علوم الفقه والتشريع ، يعرف النص بأنّه جزءٌ من القرآن أو السنة .

من هنا جاء البحث ليسلط الضوء على النّص المقدّس (سورة القصص أنموذجا) ويقف على تحليل آياته المباركة تحليلا بنيويا ؛ لبيان أجزائه ، ووظيفة كل جزء فيها ويقوم على الشرح والتفسير والتأويل والعمل على جعل النص واضحًا جليّا . ومن هذا المنطلق جاء التركيز على اللغة والأسلوب والعلاقات المتبادلة بين الأجزاء والكل ، لكي يصبح معنى النص ورمزيته واضحَين ، من حيث يعتمد التلخيص لما فيها من تنظيم المعلومات بشكل منطقي ، وقدرةً على فهم النص .

نص الآيات المباركة من سورة القصص :

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ

فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (١٧) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (١٨) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩) وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي

سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨)) .

مفهوم النّص

يكاد يجمع الدارسون والباحثون على أنّه لا يوجد تعريف دقيق ومحدد لمفهوم النّص ؛ لأنّ كلَّ دارس ينظر إليه من زاويته الخاصة ، وبحسب العلم الذي ينتمي إليه ، وانطلاقا من خلفياته المرجعيّة التي تحكمه ، وتؤثر فيه ، فضلا عن أنّ النّص ظلّ محكوما بسلطتين هما :

الأولى : سلطة إنتاجه .

الثانية : سلطة قارئه .

وكل منهما يتمتع بسلطته ، وقد تعددت التعريفات ، وتباينت الآراء في هذا المفهوم .

وسنقف على معناه اللغوي ، ثم نعرّج على المعنى الاصطلاحي .

النّص في اللغة :

الـنّص فـي المـادة المعجميّـة واللغـة مسـتمدة مـن الفعـل : " نصـص" النص : رفعك الشـيء . نص الحديث ينصـه نصـا : رفعـه . وكل مـا أظهـر فقد نص . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزُّهري ، أي أرفـع لـه وأسـند . يقـال : نـص الحـديث إلـى فـلان أي رفعـه ، وكـذلك نصصـته إليـه . ونصـت الظبيـة جيدها : رفعتـه . ووضـع علـى المنصـة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور . والمنصة : ما تظهر عليه .

وكل شيء أظهرته فقد نصصته . والمنصـة : الثياب المرفعة ، ... ، ونص المتاع نصا : جعل بعضه على بعض . ونص الدابة ينصها نصا : رفعهـا فـي السـير وكـذلك الناقـة . وفـي الحـديث [1] : أن النبـي – صـلّى الله عليه وآله وسلّم – حين دفع من عرفات سار العنق فإذا وجد فجوة نص . أي رفـع ناقتـه فـي السير وقد نصصت نـاقتي ... ، والـنص والنصيص : السـير الشديد والحث ؛ ولهذا قيل : نصصت الشـيء رفعته ومنه منصة العروس . وأصل النص أقصى الشيء وغايته ، ثم سُمّي بـه ضـرب من السير سريع . ابـن الأعرابـي : الـنص الإسـناد إلـى الـرئيس الأكبـر والـنص التوقيـف والـنص التعيين علـى شـيء مـا ونـص الأمـر شـدته ، فـالنّص إذن يعنـي كـل شـيء ظاهر وواضح . " [2]

---

[1] مسند أبي عوانة : ٣ / ٣٧٧ .

[2] لسان العرب : ١٤ /٢٧٢ " ، وينظر : مقاييس اللغة : ٥ / ٩٨ وما بعدها .

أما في الاصطلاح

فمعنى النّص سيكون بحسب المجال المعرفي الذي تتم فيه الدراسة، ففي اصطلاح الأصوليين يدل النص على "مَا لَا يحْتَمل إِلَّا معنى وَاحِدًا أَو ما لَا يحْتَمل التَّأْوِيل " . [٣]

أما عند أهل الحديث فقد جاء بمعنى الإسناد ، والتعيين ، والتحديد ، فيقولون نصّ عليه في كذا. ونجده عند الفقهاء بمعنى الدليل الشرعي كالقرآن، والسنة ، ومنه قولهم : " لا اجتهاد مع النص" [٤] .

ولدينا مجموعة من المساهمات العربية لعدد من الباحثين ، ومنهم طه عبد الرحمن الذي يعرف النص بأنه : " بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات . وقد تربط هذه العلاقات بين جملتين أو بين أكثر من جملتين" . [٥]

ويرى **محمّد مفتاح** أن النص " وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة منسجمة " . [٦] ويعرفه أيضا من خلال بعض المقومات الأساسية ، فالنص عنده مدونة كلامية ، وحدث تواصلي ، وتفاعلي ، وله بداية ونهاية ، أي أنه

---

[٣] التعريفات : ١٢٢ .

[٤] المعجم الوسيط : ٢/ ٩٢٦ ، وينظر : النّص الإسلاميّ بين الاجتهاد والجمود والتاريخية ، ٣٣ .

[٥] في أصول الحوار وتجديد الكلام : ٣٥.

[٦] التشابه والاختلاف : ١٥

مغلق كتابيا ، لكنه توالدي معنويا لأنه " متولد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية ... وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له" [٧]

والنّص من **منظور لساني** : (سلسلة من العلامات المنتظمة في نسق من العلاقات تنتج معنى كليّا يحمل رسالة ، وسواء أكانت تلك العلامات علامات باللغة الطبيعيّة ـ الألفاظ ـ أم كانت بلغة أخرى ، فإنّ انتظامها في نسق يحمل رسالةً يجعل منها نصا) [٨]

فالنص إذن بنية لسانية ذات دلالة ، وذات بعد تواصلي ، تحقق الأدبية من خلال مجموعة من المبادئ ، كالانسجام والاتساق وتنتجه ذوات متعددة سواء قبل الكتابة أو أثنائها أو بعدها .

وهو أيضا : ظاهرة لغويّة ، يزيد فيها المعنى على اللفظ ، تجمع بين الجملة والكلام والقول والتبليغ والخطاب والنظم ، أي مستوى التركيب .. ومستوى الدلالة والخطاب الذي يحتاج إلى متكلم وسامع ورسالة ومقام خاص بهذا الخطاب ، ومن جانبٍ آخر هو التفسير والتأويل والشرح ، في حالة أنّ النص يتمحور حول حضارة أو ثقافة خاصة بشعبٍ عريق ، وهي من الممكن أن تكون كل ما يكتب ، ويعبر عن أفكار ومواضيع مختلفة ، وهنا نختص بهيئات النص ، الذي قد يكون نثرا، أو شعرا ، وفي علوم الفقه والتشريع ، يعرف النص بأنّه جزءٌ من القرآن أو السنة ، يروى لاعتبارات مختلفة، وأدوات النص القلم في الكتابة ، واللسان في التعبير ، ومن المتعارف عليه أنّ النحاة والبلغاء لم يستخدموا مفهوم النص كما نستخدمه اليوم ، وإنما كان المعنى

---

[٧] استراتيجية التناص : ١٢٠ ، وينظر : تحليل الخطاب الشعري : ١٢٠ .

[٨] إشكاليّة تاريخية النص في الخطاب الحداثي المعاصر : ٤٩ .

مختلجا في نفوسهم ، وعقولهم ، وأخرجوه عندما رأوا أنّ هنالك حاجة لتوثيق ثقافاتهم ، ومعارفهم ، وعلومهم .

عناصر النص :

هنالك مجموعةٌ من العناصر التي توجد بشكلٍ أساسي في أي نص على اختلاف أشكال النصوص، ومن هذه العناصر ما يأتي :

الألفاظ : وهي أصغر وحدات النص ومكوّناته ، وهنا لا نعني اللفظة بمفردها إذ لا قيمة للكلمة بمفردها ، وإنما نعني اللفظة المتضمّنة ضمن نسقٍ يسمّى السياق ، وبالترابط مع مجموعة من الكلمات والألفاظ الأخرى .

الأفكار : وهذا العنصر من أهم العناصر المعنويّة التي تربط بقية العناصر ، إذ إنّ الأفكار هي العلاقة والأداء ، وهي أيضا الدافع الأساسي لقيام النص .

المعاني : وهذا العنصر أوسع عناصر النص ، ومن خلاله يحكم على النص بالقوة أو الضعف ، وبالجمال أو القبح ، ومن خلال المعاني يظهر مدى إبداع الكاتب وما قيمته ، ومستواه التعليمي .

الخيال : وهو الضرورة الأساسيّة التي يعتمد عليها الكاتب في النص ؛ ليفرغ ما يثقل نفسه في النص من خلال الخيال .

الصور البيانيّة : من أقدم عناصر النص هو الصور، فهي تجسّد كل ما هو معنوي ؛ ليصبح الفهم أقرب للقارئ.

العاطفة : وهي ما يجعل التنوع والتغيير في الألفاظ والمعاني ، والأساليب ، والصور . الأساليب : ومن المفترض أن يجمع الأسلوب بين القوة والوضوح والجمال .

الإيقاع الموسيقي : عنصر الموسيقا من جماليات النص ، فهي تجذب القارئ وتمتعه خلال تلقيه للنص .

والتحليل اصطلاحا :

هو بيان أجزاء الشيء ووظيفة كل جزء فيها ويقوم على الشرح والتفسير والتأويل والعمل على جعل النص واضحًا جليّا . ومن هذا المنطلق يركز الناقد على اللغة والأسلوب والعلاقات المتبادلة بين الأجزاء والكل ، لكي يصبح معنى النص ورمزيته واضحَين ، من حيث يعتمد التلخيص لما فيها من تنظيم المعلومات بشكل منطقي ، وقدرةً على فهم النص . لذا فإنّ قراءة النص على عَجَلٍ لا تعد تحليلا ، فإذا وقف القارئ على النص وقفة سريعة وفهم فيها النص وأدرك مغزاه ، وقرأ ما بين السُّطور ، وكان على وعي بالدلالات الاجتماعية للألفاظ ، وعرف عناصر الجمال والقبح فيه ، دخل في منطقة النقد والتذوق الأدبي . أما عملية التحليل الفني فإنها تحتاج إلى جهد ووقت وخبرة وبحث وتنقير.

تحليل الخطاب لا يلغي الاختصاصات الأخرى ، ولا يقوم مقامها ولا يُغني من تهمة دراسة الخطاب عنها ، فهو ليس ضربا من اللسانيات النّصية ، ولا هو تحليل المحادثة ، ولا هو تيار من تيارات التداولية ، أو فرع من فروع اللسانيات الاجتماعية ، وإن كانت صلته بين هذه الحقول غير منقطعة .

إنّ تحليل الخطاب اختصاص اختار أن ينظر إلى الخطاب من موقع مخلف ، واستطاع بفضل ذلك أن يستحدث موضوعا يمثل نقطة التقاء بين المنتمي إليه مما تنوعت مشاربهم ، وبدت أعمالهم مختلفة المشارب فغير

خافٍ أن وجهة النظر هي التي تخلف الموضوع ، وأنّ الموضوعات ليست ثابتة ، فهي لا تفتأ تتغير كما شهدت المعارف إعادة تشكل مظهرات زوايا نظر جديدة ، وانفرد تحليل الخطاب من وجهة نظر خاصة هو الذي يحول دون ذوبانه في اختصاصات أخرى تشاركه الاهتمام في عدد من المدونات ، فيجعل عمل محلل الخطاب مختلفا عن نظرائه في الاختصاصات الأخرى .

والتحليل البنيوي هو أحد مناهج تحليل الخطاب ، وهو ذلك المنهج الذي لا يبالي بغير النص ، فالظروف والمؤثرات الخارجية ، وحياة المؤلف أمور تهملها البنيوية الأدبية .

غرض السورة الوعد الجميل للمؤمنين ، وهم بمكة قبل الهجرة شرذمة قليلون يستضعفهم فراعنة قريش وطغاتها و اليوم يوم شدة وعسرة وفتنة بأن الله سيمن عليهم ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين ويمكن لهم ويرى طغاة قومهم منهم ما كانوا يحذرون يقص تعالى للمؤمنين من قصة موسى وفرعون أنه خلق موسى في حين كان فرعون في أوج قدرته يستضعف بني إسرائيل يذبح أبناءهم و يستحيي نساءهم فرباه في حجر عدو، حتى إذا استوى وبلغ أشده نجاه وأخرجه من بينهم إلى مدين ثم ردّه إليهم رسولا منه بسلطان مبين حتى إذا أغرق فرعون وجنوده أجمعين وجعل بني إسرائيل هم الوارثين وأنزل التوراة على موسى هدى وبصائر للمؤمنين .

وعلى هذا المجرى يجري حال المؤمنين وفيه وعد لهم بالملك والعزة والسلطان ووعد للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) برده إلى معاد ، وتمثله الآيات من ١ ـ ٦. [٩]

---

[٩] تفسير الميزان : ١٦ / ١٢ .

ونصنا الذي نحن بصدد تحليله تحليلا بنيويا يكمن فيما ما ورد في التنزيل العزيز من سورة القصص من الآية " ١ـ ٢٨ "

قال جلّ شأنه : " **نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقومٍ يؤمنون** "

إذن القصة لم تستوفِ كل مراحل حياة موسى " عليه السلام " ، بل قدّمت بعض مراحلها ؛ لذلك قلنا من قصة موسى " عليه السلام " فـ " من " هنا أفادت التبعيض ، فقد ورد ذكر لرسول الله موسى " عليه السلام " في سور متعددة من سور القرآن الكريم ، إلا أنّ سورة القصص قد فصلت القول في حياة موسى كليم الله منذ ولادته حتى دعوته ، وإرساله إلى قومه .

تحديد موضوع النّص المبارك .

يمكننا تقسيم النّص المقدّس على مقطعين أساسيين ،

الأول : الآيات الكريمة من (١ ـ ٦) مسوغات القصة ,

الثاني : الآيات الكريمة من (٦ ـ ٢٨) ما ورد من قصة موسى " عليه السلام " نفصلها على النحو الآتي :

من الآية (٧ ـ ٨) خوف أُم موسى على ولدها .

من الآية (٩ ـ ٢٤) تجربة موسى " عليه السلام " إلى خروجه من مصر خائفا يترقب إلى مدين

من الآية (٢٥ ـ ٢٨) موسى مع شعيب " عليهما السلام "

العلاقة بين الشخصيات .

المرسل ــــ الذات ـــ الموضوع ــــ المرسل إليه .

الأُمومة أم موسى نجاة طفلها ذات أُم موسى .

المستهدف : فرعون ، وآله .

تحليل لغة النّص ، وأساليبه .

يشكّل الضمير العائد على الطفل " موسى " ظاهرة لافتة للنظر في النّص المبارك ، ويدلّ هذا الحضور المكثّف على موقع موسى "عليه السلام" غير الاعتيادي بالنسبة إلى الفاعليين الأساسيين : " **أم موسى ، وفرعون** " ، وورد مفعولا به في الافعال (**أرضعيه ، ألقيه ، رادّوه ، جاعلوه**) يعني : إنّه مرتبط بطفولته من ناحية ، وبمحاصرته من حريصين معا ، حرص أمه على سلامته ، واستقراره في حضنها ، وحرص آل فرعون على قتله من ناحية أخرى ، ويتصل هذان الحرصان بذاتين بشريين ذات أم موسى ، وهي ذات مستضعفة ، وذات فرعون متكبرا .

الأساليب .

الجمل الخبرية هي الغالبة على هاتين الآيتين ، والجمل الإنشائية وردت ؛ لتشير إلى حال الانفعال التي عاشتها الأم خائفة وجلة على مصير ولدها وطفلها دالة بذلك على محور ضعف الأم ، وتأتي بدايات الجمل الخبرية ؛ لتضع الأم في مناخات الطمأنينة ، التي وفرها الله لها ، إلى جانب تلك السلسلة من حالات الخوف ، يقدّم لنا ذات الأم تلك الذات التي تخوض تجربة مرة ، ولا سيما إنّ جمل الآيتين جمل فعلية ، ولعلّ في هذه الجمل الفعلية إشارة إلى أنّ الذات الممتحنة ليست موضوع وصف من خلال جمل اسمية ، ولكنها موضع تجربة تصقل ذات المسلم في كل عصر إذا عرف

كيف يفيد منها ، فلا يمكن لآل فرعون أن يخلّصوا طفلا ؛ ليكون لهم حين يشبّ عدوا وحزنا إذ قامت " لام العاقبة " على مفارقة كبرى معبّرة توحي إلينا بأن إرادة الله تعالى نافذة لا محالة ، ولتزداد ثقة المسلم بالله حقيقة يقوى بها على هواجسه ، ومخاوفه .

الجمل الإنشائية	**الجمل الخبرية .**
أرضعيه	**أوحينا**
إذا خفتِ	**التقطه آل فرعون**
لا تخافي	**إنّا رادّوه**
لا تحزني	**جاعلوه**

اللافت للنظر في الآيات المباركة الخاصة بشباب موسى "عليه السلام" حضور الضمير العائد إليه حضورا قويا ، فقد تكرر سبع عشرة مرة فاعلا ، في قوله تعالى : (**بلغ** ، **استوى** ، **دخل** ، **وجد** ، **وكزه** ، **قضى** ، **قال** ، **قال** ، **يترقب** ، **أراد** ، **يبطش** ، **تريد** ، **تقتل** ، **تريد** ، **تريد** ، **ظلمت** ، **قتلت**) .

وتكرر الضمير ثلاث مرات اسما لفعل ناقص (**أكون** ، **تصبح** ، **تكون**) ، بما يقرب من الفاعلية .

وورد مضافا إليه ، أو مجرورا اثنتي عشرة مرة .

أما وروده مفعولا به ، فقد ورد أربع مرات في قوله تعالى : (**آتيناه** ، **استغاثه** ، **استنصره** ، **يستصرخه**) .

ومن يمعن النظر في توزع هذا الضمير يجده في موقع الفاعلية حتى فـي أثنـاء وروده مفعـولا بـه ، فالمفعوليـة لفظيـة هنـا لا معنويـة ، فالـذي يُستغاث ، ويُستنصر ، ويُستصرخ هو في موقع الفاعلية بالتأكيد .

نخلص مما سبق أنّ ذات موسى " عليه السلام " في نهاية المطاف معلقة بحبلي المفعولية ، مفعولية فاعلها " الله جلّ وعلا " بقوله : " **آتيناه** " **ومفعولية فاعلها الذي من شيعة موسى** " **عليه السلام** " **في قوله تعالى :** (**استغاثه ، استنصره ، يستصرخه**) أي : إنّها موزعة بين (هاء) آتيناه ، (وهاء) الأفعال الثلاثة ، وهي أفعال مترادفة في معناها العام ، فهي إما أن تعمل بما آتاها الله العليّ القدير ، أو أن تعمل بما دعاها إليه (الغويّ المبين) ، وصراعية بهذا القدر داخل الذات لا شكّ تضع بين يدي الإنسان (المسلم) ؛ ليفيد منها .

وبعد أن التقى موسى بـ شُعيب " عليهما السلام " في مدين تلاقت رغبتاهما في العمل ، والحصول على مورد رزق ، وكان الدافع في ذلك غربته ، وكان شُعيب راغبا في العثور على شابّ يقوم بأودّ رزقه ، ودافعه في ذلك شيخوخته ، وكون ذريته كانت من النساء حصرا في هذه المرحلة من حياة موسى " عليه السلام " نجد أنّ للأفعال الماضية حضورا كبيرا في قوله تعالى : ، والملاحظ في هذه الأحداث أنّ حدثين فقط لا ينجزان إلا بالحركة هما " جاءته ، وجاءه " أما سائر الأحداث فهي كلامية ، وهذا طبيعي في جلسة تفاهمات ، واتفاقيات ، فلا مكان لاسترجاع مجريات أحداث مضت ، بل هما بصدد أحداث مجريات الأمور في المستقبل

وما ستؤول إليه الأحداث نقرأ في ذلك قوله تعالى : " **ذلك بيني وبينك أما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ والله على ما نقول وكيل** " .

فالاتفاق هنا استباق وظيفي أبقى لموسى حرية الاختيار بين الأجلين اللذين حددهما شُعيب " عليه السلام "؛ ليبقى طليقا في استجابته للظروف التي سيكون عليها في قابل أيامه .

سياق التحول ، وأساليبه .

لقد استقطبت مفردات الآيات المتعلقة بطفولة موسى " عليه السلام " حول عنوانين ، أو حقلين رئيسيين :

الأول : خوف الأُم على سلامة ابنها .

الثاني : تطمين الباري جلّ وعلا لها .

ومن يتتبع مفردات الحقل الأول يجد أن كلمات الخوف ، والخطر نقرأ قوله تعالى : (**فارغا ، تُبدي به ، قُصيه**) قد فاقت كلمات السلامة والطمأنينة في قوله تعالى : (**التقطه آلُ فرعون ، لا تقتلوه**) ويعني ذلك ترجيح كفة الخوف والقلق على كفة السلامة والاطمئنان ، ومن ثَم ، فألفاظ الحقل إعلان عن شدة ضعف الذات البشرية متمثلة بأُم موسى ، فلو لم تكن كذلك لما احتاجت إلى مثل هذا الإلحاح في التطمين ، وأن تُبرز الآيات الكريمة تأصُّل هذا الضعف فينا ، دعوة ؛ لتكون ثقتنا راسخة بما وعدنا ربُّنا سبحانه ، وإيماننا أقوى من هواجسنا البشرية .

على حين نرى أنّ المفردات المتعلقة بمرحلة الشباب مستقطبة حول ثنائيتين رئيسيتين :

الأولى : " من شيعته ، من عدوه " .

الثانية : " جبّار ، من المصلحين " .

في الأولى نجد موقف موسى حيال اقتتال طرفي الثنائية الأولى سيحدد موقع الذات بين طرفي الثنائية الثانية ، دخل موسى " عليه السلام " المدينة مزودا بما آتاه الله جلّ وعلا من (الحُكم والعلم) فهل سيكون لهذه الثقافة وظيفة حيال الامتثال ، تلك الثقافة التي تدعو موسى لئن يتعالى فوق انتمائه ، أو سيقع في المحذور ؟؟؟ .

الحق إنه لم يتعال عن انتمائه ، ورأى أنّ ذلك من عمل الشيطان ، وكررت التجربة ، وكاد أن يقع في المحذور ويكون جبّارا في الأرض ، لولا أن تدارك الأمر ، فكان من المصلحين ، وبذلك قدّم لنا منهجا متكاملا في مراقبة الذات ، ومقاومة نزواتها .

أما في مدين فقد خرج من مصر خائفا يترقب ، وهو يحمل همين :

١ . همّ النجاة من الخطر الذي يتهدده .

٢ . همّ تحصيل الرزق

نقرأ في ذلك قول الحق : (**إنّ الملأ يأتمرون بك ، ليقتلوك ، فاخرج منها ، من الناصحين ، خرج ، خائفا ، يترقب ، نجني ، الظالمين** "

تنضوي جميعها تحت عنوان الخطر والخوف ، وتُشكل علامة دالة على أنّ الذات تواجه خطري الجوع ، والخوف معا ، فهي تدرأ الخطر الأصعب من دون أن تحسب أدنى حساب للخطر الآخر ، ولا سيما أنّ أي مفردة تتصل بالهمّ الثاني قد غابت غيابا تاما من الآيتين الكريمتين " ٢٠ و ٢٢ " ، وما أن زال خطر الظالمين ، وأضحى باهتا بعد خروجه من

مصر ، وتوجهه إلى مدين نعثر على مفردات تتصل بالرزق ، أو في الآيتين " ٢٣ ، و ٢٤ " .

نقرأ في ذلك قوله تعالى : " **ورد ماء مدين ، يسقون ، تذودان ، غنمهما ، لا نسقي ، شيخ كبير ، فسقى لهما ، خير ، فقير** " **كل تلك المفردات توحي بأنّ موسى** " **عليه السلام** " قد استفاق من خوفه وقلقه ، وصوّب نحو همه الثاني ، ألا وهو همّ تحصيل الرزق ، وتأمين لقمة العيش ، وصدق وعد له الله ، وهو اصدق القائلين : " ونريدُ أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم من الوارثين " .

المصادر :

القرآن الكريم ، مصدر العربيّة الأوّل .

- إشكالية تاريخية النّص في الخطاب الحداثي الجديد الدكتور مرزوق القمريّ ، دار الآفاق ، منشورات ضفاف ، ط١ ، ١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١٢ م .
- التشابه والاختلاف ، محمّد مفتاح ، المركز الثقافيّ العربيّ ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦ م .
- تحليل الخطاب الشعري : استراتيجية التناص ، محمّد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، البيضاء/ بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٢ .

- التعريفات ، عليّ بن محمّد بن عليّ الزين السيّد الشريف الجرجانيّ " ت ٨١٦ هـ " دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .
- تفسير الميزان : السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ " ت " مؤسسة الأعلميّ ، بيروت ، ١٤١٧ هـ .
- في أصول الحوار ، وتجديد الكلام ، طه عبد الرحمن ، المركز الثقافيّ العربيّ .
- لسان العرب ، محمّد بن مكرم بن عليّ أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعيّ الإفريقيّ " ت ٧١١ هـ " دار صادر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ .
- مسند أبي عوانة : أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوريّ الإسفرايينيّ " ت ٣١٦ هـ " دار المعرفة بيروت ، ط١ ، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م .
- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربيّة ، القاهرة ، إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمّد النجّار ، دار الدعوة .
- مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين ، " ت ٣٩٥ هـ " ، تح : عبد السلام هارون ، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .
- النّص الإسلامي بين الاجتهاد والجمود والتاريخية ، الدكتور محمّد عمارة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان / دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م .

نظرة موجزة في واقع اللغة العربية
المشاكل والحلول

الأستاذ الدكتور عماد يـونس لافـي
جامعة بغداد / كلية التربية للبنات

الملخص :

هذا بحث تضمّن الكلام على اللغة العربية ونشأتها ومكانتها والمشاكل التـي تواجهها والحلول المقترحة لعلاجها بصورة مختصرة وافيـة ، وقد انطلق البحث من عناصر العملية التعليمية المتمثّلة بالمعلّم والمتعلّم والمادّة العلمية والبيئة التعليميّة ، وناقش كل عنصر من هذه العناصر موضّحا الأساليب الناجحة للوصول إلى الحالة المثاليّة التي يمكن أن تكون عليها ، وذلك بمناقشة الأسس المعتمدة في الاختيار والتوجيه والمعالجة لكل ما يتعلّق بالعمليّة التعليميّة.

الكلمات المفتاحيّة : اللغة العربية ، المعلّم ، المتعلّم ، البيئة التعليميّة ، العمليّة التعليميّة.

أما بعـدُ :

فإنّ موضوع اللغة العربية ومكانتها بين اللغات والحفاظ عليها وديمومتها يشكّل محورًا رئيسًا للكثير من المؤتمرات والندوات والحلقات النقاشية التي عقدتها مؤسسات كبيرة حكومية وغير حكومية على مدى عقود من الزمن ، فضلا عن الكتب والبحوث والدراسات التي ألّفت لهذا الغرض ، والمتتبع لهذا الأمر يجد أن الأصلاء من أبناء هذه الأمة أصحاب الغيرة عليها وعلى لغتهم الشريفة ممن دافعوا عنها في تلك النشاطات العلمية والثقافية يخشون على هذه اللغة من احتمالية الانحسار والتقهقر أمام اللغات الأجنبية الأخرى بسبب ما يحيط بها من مخاطر جمّة ، ولغات الأرض قاطبة إن لم تمتلك مقومات الاستمرارية والديمومة فيُحتَمَلُ أن تتعرض خلال دورة حياتها لأمرين لا ثالث لهما ؛ **الانـدثار أو الانحسـار** ، أما احتمالية اندثار اللغة العربية فيمكن التعليق عليه على النحو الآتي :

ذهب العلماء والباحثون والفلاسفة مذاهب شتى في إثبات نشأة اللغة وأصلها ، وأن الحقيقة التي يكاد يجمع عليها معظم الباحثين إن لم يكن جميعهم على كثرتهم ، وتعدد آرائهم وعظم الجهود المبذولة هي أن هذا الموضوع يعدُّ قضية شائكة ومعقدة ، حتى أن الوصول فيه إلى نتيجة قاطعة يكاد يكون أمرا مستحيلا ، لذا قيل : إنه ((لم يظفر بحث من البحوث اللغوية بقدر وفير من التأمل والتفكير مثل الذي ظفرت به نشأة اللغة . ومع هذا فقد كانت النتيجة دائما سلبية ، ولم يهتدِ الباحثون بعد كلّ ما بذلوه من

جهد إلى رأي يجمعون عليه أو يطمئنون إليه.))[1] ، ولا أتردد في أن أقول إن كل النظريات التي وضعت لإثبات نشأة اللغة تقف عاجزة عن الإجابة عن الكثير من الأسئلة مما يثبت أن هذه النظريات تظل عرجاء كسيحة لا يمكن لها أن تسير بصورة مستقيمة ، للوصول إلى إقناع العقل الراجح السليم بما ذهبت إليه وذلك عندما يُقصَدُ بنشأة اللغة ولادتُها ، أي وجود لغة بعد أن لم تكن موجودة أصلا ، وذلك مثل نظرية الاتفاق والمواضعة ونظرية المحاكاة محاكاة أصوات الطبيعة ، ونظرية الأصوات التعجبية أو العاطفية pooh – pooh ، ونظرية الاستعداد الفطري ding – dong.

أمّا النظرية الوحيدة التي يرتضيها العقل وتطمئن إليها النفس فهي نظرية (التوقيف والإلهام) التي تعتمد على قوله تعالى (وعلّم آدمَ الأسماء كلها) ، وقد قال بها بعض العلماء الأفذاذ كالطبري وأحمد بن فارس وابن جني وغيرهم ، ومع أن النقل والعقل لا يسعفانِنَا في معرفة طبيعة تلك اللغة التي تعلمها آدم (عليه السلام) ، إلا أن سياق الآية يدل دلالة قاطعة على أن اللغة مصدرها الله عز وجل ، فالله تعالى يقول : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ... الآية)[2] ، وهاتان الآيتان تشيران إلى أن تعليم آدم (عليه السلام) الأسماءَ كلَّها أعقب بصورة مباشرة عملية الخلق ، وبالاحتكام إلى العقل

---

[1] دلالة الألفاظ ، الدكتور ابراهيم أنيس ، ٩ ، وينظر: فقه اللغة العربية ، الدكتور كاصد ياسر الزيدي ،٣١.

[2] البقرة ، ٣٠.

وتصوّر لحظة الخلق والذي أعقبها فلا يمكن لآدم (عليه السلام) بعد بعث الروح فيه أن يتعامل مع العالم الذي رآه على هيئة معينة ، إن لم يُعَلّمَ أسماء الأشياء ، ثم إن كلمة (الأسماء) وردت مُعَرّفة بـ (أل) وهي في هذا الموضع تفيد استغراق الجنس ، أي جنس الأسماء قاطبة ، ثم جاءت (كلّها) بعد ذلك وهي توكيد معنوي كما يسميه أهل النحو وفائدته الإحاطة والشمول ورفع التوهم عن السامع من أن المقصود بعض الأسماء وليس جميعها . ومن ذهب من المفسرين إلى أن المقصود بالأسماء هو أسماء الملائكة فإن هذا الرأي لا يصمد إذا ما قلنا : كيف تعلم آدم أسماء الأشياء الأخرى؟ وهل من كرم الله ولطفه أن يدعَ المخلوقَ الذي سيكون خليفته أن يتعلم أسماء الأشياء وهو لا يعرف كيف يتعلم ، إذ لا لغة عنده ولا تعلم من غير لغة .

والسؤال الذي يثبُ في هذا المقام : هل اللغة التي علّمها الله تعالى آدم (عليه السلام) هي العربية أم غيرها ؟

إذا كانت تلك اللغة هي العربية (وهذا افتراض عقلي) فلا إشكال في الموضوع ونحن بصدد مناقشة أحوالها ، وإذا كانت غير العربية ، فهي إما أن تكون أدنى من العربية من حيث خصائصها وفي هذه الحالة لا شأن لنا بها ، وإما أن تكون أرقى من العربية وهذا أمر فيه نظر ، وإلا كيف يمكننا أن نقبل بأن الله عز وجل يرسل آخر رسالاته لأحب الخلق إليه رسوله المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهو المقدّم على أنبيائه جميعا في الدنيا والآخرة ، سيِّد المرسلين قاطبة ؛ ليكون نذيرا للعالمين ، وهو من أولي العزم صلوات ربي وسلامه عليه بلغةٍ تكون أقلَّ شأنا من لغة علّمها آدم (عليه السلام) ؟ ولاسيما إذا تذكرنا بأن الله تعالى تحّدى بقرآنه العربي المبين

فصحاء العرب وبلغاءهم بأن يأتوا بسورة من مثله بعد أن يدعوا شهداءهم من دون الله ، فالعربية والحالة هذه هي اللغة الأرقى سواء أعلمها الله تعالى آدم أم علّمه غيرها . ولأن القرآن كلامُ الله عز وجل وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو الذي تكفّل جلّ شأنه بحفظه بقوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[٣] ، ويكفي العربية شرفا أن يرد وصف القرآن بأنه عربي في (أحد عشر) موضعا منه ، فالعربية باقية ما بقي القرآن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولاسيما إذا علمنا أن المتكلمين بها الآن يزيدون على ٣٥٠ مليون عربي ، وأن أكثر من مليار وثلاثمئة مليون مسلم يقرؤون قرآنهم ويؤدون عباداتهم بها.

إن هذا الذي تقدّم ذكره لا يقتصر على الجانب النظري أو التنظيري ، وإنما يظهر تأثيره واضحا جليا في العملية التعليمية للغة العربية عندما يعلمُ المعلّمُ والمتعلّمُ على حدٍّ سواء إن تعليم العربية وتعلّمها من الدين ، وإنّ التفريط بها تفريط به ، وإن الاستهانة بتعلمها استهانة بالقرآن العظيم والعياذ بالله ، وهذا إثم مبين لا تخفى آثاره على كل مسلم ذي عقل سليم ، ولا يمكن أن يوزان تعلُّمها بالعلوم الأخرى ، فإذا ما سنحت الفرصة للطالب أن يدرس ما يشاء ، وهذا حق مشروع له فعليه أن يعلم أن تعلّم العربية ليس من الترف العلمي ولا مما يمكن الاستغناء عنه ، فتعلمها لا يقل عن تعلم الفرائض التي فرضها الله تعالى على عباده ، وإلا فكيف للمسلم أن يصلي ويقرأ القرآن ويفهم معانيه ومقاصده ويتوقف عند إعجازه الذي لا ينتهي عند حدٍّ ، ويقرأ الحديث الشريف ويتعلم ما انطوى عليه من توضيح لشؤون الحياة ، إن لم

---

[٣] الحجر ، ٩.

يكن متمكنا من لغته العربية الأم فضلا عن تخصصه الآخر ، وليكن بعد ذلك طبيبا أو مهندسا أو غير ذلك مما يرغب فيه. وهذا يقودنا إلى قضية مهمة جدا قد يغفل عنها الكثير حتى من ذوي الاختصاص وهي أن تعلم اللغة العربية ليست غايته التواصل كما هو الحال مع اللغات الأخرى ، فالتواصل يمكن تحقيقه بأدنى لغات الأرض ، بل يمكن تحقيقه بالإشارة من غير صوت ، ولكن الأهم من ذلك هو ما وراء التواصل وهو الذي ينبغي أن يشغل تفكير المسلم العربي وغير العربي ، أيضا كما يشغلهما استعمالها في التواصل وربما يكون أكثر.

الخوف على العربية من الانحسار:

إن المشاكل التي تحيط بالعالم العربي ، والهجمات الشرسة التي وجهت إلى هوية هذه الأمة متمثلة بلغتها وتاريخها وتراثها وحضارتها العريقة التي امتدت في يومٍ ما من الصين شرقا إلى الأندلس غربا ، تجعل المرء يخشى على لغته العربية من الانحسار والانزواء ، فتكون غير قادرة على إيفاء متطلبات الحياة ، وإن أشد ما يؤلم في هذا المقام أن بعض هذه الهجمات المغرضة جاءت ممن يُحْسَبون من أبناء هذه الأمة المجيدة ، فمنهم من دعا إلى العامية ، ومنهم من تهجم على الحرف العربي ، ومنهم من طالب بأن تكتب بالحرف اللاتيني وغير ذلك مما لا يسع المقام لذكره وهو معروف لمن تتبع هذا الشأن. فكيف يمكن أن يعتري العربية الانحسار؟

إنّ أركان العملية التعليمة أربعة هي :

أولا) المعلّم ثانيا) المتعلّم ثالثا) المادة العلمية رابعا) البيئة

وإن أي خلل في التعامل مع هذه الأركان وعدم الاعتناء بها يؤدي بالنتيجة إلى خلق حاجز بين المعلم والمتعلّم ، ومن ثم انصراف الهمة عن تعلم العربية ، وربما الامتعاض من تعلمها ، وإذا ما وازى هذا الأمر توافر الفرص اليسيرة لتعلم غيرها من اللغات فتلك هي قاصمة الظهر ، وفيما يأتي مناقشة لكل ركن من هذه الأركان الأربعة :

أولا: المعلّم

من الظواهر السلبية في مجتمعاتنا العربية التي تشترك بعض الحكومات في تعزيزها أن فرص العمل والوظائف التي تعود على أصحابها بالمال الوفير والحياة الرغيدة غالبا ما تقتصر على تخصصات معروفة كالطب والهندسة والمحاماة وربما الإدارة والاقتصاد ، لذا نجد أن هذه التخصصات تفرض معدلات عالية على الطلبة الذين يرومون دراستها ، أما التخصصات الإنسانية فتأتي في آخر الركب ؛ لذا نجد أن معظم المتخصصين فيها ، إن لم نقل جميعهم جاؤوا إليها إما مكرهين أو قادتهم معدلاتهم إليها ، واللغة العربية من هذه التخصصات ، ومن خلال التجربة الشخصية نجد الطلبة يصرِّحون بهذا الأمر ولا يتردد أحدهم في بعض الأحيان بإظهار كرهه للمادة المدروسة ، ولا يتخرج الطالب من الكلية إلا وهو أشبه بمن يستقل واسطة نقل لا يرغب الصعود فيها ، وينتظر بفارغ الصبر مغادرتها ، فكيف أتوقع من هذا الخريج أن يقوم بمهمة تدريس لغة تحتاج إلى كفاية فريدة فضلا عن الرغبة الصادقة ، وأما على صعيد معاهد المعلمين فالأمر لا يختلف كثيرا ، فنحن نجد في بعض بلداننا العربية من يدخل إلى معهد المعلمين من بعد الصف التاسع ليدرس خمس سنوات ؛ لأنه يعلم أنه غير قادر على دراسة

المواد العلمية المعروفة في المدارس الثانوية ، فيقضي سنوات دراسته كيفما اتفق ؛ ليتخرج معلما فاشلا لا يليق بالعملية التعليمية . وبعد تخرجه وتعيينه معلما يجد نفسه عاجزا عن الإيفاء بمتطلبات الحياة المادية فيلجأ إلى التدريس الخصوصي في بعض الأحيان بعد أن يقصّر في أداء واجبه ، وربما تفاقم الأمر عنده فيلجأ إلى الرشوة في بعض الأحيان ، فكيف بمعلم هذه مواصفاته أن يخرّج لنا طالبا نابها محبا للغته متمسكا بها يستشعر جلالها وجمالها ومسؤولية الحفاظ عليها ؟

كيف نعالج هذه الظاهرة ؟

إن الاهتمام بكليات التربية وبمعاهد المعلمين اهتماما خاصا ، ماديّا ومعنويا ، وإعداد المعلم إعدادا جيدا وتدريبه تدريبا يليق بالسمة القيادية التي سيتحلّى بها أمام طلابه ، وذلك من خلال المناهج الخاصة بهذه المهمة والإفادة من تجارب الدول الأخرى في هذا المجال ، كل ذلك وغيره من دورات تدريبية واختبارات نفسية ، وتطبيق عملي بإشراف أساتذة متخصصين ، ينتج عنه معلمٌ يمكن الوثوق به في إدارة العملية التعليمية في الصف الدراسي ، محافظا على سمة التشويق التي ينبغي على كل معلم التحلِّي بها ؛ ليحبب المادة العلمية لطلابه ، وإذا كانت هذه الصفات عامة لكل معلم ، فإن معلم العربية يجب أن يكون فصيح اللسان ، مرهف الحس ، ذائقته متميزة ، ينتقي النصوص العالية التي تبعث الشعور بالنشوة والفرح عند الطلاب عند تلقيهم المادة العلمية التي يدرسها ، ويمارس النشاطات الصفية التي تُعوّد الطالب على النطق الفصيح وتنمي عنده القدرة النقدية على تمييز

الجيد من الأجود والممتاز من الأكثر امتيازا ، عند ذاك فقط يمكن القول إننا خرّجنا معلما يمكن الاعتماد عليه في تعليم النشئ وتربيته.

لقد قطعت بعض الدول المتقدمة شوطا باهرا في هذا المجال ففي ألمانيا واليابان على سبيل المثال يكون الأجر الذي يتقاضاه المعلم من الأجور العالية ، قياسا بأجور بعض المهن الأخرى فيكون مخلصا لمهنته ووطنه ، مترّفعا عن سفاسف الأمور ، فضلا عن توفير البرامج التدريبية والاختبارات النفسية وكل ما من شأنه أن يخرج معلما قادرا على تحمل المسؤولية المناطة به .

وخلاصة القول إنّ معلم اللغة العربية يمر بثلاث مراحل؛ مرحلة ما قبل دخول كلية التربية أو معهد المعلمين ، وينبغي أن يخضع فيها لاختبارات تؤهله لدراسة اللغة العربية وتدريسها ، ومرحلة الدراسة وهذه ترتبط بطبيعة المناهج الدراسية ، ومرحلة التعيين عندما يستوي معلمًا يمارس مهنة التعليم ، ولكل مرحلة متطلباتها التي ينبغي مراعاتها ، فإذا ما اختل شيء في معالجة تلك المتطلبات فسيظهر سلبا على النتيجة النهائية لإعداد المعلم .

ثانيا: المتعلّم

مع أن العملية التعليمية لا تكتمل إلا بأركانها الأربعة إلا إن المتعلم أو الطالب يعدُّ ركنا أساسًا كما هو الحال مع المعلّم ، والطالب إما أن يكون بتخصص اللغة العربية أو لا يكون ، أما الأول صاحب الاختصاص اللغوي ، فينبغي أن يطبق عليه ما ذكرناه آنفا في إعداد المعلم ، ومن المهم هنا أن نفكر بصورة جدية في البحث عن وسائل استقطاب الطلبة المتميزين

لإدخالهم إلى هذا تخصص اللغة العربية ، وأما الثاني فاعتمادا على ما لديّ من خبرة في تدريس العربية العامة ، لا يحظى بالاهتمام المطلوب وغالبا ما تكون مادة اللغة العربية عند هؤلاء منزوية محصورة لا يلقى لها الطالب بالا ، وذلك لأسباب منها ما يتعلق بالأستاذ ومنها ما يتعلق بالطالب ومنها ما يعود إلى انشغال الطالب بدروس الاختصاص أكثر من انشغاله بالمواد الأخرى ، وهنا نعود إلى ما ذكرناه في بداية المقال من ضرورة إقناع الطالب بأن دراسة العربية من الدين ، وأن الاهتمام بها قربةً إلى الله تعالى ، وأنه جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه عندما اختار العربية ، لتكون لغة آخر رسالة من رسالاته إلى البشرية تفرض على عباده الذين يبتغون مرضاته أن يتعلموها ، للوصول إلى هذه الغاية النبيلة التي لا غاية أشرف ولا أسمى منها ، وإلا فماذا يبتغي العبد بعد مرضاة الله تعالى ؟ ولا ننسى في هذا المقام أن نذكر بأن جزءا كبيرا من المسؤولية التعليمية تقع على عاتق الطالب بالاهتمام بدروسه والمواظبة عليها ، والحرص على أداء واجباته بصورة صحيحة.

ومن المفارقات التي نذكرها هنا أننا وجدنا بعضا من طلبة الهندسة والطب والتخصصات العلمية مَن يتفاعل مع مواد اللغة العربية أكثر بكثير من أهل الاختصاص أنفسهم ، وهذا يؤيد فكرة تشجيع أصحاب المعدلات العالية للانتظام بهذا التخصص بعد أن نوفر لهم الرعاية المطلوبة وفرص العمل لكي لا يشعر بأنه ذهب إلى تخصص غير مجدٍ . إلا أنهم يحتاجون إلى طريقة خاصة في تدريسهم يستطيع مدرس اللغة العربية عن طريقها أن

يساير اختصاصهم ولو بصورة عامة تقريبية ، كأن يضرب شواهد من ذلك الاختصاص ما وجد إلى ذلك سبيلا.

ثالثا: المادة العلمية

تتوزع مواد اللغة العربية على مفردات يعلمها أهل التخصص ، ولكنها تختلف باختلاف المراحل الدراسية ، وفي الأحوال كلها لا تخرج عن مواد النحو والصرف والبلاغة ، والأدب شعرا ونثرا ، والتعبير والمطالعة ، والكتابة إملاء وخطًا وعلاماتِ ترقيم . وهذه المواد تنمي المهارات الأربع المعروفة في تعلم اللغة ، وهي الاستماع والتحدّث والقراءة والكتابة.

ولا شك في أن هذه المواد جميعا يختلف تدريسها من مرحلة إلى مرحلة ومن تخصص إلى آخر ، فتدريسها في المرحلة الابتدائية يختلف كثيرا عن المرحلة الثانوية ، فمعالجة المادة العلمية أخذا بالحساب الفئة العمرية أمر مهم ، ولأن اللغة أصوات قبل كل شيء ، وتعلمها بصورتها المثالية يكون بالتلقي ، فينبغي أن تشغل هذه المسألة أساتذة العربية وتستحوذ على اهتمامهم ، وإلا ما جدوى الجهود التي يبذلها معلم العربية في تدريس مادة النحو وضبط الحركات عند إعراب الكلمات في الجمل ، وهو لا يطبق ذلك في قاعة الدرس ، ثم ما أهمية أن يحفظ الطالب قصيدة يكتبها في ورقة الامتحان ، ولسانه يتعثر ويتعتع عند قراءتها جهرا .

ومن المفيد الناجح في تدريس مفردات المنهج أن تنتقل المادة العلمية من بطون كتب التراث إلى الاستعمال اليومي المألوف ، أي من الجانب النظري إلى الجانب الوظيفي التطبيقي ، وما الشكوى التي يعاني منها طلبة

العربية وغيرهم من النحو إلا بسبب الاقتصار على الأمثلة المملة المتداولة في النحو من مثل : (ضرب زيد عمرا) وغيرها ، حتى أصبحت في بعض الأحيان مثارا للتندر ، استغله بعض المغرضين للاستهزاء بهذه اللغة الشريفة . ولكن ذلك لا يعني أبدا القطيعة بين الطالب وتراثه العظيم الذي خلّفه لنا علماؤنا الأفذاذ ، ولكن البراعة تكمن عند ذاك في القدرة على اختيار النصوص الجميلة المحببة من الشعر والنثر ، تتقدمها شواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وهذا الأمر لا يقتصر على النحو فقط ، فعلم الصرف مع كونه يتعامل مع بنية الكلمة المفردة قبل دخولها في التركيب ، فإن إيراد هذه المفردة في سياقها اللغوي الجميل الذي وردت فيه يرسخ المادة العلمية في ذهن الطالب فضلا عن تنمية الذائقة اللغوية لديه .

أما الإملاء فقد حلّت في أيامنا هذه (كوارث إملائية) ، فبعد أن كنا ندرّس في مادة الإملاء كيفية كتابة الهمزة وسطية ومتطرفة ، والألف المقصورة والألف الممدودة ، والتاء الطويلة والتاء المربوطة ، والضاد والظاء ، أصبح لزاما علينا في هذه الأيام أن ندرس الطلبة أن الضمير (أنتِ) يكتب بالكسرة ولا يكتب بالياء (أنتي) وأن الكاف في (لكِ) ضمير مبني على الكسر ، ولا تجوز كتابته كافا متبوعا بياء ، وأن (لكن) لا تكتب (لاكن) ، وغيرها من أنواع الأغلاط المستحدثة . ولا شك في أن هذه المستويات المتدنية إنما جاءت بسبب الأغلاط المتجمعة بسبب تداول الغلط من شخص إلى آخر حتى استقر عُرفا لغويا كتابيا بين الطلبة والناس عموما ، وما ذلك إلا بسبب ضعف المتابعة في تعليم الطالب قواعد الإملاء

المعروفة ، فضلا عن التأثر المفروض بمواقع التواصل الاجتماعي التي سنتطرق لها لاحقا.

رابعًا: البيئة

إذا كان المقصود ببيئة التعلم كل العوامل المؤثرة في عملية التعليم والتي تسهم في توفير المناخ المناسب بين العناصر الثلاثة المذكورة آنفا (المعلّم والمتعلّم والمادة العلمية) ، فإننا نجد في وقتنا الحاضر بيئات خارجية أخرى أثرت وتؤثر بصورة مستمرة في العملية التعليمية سلبا أو إيجابا.

فالبيئة الداخلية لها الأثر الكبير في تحقيق أهداف العملية التعليمية ، إذ تسهم البيئة الناجحة بصورة كبيرة في تحقيق التشويق والانجذاب لدى الطالب عند تلقيه المادة العلمية ، ولكي تكون هذه البيئة ناجحة لابد لها من خصائص محددة تتسم بها ، تسهم في تعليم الطالب وتطوير نمائه الفكري ومتابعته لتستثير عنده حب الإبداع والمتابعة والتفوق ، وإقالة عثراته ومساعدته في ما يحتاجه في مسيرته الدراسية ، وهنا تبرز مسؤولية المعلم والمدرسة في تحقيق هذه الأهداف ، فضلا عن توافر العلاقات الحميمة بين المعلم والطالب وبين الطلاب أنفسهم مما يكسر كل الحواجز النفسية التي يمكن أن تقف عائقا أمام العملية التعليمية ، وربما كان تدريس اللغات بصورة عامة واللغة العربية بشكل خاص من أكثر المواد التي تحتاج إلى مثل هذه البيئات النموذجية في التدريس ، فالطالب الذي يشعر بالأمان والاستقرار النفسي في الصف والمدرسة يتشجع على إظهار قدراته اللغوية والمشاركة في الفعاليات المدرسية كالمسرح وإلقاء الشعر في المناسبات الوطنية وغيرها. وكل ذلك يشجع على ظهور بعض المواهب التي تظل دفينة في نفوس

أصحابها ما لم تُتَح الفرص المناسبة لإظهارها ، ولا يتحقق ذلك إلا في بيئة تعليمية نموذجية.

ولكننا في هذا المقام لا يمكننا أن نغفل البيئات الأخرى التي تؤثر بصورة كبيرة جدا في تعليم اللغة العربية للطلبة ، قد تفوق بكثير تأثير البيئة الدراسية المتحققة في المدرسة ، ويمكن ذكرها على النحو الآتي :

أولا: بيئة الأسرة

لا يختلف اثنان في أن الأسرة هي الحاضنة الأولى للطفل ينشأ فيها ويترعرع وينمو ويكتسب معظم قدراته ومواهبه فيها ، وإذا ما سلمنا بأن الطفلَ مقلّدٌ لمن حوله من أفراد الأسرة ، سواء في سلوكه الاجتماعي أو اللغوي فإن الأبوين سيكون تأثيرهما كبيرا عليه فيما يفعل ، وكم واجهنا ، ونحن ندرس طلابا يظهر تأثير الأسرة فيهم واضحا جليا ، حتى إذا سألنا أحدهم: من أين لك هذا الاهتمام باللغة والشعر؟ أجاب قائلا : أبي شاعر ، أو لدينا مكتبة كبيرة في بيتنا ، أو أنه رُزِق بأبٍ أو أمٍ لهما اهتمام بتحفيظ القرآن وباللغة العربية ، فينشأ الطفل مستقيم اللسان محبًا للغته مواظبا على تعلمها ، أما إذا كان نصيبه من ذلك ضعيفا فيظهر ذلك جليا في تعلقه بلغته ، أما إذا وقع تحت رحمة خادمة من جنسية أخرى غير عربية وهو ما يحصل في بعض مجتمعاتنا العربية فتلك الطامة الكبرى ، فلن يكون عند ذاك إلا مَكبًّا لكل اللكنات الأعجمية والتشوهات النطقية ، وهذا أمر لا فِكاك منه ، ويحضرني في هذا المقام قصيدة لأحمد شوقي يصف فيها مجموعة من البلابل أوكل النبي سليمان (عليه السلام) أمرَ تربيتها إلى بوم ، وعندما أراد أن يتفقدها وجدها خُرْسًا لا تجيد التغريد فهمّ بذبحها ، فجاءه الهدهد يتشفع لها ليَدْرَأ عنها

عقوبة الذبح ، ليعلل لسليمان أن البلابل لا ذنب لها وأن السبب إنما كان بتربية تلك البوم لها ، يقول أحمد شوقي[٤]:

أُنبِئتُ أَنَّ سُلَيمانَ الزَمانِ وَمَن	أَصبى الطُيورَ فَناجَتهُ وَناجاها
أَعطى بَلابِلَهُ يَوماً يُؤَدِّبُها	لِحُرمَةٍ عِندَهُ لِلبومِ يَرعاها
وَاِشتاقَ يَوماً مِنَ الأَيّامِ رُؤيَتَها	فَأَقبَلَت وَهيَ أَعصى الطَيرِ أَفواها
أَصابَها العِيُّ حَتّى لا اِقتِدارَ لَها	بِأَن تَبُثَّ نَبِيَّ اللَهِ شَكواها
فَنالَ سَيِّدَها مِن دائِها غَضَبٌ	وَوَدَّ لَو أَنَّهُ بِالذَبحِ داواها
فَجاءَهُ الهُدهُدُ المَعهودُ مُعتَذِراً	عَنها يَقولُ لِمَولاهُ وَمَولاها
بَلابِلُ اللَهِ لم تَخرَس وَلا وُلِدَت	خُرسًا ، وَلَكِنَّ بومَ الشُؤمِ رَبّاها

وإلا فماذا نتوقع من طفل يخضع لتربية امرأةٍ هندية أو أندونوسية أو فلبينية ، ويوصله إلى مدرسته سائق من هذه الجنسيات أو غيرها ؟ لا شك في أن ذلك سيكون تأثيره سلبيا في التنشئة اللغوية للطفل .

ثانيا: بيئة المجتمع

المجتمع هو الحاضنة الثانية للطفل بعد نموه وخروجه إلى المحيط الأوسع بعد أن كان محددا بحيز العائلة ، فاللغة التي يتداولها الأفراد في مجتمعهم ستظهر آثارها شئنا أم أبينا في لغة الطالب الذي هو أحد أفراد ذلك المجتمع ، وعندما نقول بيئة المجتمع فنعني بذلك كل ما تقع عليه العين

---

[٤] الشوقيّات ، ٢/ ٩٤.

وتسمعه الأذن من الكلام ، فكل اللوحات الإعلانية التي تعلّق في الشوارع والطرقات ستقع عليها العين ويقرؤها المارّة وتطبع في ذاكرتهم وتشكل جزءًا مهما من رصيدهم اللغوي ، ثم تنتقل من الفكر المجرد إلى التطبيق العملي لفظا وكتابة ، وقد فطنت بعض الدول العربية ومنها العراق لهذا الأمر وأصدرت قوانين في سلامة اللغة العربية ، فلا يُسمَح بأن تُعلّق لوحة إعلانية في أي مكان في البلاد إلا بعد موافقة المجمع العلمي على الاسم والتأكد من مطابقته لقواعد اللغة العربية لفظا وصرفا ودلالة ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى عدم السماح لصاحب الإعلان بأن يكتب إعلانه بما يشاء من أنواع الخطوط ، وإنما يُفْرَض عليه أن يكتبه بأحد أنواع الخط العربي المعروفة .

أما إذا كان الأمر مخالفا لذلك فلا شك في أن التأثير سيكون معكوسا على البيئة اللغوية المجتمعية التي سينشأ فيها الفرد ، وإذا ما أضفنا إلى ذلك تأثير العمالة الأجنبية في لغة المجتمع فعند ذاك سنكون أمام مشكلة تحتاج إلى تضافر الجهود الحكومية والأهلية لحلها ، وإلا فما السبيل أمام أفراد المجتمع العربي إذا كانت العمالة الأجنبية مستحوذة على معظم الأعمال التي يحتاجها الفرد في حياته اليومية . ومع ذلك فإن الحلول ليست معدومة ، فنحن نرى أن الدول الأجنبية تفرض على من يدرس فيها أو يعمل أن يتقن لغتها ، وهناك اختبارات معروفة ينبغي أن يجتازها الوافد لكي يسمح له بممارسة عمله أو تلقي دراسته فيها . ولدى بعض الدول العربية مثل العراق والإمارات العربية وقطر والمملكة العربية السعودية المؤهلات الكافية لفرض هذه الشروط على العمالة الوافدة ، وبذلك نخفف من وطأة تأثير اللغات

الأجنبية على المجتمع فضلا عن إعطاء هيبة ومكانة متميزة لهذه اللغة الشريفة لغة القرآن الكريم.

ثالثا: الإعلام بأشكاله المختلفة

الإعلام أحد الروافد اللغوية التي تؤثر كثيرا في لغة المجتمع ، سواء أكان الإعلام مقروءا أو مسموعا أو مرئيا ، وقد شهدنا تأثيره بصورة جلية في لغة الأطفال ، وتحسنها عندما شرعت بعض الشركات بمزاوجة صور أفلام الرسوم المتحركة مع أصوات ممثلين يتكلمون العربية الفصحى ، فأصبحت هذه اللغة مألوفة محببة إلى الطفل لا يجد غرابة عند سماعها في مراحله العمرية اللاحقة ، ولاسيما أن هذه اللغة جاءت مصحوبة ببعض القصص التي يستمتع بمشاهدتها الأطفال ، ولأن الطريقة المثلى في تعلم اللغة بصورة عامة هي التلقي والاستماع كان لهذه الأفلام ذلك التأثير السحري في الطفل ، ومما يؤسَف له أن بعض الشركات لجأت إلى استعمال اللهجات المحلية في هذا المجال مما يرسخ الأغلاط اللغوية الشائعة في المجتمع.

وتتفاوت القنوات الفضائية في حرصها على سلامة لغة مذيعيها والعاملين فيها من مقدمي البرامج وغيرهم من المسؤولين عن الجانب اللغوي في القناة ، فمنها ما لا يكاد المرء يعثر على غلط لغوي واحد مهما سعى لذلك ، ومنها ما لا يكاد المرء يسمع جملة واحدة صيغت صياغة لغوية صحيحة ، وما بين المرتبتين مراتب ، وهذا الأمر يظهر تأثيره في لغة أفراد المجتمع الذي يشكل التلفاز عنده مصدرا مهما للاستماع والمشاهدة .

أذكر عندما عرض فلم الرسالة للمرة الأولى في التلفاز في نهاية السبعينيات من القرن الماضي وكانت لغته عربية فصحى رائعة اعتنى بها المخرج عناية فائقة ، كررت المؤسسة العامة للإعلام عرض الفلم مرات كثيرة ، وإذا بالأطفال في شوارع الحي يلعبون مقلدين بعض الشخصيات التاريخية التي ظهرت في الفلم مع لغة تحاكي ما سمعوه من الممثلين ، فالسماع والتلقي هما الطريق الأصلح في تعلم اللغة ، لذا فالإعلام أثره كبير جدا في تقويم لغة الفرد العربي إذا ما كان إعلاما ملتزما بقواعد اللغة بمستوياتها المختلفة .

ولا يقل الإعلام المقروء شأنا عن الإعلام المسموع ، فمثلما هناك صحف ومجلات يسعى البالغون إلى اقتنائها ، فهناك إصدارات كثيرة تُعنى بأدب الطفل ، فالاهتمام بلغتها أمر لابد منه ، وينبغي أن تكون هناك رقابة لغوية عليها كما هو الحال مع الإعلام المرئي والمسموع ، فهي تشكل الأسس الأولى لثقافة الطفل وتحصيله اللغوي.

رابعًا: تأثير التطور التقني (التكنولوجية) في تعلم اللغة

التقنية الحديثة المتمثلة في الثورة الكبرى الحاصلة في عالم الحواسيب والبرمجيات حالها حال أي تقنية أخرى قام بها الإنسان خلال تاريخ تطوره ، فهي ثنائية الاستعمال ، فالصالح يستعملها لما فيه خير البلاد والعباد والطالح يسلك فجًّا لا يبتغي فيه وجه الله عزّ وجل ، والأمثلة على ذلك كثيرة.

أما ما يخص موضوعنا الذي نحن بشأنه فإن المتتبع للاستعمال الالكتروني في مجال تعليم اللغة العربية يجده قد قطع أشواطا طيبة في

مجال إنتاج البرمجيات التي تخدم عملية تعلّم اللغة العربية ، فهناك برامج الإعراب وبرامج التحليل الصرفي ، فضلا عن إنتاج المكتبات الإلكترونية التي تحتوي على المئات بل الآلاف من الكتب اللغوية التي تمكن الباحث من العثور على ما يريد بوقت يسير ، وهذه القضية أحدثت نقلة نوعية في عالم البحث العلمي ، ولكن الإنصاف يدعو الباحث إلى أن يؤشر الجانب السلبي في هذا الموضوع ، ويتلخص في أن الباحث قبل ثورة المعلومات هذه كان يجوب المكتبات ويقضي الأوقات الطويلة يتصفح الكتب بحثا عن المعلومة التي يبتغيها ، وهو بهذه العلمية سيتوقف – قاصدا أو غير قاصد– عند العشرات بل المئات من الكتب ، فلو قرأ من كل كتاب صفحة واحدة أو أقل من ذلك أو أكثر فهو سيخرج فضلا عن إنجاز مهمته البحثية بحصيلة معرفية يعزَّ مطلبها عند الباحثين في الوقت الحاضر ، ومن هنا فإنه كان قبل عشرين عاما أو أكثر من ذلك بقليل يحسب للباحث كثرة المصادر في بحثه ، وتعد مزيّة له ، إذ مرّ على عدد كبير منها ، أما في الوقت الحاضر فلم يعد ذلك مهما في تقويم البحوث العلمية ؛ لأن الجميع أصبح يعلم أن المعلومة يمكن الحصول عليها بكبسة زر واحدة في العشرات من الكتب مع تحديد مكانها الدقيق من الجزء والصفحة من الكتاب .

ومن الفوائد العظيمة للتطور التقني في مجال الحاسوب أنه ألجم أفواه الداعين إلى تغيير شكل الحرف العربي ، أو استبداله بالحرف اللاتيني ، وما إلى ذلك من الدعوات المغرضة في هذا المجال ، إذ أصبح بالإمكان الكتابة بأي خط من الخطوط العربية المعروفة بأيسر طريقة وأجملها مشكلة بالحركات الإعرابية النحوية والصرفية .

أما على صعيد التطبيق العملي في العملية التعليمية الدائرة في القاعة الدراسية فهو إلى الآن مقصور على الجانب الإداري فيها وليس على التعليم نفسه إلا في مجال ضيق جدا ، فالحاسب الإلكتروني غالبا ما يستعمل في إدخال درجات الطلبة أو في تسجيل الغياب أو إعطاء المنهج إلى الطلبة على شكل ملف (وورد word) أو (بوربوينت power point) أو عرض الدرس بجهاز العارض الضوئي بعد ربطه بالحاسب ، و ليس أكثر من ذلك إلا في القليل النادر ، ويمكن أن نطور هذه العملية ، أعني استغلال التقنيات الحديثة في تدريس اللغة العربية بتجهيز كل طالب بجهاز خاص به يمكن أن يربط بسماعات في الأذن تستعمل للاستماع إلى النصوص اللغوية المقروءة قراءة صحيحة ، ثم يطلب من الطالب إلقاء ما سمعه ؛ ليكون الآخرون حكّاما على ما قرأ مع الأستاذ ، وبذلك تجري عملية نقدية تصحيحية لما قد يقع فيه الطالب من أخطاء في نطق بعض الأصوات أو في الجوانب النحوية والصرفية ، وكذلك تمكين الطالب في قاعة الدرس من الاتصال بشبكة الانترنت لفتح المواقع التي تتعلق بالمادة اللغوية المدروسة ، والتي يكون الأستاذ على علم مسبق بها.

ومن الصور المتقدمة الأخرى لاستعمال تقنيات الحاسوب ما لاحظته في محاضرة ألقيت في مؤتمر التعليم المنعقد في دبي في العام ٢٠١٦ ، إذ يكون هناك اتصال بين جهاز الأستاذ وأجهزة التلاميذ يستطيع الأستاذ الاطلاع على الحلول التي يجريها الطالب على التمارين في الوقت الذي يقوم الطالب فيه بالحلِّ ، فيصحح له الخطأ أو يعطيه درجته التي يستحقها ، ويستطيع أن يجري امتحانا للطلبة جميعا والحل سيكون الكترونيا ، وقد دخل

هذا الإجراء في جامعاتنا ، ومنها جامعة بغداد تحت مسمّى الصف الإلكتروني ، واتخذت إجراءات عملية بشأنه من الأساتذة والطلبة ، ولكنه ما زال في بداياته ، والأمر عائد إلى الكثير من المعوقات التي تتعلق بوفرة أجهزة الكومبيوتر للطلبة وفي الجامعات مما يتيح الفرصة أمام الجميع أساتذة وطلبة من استثمار هذا التطبيق ، وقد علّقت في وقتها على هذا الإجراء وكنت في حقيقة الأمر متخوفا منه ، إذ وجدت هذا الأمر ذا تأثير مزدوج ؛ إيجابي وسلبي ، فهو إيجابي من حيث سرعة إنجاز المهام التدريسية ، وفتح الأفق الدراسي واسعا أمام التلاميذ ، وسهولة التواصل بين الأستاذ والطالب ، والمحافظة على سرية إجابة الطالب مما يشجعه على عرض ما لديه من أفكار مع أستاذه من دون أن يتخوف أو ينحرج ، وهو سلبي أيضا في كونه سيجعل الطالب اتكاليا ، لا يرغب في استعمال الورقة والقلم ، ولا تعود لديه رغبة في قراءة كتاب ورقي ، وسيكون تعامله عسيرا مع التعليم في صورته الاعتيادية البعيدة عن تقنيات الحاسوب عندما يعزّ توافرها في مكانٍ ما ، وضربت لذلك مثلا ما يحصل في الدراسة الهندسية ، إذ تعمد كليات الهندسة إلى أيامنا هذه إلى تعليم الطالب التصميم والرسم الهندسي اعتمادا على الموارد الطبيعية للضوء والرياح وأن يرسم بيده على الرغم من التطور الهائل في برمجيات الرسم الهندسي ؛ لأنهم يعلمون يقينا أن موقع العمل وبعض الظروف الخاصة التي يمرُّ بها المهندس تفرض عليه استعمال الوسائل التقليدية في الرسم والتصميم والتنفيذ أيضا.

ومن المسائل المهمة التي ينبغي التوقف عندها هي المضار الفادحة التي ألحقتها تقنيات الحاسوب والألواح الإلكترونية والهواتف المحمولة في

سلوكيات الأولاد ولغتهم وأفكارهم ومنها الألعاب المبرمجة والتطبيقات المغرضة التي يلجأ الأطفال والصبية إلى تشغيلها لقضاء أوقات فراغهم ، فإن لم تكن هناك رقابة حكيمة يمارسها الأهل عليهم ، فنكون قد ساعدنا في تشويه البناء الفكري والعلمي والأخلاقي لهم ، وإلا فماذا ننتظر وما المرجو من ألعاب كلها قتل ودماء ودمار وفوضى وعنف؟ ستُنْتِجُ لنا شبابًا طائشًا ، لا يشعر بالمسؤولية ، بينه وبين حضارة أمته ولغتها ومبادئها قطيعة يصعب إقناعه بوجوب محاربتها والوقوف ضدها ، بعد أن تبنى شخصيته بناء مشوها مزيجا من ثقافات وأفكار ورؤى بعيدة كل البعد عما تصبو إليه الأسر الكريمة والمؤسسات الرصينة والدول الحريصة على أبنائها. وأولى المعالجات الحكيمة لهذه الظاهرة تبدأ في الأسرة ، فعلى الأبوين أن يراقبا أبناءهم مراقبة مستمرة ويبذلوا في ذلك جهدا كبيرا وهو أمر صعب ولا شك ، ولكن ما الحل؟ أنتركهم في كل وادٍ يهيمون ، ثم من بعد ذلك نندم ولات ساعةَ مندمٍ؟ وعلينا أن نحذر كل الحذر من حرمانهم من هذه التقنيات لأن ذلك قد يؤدي إلى نتيجة عكسية ، لذا علينا أن نحرص على توفير الألعاب المفيدة النافعة التي تنمي التفكير الصحيح لديهم ، وتفتح لهم آفاقا جديدة في عالم المعرفة ، وأن نحبب إليهم فتح التطبيقات النافعة التي يمكن تنزيلها من شبكة الانترنت ، فهناك العشرات من التطبيقات التي تنمي لديهم حب اللغة العربية وتعلم كيفية نطقها ونحوها وصرفها ، ومنها ما صمم بطريقة مشوقة ، ثم هناك تطبيقات للقرآن الكريم نطقا وحفظا وتلاوة وتجويدا ، فضلا عن التطبيقات النافعة الأخرى في مجالات علمية وثقافية متعددة.

خامسا: مواقع التواصل الاجتماعي

أصبح التعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي عند الناس عموما يقترب من حالة الإدمان عند شريحة واسعة منهم ، وقد بلغ الإدمان بكل ما تعنيه الكلمة عند آخرين ، حتى أن بعض الدول فتحت مصحّات لمعالجة حالات الإدمان على التعامل مع الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي ، ولكي يكون الإنسان منصفا عليه أن يعترف بأن عدم التعامل معها أصبح أمرًا عسيرًا جدًا ، إذ أصبح من متطلبات الحياة الضرورية التي لا غنى عنها في الكثير من المجتمعات ، ومنها مجتمعاتنا العربية ، وقد يكون استعمالنا لها أكثر من غيرنا ، وربما كان ذلك بسبب أوقات الفراغ التي يعاني منها المجتمع العربي ولا يجد ما يملؤها به.

أما من حيث تأثير هذه المواقع على تعلم وتعليم اللغة العربية فهذه قضية كُتِبَتْ فيها البحوث الكثيرة وعالجها كثير من أهل الاختصاص في التربية والتعليم وعلم النفس لما لاحظوه من فداحة تأثيرها السلبي في لغة الفرد وثقافته. والانترنت بصورة عامة وهذه المواقع بصورة خاصة أشبه بالنهر تصب فيه المياه النقية الصالحة من منابعها الأصيلة ، وتصب فيه كذلك المياه الآسنة ومخلفات المصانع والمعامل فيختلط النقي بالفاسد ، فالعاقل الناضج يستطيع أن يأخذ منه ما يشاء ويترك منه ما يشاء فهو قادر على تنقية ما يأخذ مما هو غير مرغوب فيه ، ولكن المشكلة الكبرى في طلبة الثانويات والكليات وبعض طلبة المدارس الابتدائية الذين لا يمتلكون المناعة الكافية أمام ما يطرح في هذا المجال الفسيح ، فيغترفون منه من غير بصيرة ، ونحن هنا نناقش قضية اللغة العربية وتأثير هذه المواقع السلبية

والإيجابية فيها ، فالواقع يشير بصورة واضحة لا يمكن إخفاؤها إلى ظهور لغة مشوّهة هجينة لا يستطيع النشئ الجديد تبيان قبحها فيتعامل معها وكأنها اللغة التي ينبغي أن تكون ، ومن صور هذه اللغة أن تكتب اللغة العربية بحروف لاتينية وهو ما يطلق عليه بالـ (العربيزي) ، ويستعاض فيها ببعض الأرقام بدلا من الحروف العربية التي لا مثيل لها في اللغة الإنكليزية كالحاء والخاء والطاء والعين والصاد والضاد والقاف ، وهذه من الكوارث اللغوية التي ينبغي محاربتها وعدم الانسياق وراء استعمالها وتنبيه الطلبة عليها فهم في الأغلب لا يدركون مخاطرها ويستعملونها بحسن نية ، ولا يعلمون أن الأمر إذا استمر على هذه الشاكلة فهم يسهمون من حيث لا يشعرون في تشويه لغتهم العربية.

وفي أحيان كثيرة نجد طغيان اللغة العامية على الفصيحة في المخاطبات على هذه الشبكات ، ومما يخطر على البال في هذا المقام أن العاطفة غالبا ما يكون لها تأثير فاعل في النفس الإنسانية ولاسيما عند الشباب ، ونحن نعلم أن الشعر ميدان خصب ؛ لإظهار العواطف والتعبير عنها ، لذا راجت بضاعة الشعر الذي يكتب باللهجات المحلية ، كل بلد يكتب أهله بلهجتهم الخاصة ، وإذا ما علمنا أن بعض الشعر العامي فيه من الدفق العاطفي ما يشد إليه السامع وقد يتفوق في صوره الفنية على الشعر الفصيح ، ندرك خطورة تداول هذا النوع من الأشعار على نحو واسع ، وأذكر في هذا المقام ما قاله أحمد شوقي وهو أمير الشعراء عن (بيرم التونسي) إذ قال : خشيت على الفصحى من بيرم ، لجمال أزجاله التي كان ينضمها.

ونعود فنقول : هل كل ما في هذه المواقع سيءٌ ؟ ولا يمكن الإجابة بنعم عن هذا السؤال ، وإنما كما قلنا في بادئ الأمرُ إن هذه التقنية سلاح ذو حدين ، من أحسن استعمالها فقد أصاب ، ومن أساء فعليه وزره .

ونعود ونؤكد ضرورة إقناع أبنائنا بأن الحفاظ على اللغة العربية من الدين ، وأن التفريط بها يفضي إلى الابتعاد عمّا أمرنا الله تعالى به ، فلا دين من غير صلاة ، ولا صلاة من غير لغة عربية فصحى ؛ لأن ذلك على ما نرى محفّزا للحفاظ على هذه اللغة الشريفة .

وفي ختام هذا البحث الذي سعيت فيه إلى إيضاح الحالة العامّة التي تمرّ بها اللغة العربية في أيامنا هذه والمشاكل التي تواجهها والحلول التي يمكن أن تُعالجَ بها تلك المشاكل ، أسأل الله تعالى أن يهيئ لهذه اللغة الشريفة لغة القرآن الكريمة رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه في الحفاظ عليها وأن يجعلنا الله تعالى منهم .

المصادر:

١) دلالة الألفاظ ، الدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦.

٢) فقه اللغة العربية ، الدكتور كاصد الزيدي ، دار الكتاب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٨٧م .

٣) الشوقيات ، أحمد شوقي ، مكتبة التربية ، بيروت ، ١٩٨٧م.

الصِّفة الصَّوتيَّة
(المفهوم والوظيفة)

الأستاذ الدكتور محمد حسين علي زعين
جامعة كربلاء/ كلية التَّربية للعلوم الإنسانيَّة
قسم اللُّغة العربيَّة

المدرس المساعد كاظم سالم علي
مديريَّة تربيَّة محافظة كربلاء

الملخص :

أردنا في هذا البحث بيان مفهوم الصِّفة (اللُّغوي والاصطلاحي) ، ومن ثم بيان (وظيفتها في الدَّرس اللُّغوي العربي) ؛ لمَّا لصفات الأصوات من أهميَّة في الدَّرس اللُّغوي العربي القديم على اختلاف علومه، ومن الملاحظ عدم استقرار مصطلح الصِّفة ولاسيما عند العلماء المتقدمين في حين شهد استقرار المصطلح استقرارا ملحوظا عند متأخري علماء التَّجويد ، إذ اصطلحوا على تسمية ما يصحب تكون الصَّوت في مخرجه من أنشطة بالصِّفات .

ونظرًا لتعدد علوم الدَّرس اللُّغوي القديم فقد تعددت استعمالات الصِّفة الصَّوتية لتتعدد وظائفها لذلك ، وقد اقتصرت الدِّراسة على موضوعي : (مفهوم الصِّفة) ، و(وظيفة الصِّفة) ، وكانت خاتمة هذه الدِّراسة مجموعة من النَّتائج التي توصل إليها البحث منها : حفل الدرس الصَّوتي القديم بتعدد المصطلحات الدَّالة على الصِّفة الصَّوتيَّة أو لنقل بدائل الصِّفة ، كما تعددت المصطلحات الدَّالة على الصِّفة الواحدة ، فضلًا على نتائج أخرى تكفلت الخاتمة بعرضها .

المُقدِّمة :

لم يكن المصطلح في الدَّرس الصَّوتي العربي قضيَّة كبيرة تستوقف العلماء قديمًا إذ نجد كتبهم ومؤلفاتهم تكاد تخلو من أي إشارة لقضيَّة اسمها المصطلح فقد تنوعت على وفق المجالات التي يؤلفون فيها، ومع عدم الإشارة إلى أنَّ المتتبع للمراحل التي سلكها الدَّرس الصَّوتي عند العرب في تطوره ولاسيما في القرون الأولى ، يدرك أنَّ تلك المصطلحات التي نهضت بحمل أفكاره كانت مواكبه لحركته ، فقد بدأت قليلة مرتبطة بغايات معينة ، بعد ذلك أخذت المصطلحات في التَّنوع والتَّعدد والاستقرار ، من هنا فإنَّ هذه المصطلحات تعدُّ بحق صورة مشرقة لتطور هذا الدَّرس ، ومن ثم فهي علامة مرشدة إلى الفكر الصَّوتي العربي آنذاك.

ونظرًا لتعدد علوم الدَّرس اللُّغوي القديم ، فقد تعددت استعمالات الصِّفة الصَّوتية لتتعدد وظائفها لذلك ، وقد وسم هذا البحث بـ : (المفهوم والوظيفة) ، وقد قسمته على قسمين : الأوَّل ، تناولت فيه (مفهوم الصِّفة) وتضمن : (الصِّفة لغة)، ثم (الصِّفة في الاصطلاح) ، وقد بدأنا بالتَّعريف بالمصطلح وشروط وضعه ، ثم انتقلنا إلى استعمال مصطلح الصِّفة في الدَّرس الصَّوتي العربي القديم ، وتعدد المصطلحات الدَّالة على مصطلح الصِّفة (بدائل الصِّفة أو المصطلحات المرادفة) ، وكذلك تعدد المصطلحات الدَّالة على الصِّفة الواحدة وهكذا وصولًا إلى التَّعريف الاصطلاحي لها، ومن أجل التَّعريف بالصِّفة أكثر كان لابدَّ من كشف (علاقتها بالمخرج) ، ويأتي ذلك عبر(تعيين مخرج الصَّوت اللُّغوي، ومفهوم العارض).

أمَّا القسم الثَّاني فيعنى بـ : (وظيفة الصِّفة) وعلى النَّحو الآتي : (في الإدغام)، و(بيان الأصوات العربيَّة)، و(الصِّفة عامل مؤسس للفصاحة)، و(سلامة اللُّغة العربيَّة (المعرب والدَّخيل)، و(أثر الصِّفة في تأليف كلام العرب)، و(الوضوح السَّمعي وإبانة الخطاب)، و(الصِّفة وحدة مميزة)، و(الصِّفة معيار يتقوم به الصَّوت في السِّياق)، وكانت تتمة البحث خاتمة بمجموعة نتائج تمخضت عنها الدِّراسة.

أولًا/ مفهوم الصِّفة :

أ- **الصِّفة لغة :** يناط بالتَّعريف اللُّغوي مهمة إظهار المعاني المتعددة التي شغلتها المفردة في الاستعمال العربي ، ومن ثم مراقبة التَّطورات التي رافقت استعمالها لتتضح في ضوء ذلك العلاقة بين المعنى اللُّغوي والاصطلاحي لها ، ومن ذلك قول الخليل (ت١٧٥هـ): ((الوصف : وصفُكَ الشَّيءَ بحِلْيته ونَعْته))[١]، فجعل الوصف مشتملًا على الحلية والنَّعت، فمراده من الحلية هو((تَحْلِيَتُك وجه الرَّجل إذا وصفته)) [٢]، أمَّا النَّعْتُ فهو ((وصفُكَ الشَّيءَ بما فيه)) [٣] .

ويظهر أنَّ هناك فرقًا بيِّنا بين الحلية والنَّعت مع أنَّ المعنى الجامع لهما هو الوصف ، قال أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) موضحًا الفرق

---

[١] العين مرتبًا على حروف المعجم ، الخليل بن أحمد الفراهيدي مادة (وصف) ٤/ ٣٧٦.

[٢] المصدر نفسه مادة (حلى) (١/ ٣٥٤.

[٣] المصدر نفسه مادة (نعت) ٤/ ٢٣٩.

بينهما : ((النَّعت هو ما يظهر من الصِّفات ويشتهر ولهذا قالوا هذا نعت الخليفة كمثل قولهم : الأمين، والمأمون، والرَّشيد)) [٤]، وقوله في الحلية (التَّحلية) : ((التَّحلية في الأصل فعل المحلى ، وهو تركيب الحلية على الشَّيء مثل السَّيف وغيره وليس من قبيل القول...)) [٥]، فيظهر أنَّ الأصل في التَّحلية هو الفعل المادي (الملموس) وليس من قبيل القول .

والصِّفة على ما يظهر أخصُّ من الوصف ، قال الرَّاغب الأصفهاني(ت٤٢٥هـ) موضحًا الفرق بين الوصف والصِّفة ، فالوصف ((وصف الشَّيء بحليته ونعته والصِّفة : الحالة التي عليها من حليته ...)) [٦]، وعرّفها الجرجاني(ت٨١٦هـ) بأنَّها : ((الاسم الدَّال على بعض أحوال الذَّات وذلك نحو طويل ، وقصير ، وأحمق وغيرها)) [٧]، فالملاحظ أنَّ الصِّفة لا تعدو أن تكون علامة يتوصل بها لمعرفة الشَّيء وتمييزه من غيره .

وحين الوصول إلى العصر الحديث نلمس في تعريفاتهم ما يوصلنا إلى الغاية التي استقر عليها تعريف الصِّفة كمجموعة ملامح مميزة ، وهو أمر يعود إلى طبيعة الدِّراسة ومواكبتها للتطور الصَّوتي الحديث ، ففي المعجم الوسيط ((الخصيصة : الصِّفة التي تميّز الشَّيء وتحدده)) [٨]،

---

[٤] الفروق اللُّغويَّة ، أبو هلال العسكري ٣٠.

[٥] المصدر نفسه ٣١.

[٦] مفردات ألفاظ القرآن ، الرَّاغب الأصفهاني ٨٧٣.

[٧] التَّعريفات ، الجرجاني ١٣٨.

[٨] المعجم الوسيط (باب الخاء) ٢٣٨ .

وإن جاء في بعضها موافقًا لما ورد عند القدماء فالصِّفة هي ((الحالة التي يكون عليها الشَّيء من حليته ونعته كالسَّواد، والبياض ، والعلم ، والجهل)) [٩] .

ب- الصِّفة في الاصطلاح :

لا جرم أنَّ لكلِّ علم مصطلحه الذي يدلُّ عليه ، ويعبَّرُ عن مجموعها بأنَّها ((ألفاظ يتفق العلماء على اختيارها لتدلَّ على شيء محدود في عرفهم حدًا يتميز به من سواه فتنتقل معناه اللُّغوي إلى المعنى الاصطلاحي)) [١٠] ، فالمصطلحات ذات أهمية في تيسير وتبادل الآراء والأفكار بين العلماء بعد أن يتفق العلماء على وضع حدود لها وهي لذلك تمثل ((مفاتيح العلوم ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى فهي مجمع حقائقها المعرفيَّة وعنوان ما به يتميز كلُّ واحد منها عمَّا سواه ، وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطلق العلم غير ألفاظه الاصطلاحيَّة))[١١] ، فالملاحظ أنَّها (أي المصطلحات) تشكل الدَّعامة الأساسيَّة لأيِّ نصٍّ علمي نتعامل معه ، ولوضع المصطلح شروط نوجزها بالآتي :

---

[٩] المصدر نفسه (باب الواو) ١٠٣٧.

[١٠] مصطلحات العلوم في اللُّغة العربيَّة ودور المجتمع فيها للأستاذ عبد الفتاح الصَّعيدي ، مجلة مجمع اللُّغة العربيَّة بالقاهرة ، ٢٠٩/١٣ ،١٩٦١م ، وينظر: جهود ابن جني في الصَّرف وتقويمها في ضوء علم اللُّغة الحديث ، الدكتور غنيم غانم الينعاوي ٣٢٨.

[١١] قاموس اللَّسانيات مع مقدمة في علم المصطلح ، الدكتور عبد السَّلام المسدي ١١.

١ -الدِّلالة المحددة الواضحة [١٢].

٢ -الدِّقة والدِّلالة المباشرة [١٣].

٣ -بناؤه ووضعه يتم بالاتفاق بين المشتغلين باللُّغة المعينة ، وتجنب كلِّ أشكال الفرديَّة والذَّاتيَّة في صياغة المصطلح ووضعه [١٤].

٤ -وجود علاقة مشابهة ومناسبة بين مدلول المصطلح اللُّغوي ومدلوله الاصطلاحي[١٥] .

لم يكن المصطلح في الدَّرس الصَّوتي العربي قضيَّة كبيرة تستوقف العلماء – قديمًا – إذ نجد كتبهم ومؤلفاتهم تكاد تخلو من أي إشارة لقضيَّة اسمها المصطلح فقد تنوعت على وفق المجالات التي يؤلفون فيها ، ومع عدم الإشارة إلى أنَّ المتتبع للمراحل التي سلكها الدَّرس الصَّوتي عند العرب في تطوره ولاسيما في القرون الأولى ، يدرك أنَّ تلك المصطلحات التي نهضت بحمل أفكاره كانت مواكبه لحركته ، فقد بدأت قليلة مرتبطة بغايات

---

[١٢] ينظر: الأسس اللُّغويَّة لعلم المصطلح ، الدكتور محمود فهمي حجازي ١٢.

[١٣] ينظر: المصطلح الصَّرفي عند عبد الكريم الفكون(ت١٠٧٣هـ) من خلال شرحه لأرجوزة المكودي في التَّصريف (رسالة) فاطمة جريو ، كلية الآداب واللُّغات – جامعة حسيبة بن بوعلي – الشَّلف ، ٢٠٠٨-٢٠٠٩م : ٤ .

[١٤] ينظر: المصدر نفسه والصَّفحة نفسها.

[١٥] ينظر: المصطلح النَّحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثَّالث الهجري ، عوض حمد القوزي ٢٣، وإشكاليَّة ترجمة المصطلح اللِّساني الغربي الحديث (نظريَّة اللِّسانيات الكبرى) ترجمة محمد الرَّاضي(رسالة) بو معزة حسيبة ،كلية الآداب واللُّغات – جامعة بجاية ،٢٠١٥-٢٠١٦م : ٤٠.

معينة ، بعد ذلك أخذت المصطلحات في التَّنوع والتَّعدد والاستقرار ، من هنا فإنَّ هذه المصطلحات تعدُّ بحق صورة مشرقة لتطور هذا الدَّرس ، ومن ثم فهي علامة مرشدة إلى الفكر الصَّوتي العربي آنذاك .

ومما تجدر الإشارة إليه تعدد المصطلحات الدَّالة على الصِّفة الصَّوتيَّة أو لنقل بدائل الصِّفة ، ولنا أن نتساءل عن أسباب هذا التَّعدد ، وهل يعدُّ مظهرًا من مظاهر عدم استقرارها ؟ وهل كان هذا التّعدد اعتباطيًا ؟ ثم ألا يمكن أن نقول إنَّ هذا التّعدد كاشف عن تعدد زوايا النَّظر إلى الباب الصَّوتي الواحد تعدديَّة واعيَّة ؟

ويمكن الإجابة عن ذلك بلحاظ العمل المصطلحي عندهم والذي يبدأ من المفهوم إذ لا تحكمها ظواهر اللُّغة الخالصة فحسب بل تحكمها محددات المقام أعني الخصائص التي تحدد الظَّرف الاجتماعي الذي سيق في إطاره الكلام ، وقد ذهب الدكتور أحمد بدوي إلى أنَّ ذلك الأمر كان مقصودًا عند سيبويه (ت١٨٠هـ) قائلًا : ((والذي نراه أنَّ هدف سيبويه لم يكن إلا أنَّ يعبِّر عن الموضوع بما يوضحه ويجعله مفهومًا للقارئ والمتعلم سواء لديه في ذلك أعبَّر عنه بعبارة واحدة أم بمصطلحات متعددة يرى فيها جميعًا ما يوضح الشَّيء الواحد ويدلُّ عليه)) [١٦].

وهكذا نجد أنَّ هذا الأمر لم يجرِ بعفويَّة البساطة أو عفويَّة المرحلة المبكرة لنشأة علوم اللُّغة العربيَّة ومعها الدِّراسة الصَّوتيَّة بل نعتقد أنَّه جرى بوعي كامل تبعًا لظروف المقام، إذ اختاروا أقصر الألفاظ بنية وأكثر

---

[١٦] سيبويه حياته وكتابه ، أحمد أحمد بدوي ١٢٦ .

استغراقًا لمعانيهم المراد التَّعبير عنها نحو : (الجهر ، والهمس ، والشِّدة ، والرَّخاوة ...) ، وحين التَّأصيل له نجد أنَّ الخليل بن أحمد في معجمه لم يأتِ على ذكر مصطلح الصِّفة كما لم يذكر مصطلحًا بديلًا لها على الرَّغم من الاهتمام الكبير الذي حظيت به عنده .

أمَّا تلميذه ومستودع علمه سيبويه فذكر مصطلح الصِّفة ، وإن أطلق عليها أحوالًا أيضًا [١٧]، وعلى الرَّغم من الأثر الكبير الذي تركه سيبويه فيمن تلاه من العلماء وعدم انفكاكهم عن آرائه إلا ما ندر إلا أننا نلمس عدم تمسكهم بمصطلح الصِّفة – فمثلا- نجد أبا العباس المبرِّد(ت٢٨٥هـ) قد سار على نهج سيبويه في ترتيب مادته الصَّوتيَّة وجعلها الأساس الذي يرتكز عليه في الحديث عن الجانب الصَّوتي، لكنَّه لم يطلق عليها مصطلح الصِّفة وإنَّما اكتفى بذكر أسماء الصِّفات من دون إطلاق مصطلح (الصِّفة) أو أي مصطلح بديل كما فعل غيره[١٨]، والحال نفسه مع ابن السَّراج (ت٣١٦هـ) فقد سار هو الآخر على نهج سيبويه في ترتيب مادته الصَّوتيَّة ذاكرًا مصطلح (أصناف) كمصطلح بديل للصفة [١٩].

ويمكن أن نعدُّ ابن جني(ت٣٩٢هـ) من أبرز العلماء الذين استطاعوا أن يستوعبوا إنتاج الخليل وسيبويه ، فوضع ما يشبه نظريَّة الصَّوت اللُّغوي عند العرب ((للدلالة على دراسة الأصوات والبحث في مشكلاتها المختلفة

---

[١٧] ينظر: الكتاب ، سيبويه ٤/٤٣٦،٤٣١.

[١٨] ينظر: المقتضب ، المبرِّد ١/ ٣٣٠-٣٣٢.

[١٩] ينظر: الأصول في النَّحو ، ابن السَّراج ٣/ ٤٠١.

على نحو ما جاء في الدَّرس الصَّوتي الحديث)) [٢٠] ، أمَّا الصِّفة فقد اختار لها مصطلح أجناس للدلالة عليها[٢١]، وكذلك الأمر مع الصَّيمري (من علماء القرن الرَّابع الهجري) الذي أفرد لدراستها فصلًا مستعملًا مصطلح أصناف[٢٢] ، ولا شك حين نأتي على العلماء المتأخرين نلحظ الاستقرار الذي حظي به مصطلح الصِّفة [٢٣].

ومهما كان لعلماء التَّجويد من فضل إعمال فكرهم في الجانب الصَّوتي للأصوات إلا أنَّ مصطلح الصَّفة لم يحظ بالاستقرار عندهم أيضًا – وأخصُّ المتقدمين منهم– فمكي بن أبي طالب(ت٤٣٧هـ) استعمل مصطلح الصِّفة الذي مازجه في بعض الأحيان بمصطلح اللَّقب إلا إنّهُ وسَّع مفهومها بحيث جعلها تشمل صفات تخرج عن كونها أحوالًا نطقيَّة ، كما أسماها طباعًا [٢٤] ، أمَّا أبو عمرو الدَّاني(ت٤٤٤هـ) فقد استعمل مصطلح الصِّفة مقتصرًا به على الصِّفات التي تعدُّ أحوالًا نطقيَّة ترافق الصَّوت عند إنتاجه ، كما استعمل إلى جانبه مصطلح (أصناف) [٢٥].

---

[٢٠] التَّفكير اللُّغوي بين القديم والحديث ، الدكتور كمال بشر ٤١٠.

[٢١] ينظر: سر صناعة الإعراب ، ابن جني١/٦٠ .

[٢٢] ينظر: التَّبصرة والتَّذكرة ، الصَّيمري٢/٨٢٨ .

[٢٣] ينظر: المقرب ، ابن عصفور٢/٦–٨ ، والنِّكت الحسان ، أبو حيان الأندلسي ١٧٥ ، والأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي (رسالة) حيدر غضبان محسن الجبوري ، كلية التَّربيَّة – جامعة بابل ، ١٤٢٤– ٢٠٠٣م : ٥٦–٥٧.

[٢٤] ينظر: الرِّعاية ، مكي بن أبي طالب١٤٤ .

[٢٥] ينظر: التَّحديد ، الدَّاني ١٠٥ .

وقبل أن يحظى المصطلح بالاستقرار نجد طاش كبري زاده (ت٩٦٨هـ) يستعمل لها مصطلحات متعددة نحو : الآلات والكيفيَّات ، كما عبَّر عنها بـ (الأوصاف)، والكميَّات[٢٦]، وهكذا ليحظى المصطلح بالاستقرار كلَّما تقدم الزَّمن كما نلحظ ذلك عند المتأخرين منهم[٢٧].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحدِّ فقد تعددت المصطلحات الدَّالة على الصِّفة الواحدة على نحو ما نترقب في مصطلح الشَّديد إلا أنَّ تلك المصطلحات لم يكتب لها الشيوع إذ أخذ أكثر القدماء بمصطلح سيبويه وهو (الشَّديد)[٢٨]، ومن تلك المصطلحات : (الأخرس عند الفراء ٢٠٧هـ)[٢٩] ، و(الصُّلبة الَّذي استعمله ابن المؤدب من علماء القرن الرَّابع الهجري) ، وعلل لذلك بقوله : ((وسُميت صُلبة؛ لأنَّه لا يجوز لك مدُّ صوتك بها))[٣٠] ، وذكرها أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ) في تعريفه الأصوات الشَّديدة[٣١]، ومصطلح (المفردة) الَّذي استعمله ابن سينا

---

[٢٦] ينظر: مفتاح السَّعادة ، طاش كبري زاده ٩٧/١.

[٢٧] ينظر: غنية الطَّالبين ، البقري ٤١، والمنح الفكريَّة ، الملا علي القاري ١١١، وجهدالمقل ، المرعشي١٤٣، والقول المألوف في معرفة بيان مخارج الحروف ، محمد بن نصر المصري الحنفي ١١٨.

[٢٨] ينظر : الكتاب ٤٣٥/٤، والمقتضب ٣٢٨/١، ٣٣١، والموضح في التَّجويد ، القرطبي ٨١ .

[٢٩] ينظر: الموضح في التَّجويد ١٢٠.

[٣٠] دقائق التَّصريف ، ابن المؤدب ٥٤٩.

[٣١] ينظر: أسرار العربيَّة ، أبو البركات الأنباري ٤٢١.

(ت٤٢٨هـ) [٣٢] ، كما وتعددت التَّسميات الدَّالة على صفة (بين الشّدة والرَّخاوة)، فقد أُثر عن المتقدمين تسمية (بين الشِّدة والرَّخاوة) [٣٣] ، ثم المعتدلة[٣٤]، والبينيَّة[٣٥]، ولم يشتهر مصطلح (المتوسطة) عند القدماء إلا في القرن الثَّامن الهجري ، ولعلَّ أوَّل من استعمله هو المالقي (ت٧٠٥هـ) [٣٦] وتابعه في ذلك عدد من علماء العربيَّة ، وعلماء التَّجويد [٣٧] ، كما أطلق السَّيوطي (التَّوسط) على هذه الصِّفة[٣٨].

وعليه نرى أنَّ هذا التَّعدد مرده إلى :

- طبيعة المرحلة وبداءتها.
- لعلَّ بعض المصطلحات لم تنل قبولًا لذلك استبدلت .

---

[٣٢] ينظر: أسباب حدوث الحروف ، ابن سينا ٥٩، ١٠٥، والأصوات اللُّغويَّة ، الدكتور إبراهيم أنيس١٤٠.

[٣٣] ينظر: المقتضب ، المبرِّد ١/٣٣١-٣٣٢ ، وسر صناعة الإعراب ، ابن جني ٧٥/١.

[٣٤] ينظر: مفتاح العلوم، السَّكاكي ٤٢، وعنقود الزَّواهر في الصَّرف ، القوشجي٢٣٨ .

[٣٥] ينظر: البديع في علم العربيَّة ، ابن الأثير ٦١٧/٤.

[٣٦] ينظر: جهود المالقي الصَّوتيَّة في كتابه (الدرَّ النَّثير والعذب النَّمير في شرح كتاب التَّيسير للداني) ، (رسالة) خالد عزَّاك إسماعيل، كلية التَّربيَّة – جامعة تكريت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م ٧١، والدَّرس الصَّوتي عند تقي الدين النِّيلي (رسالة) جواد كاظم عبد محمود ، كلية التَّربيَّة للعلوم الإنسانيَّة – جامعة كربلاء، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م : ٥١.

[٣٧] ينظر: ارتشاف الضَّرب ، أبو حيان الأندلسي ١/ ١٧، والنَّشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ٢٠٢/١ ، ولطائف الإشارات ، القسطلاني ١٩٨/١.

[٣٨] ينظر: همع الهوامع ، السَّيوطي ٤٥٥/٣.

- أرادوا بالتَّعدد عدم الحصر بمصطلحات معينة ، ولم يضيِّقوا على أنفسهم .
- ولعلَّ اهتمامهم بتوصيل الفكرة يجرهم أحيانًا إلى إحاطتها بأكثر من مصطلح من أجل ما يكتنفها من غموض أو لبس ولاسيما أنَّ طبيعة التَّأليف وغلبة الجانب التَّعليمي كان عاملًا مهمًا في تعدد المصطلحات من أجل إيصال الفكرة وتثبيتها في ذهن المتلقي حتى تتضح ويسهل التماسها .
- ولاشك أنَّ كثرة الاستعمال هو السَّبب الرَّئيس في استقرار بعض المصطلحات.

أمَّا المحدثون فلم يكونوا أحسن حالًا من القدماء على الرَّغم من وسائلهم الصَّوتيَّة الحديثة فهم لم يصلوا إلى حالة من الاستقرار في الصِّفة الواحدة وإن اتفقوا في المصطلح الرَّئيس ، ومن ذلك مصطلح (الشَّديدة) الذي لم يلقَ شيوعًا عند المحدثين فقد استبدلوه بمصطلحاتٍ عديدة منها: الانفجاريَّة[٣٩]، والاحتباسيَّة [٤٠]، والانسداديَّة [٤١]، والآنيَّة [٤٢]، والوقفيَّة [٤٣]، وقد أطلق المحدثون على الأصوات الرَّخوة عددًا

---

[٣٩] ينظر: دراسة الصَّوت اللُّغوي ، الدكتور أحمد مختار عمر ٢٧٠ ، وعلم اللُّغة العام (الأصوات)، الدكتور كمال بشر ٢٢٧ ، وعلم اللُّغة ، الدكتور محمود السَّعران١٥٣.

[٤٠] ينظر: المصطلح الصَّوتي في الدِّراسات العربيَّة ، الدكتور عبد العزيز الصّيغ ١١٩.

[٤١] ينظر: أسس علم اللُّغة ، ماريو باي ٨٢ .

[٤٢] ينظر: التَّطور النَّحوي للغة العربيَّة ، براجستراسر ١٣.

[٤٣] ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربيَّة ، الدكتور غانم قدوري الحمد ٣٥.

مــن المصــطلحات منهــا: الاحتكاكيَّــة[٤٤]، والمتمــادة [٤٥]، والمتراخـــي أو المعطش[٤٦].

وإذا كنا بصدد الحديث عن مصطلح الصِّفة وبدائله فلابدَّ لنا أن نجد تعريفًا لـه ، وهـو مـا لـم نألفـه عنـد المتقـدمين علـى اخـتلاف اتجاهـاتهم ومذاهبهم في حين لم نعدم ذلك عند متأخري علماء التَّجويد ، إذ اصطلحوا على تسمية ما يصحب تكون الصَّوت في مخرجه من أنشطة بالصِّفات الَّتي تُعرَّف بأنَّها: ((كيفيَّة عارضة للحروف عند حصوله في المخرج وتتميز بذلك الحروف المتحدة بعضها مع بعض)) [٤٧] ، وقريب من ذلك ما جاء على لسان المحدثين إذ عُرفت بأنَّها: ((الظَّـواهر الصَّـوتيَّة المصاحبة لحركات أعضاء النُّطق حال إنتاج الصَّوت اللُّغوي)) [٤٨] ، كما عرفت بلحاظ وظيفتها المميزة للصوت بأنَّها: ((الخواص والملامح المميزة لكلِّ صوت من همس أو جهر وشدة أو رخاوة واستعلاء أو استفال وإطباق أو انفتاح ، وغير ذلك من الصِّفات التي تحدد الحالة يكون عليها الصَّوت

---

[٤٤] ينظر: علم اللُّغة مقدمة للقارئ العربي ، الدكتور محمود السَّعران ١٧٢.

[٤٥] ينظر: التَّطور النَّحوي للغة العربيَّة ١٣.

[٤٦] ينظر: المحيط في أصوات العربيَّة ونحوها وصرفها، الدكتور محمد الأنطاكي ١٥/١.

[٤٧] الدَّقائق المحكمة في شرح المقدمة ، أبو زكريا الأنصاري ٢٠٤، وينظر: المنح الفكريَّة، الملا علي القاري ٩٦.

[٤٨] الأصوات في اللُّغة العربيَّة ، الدكتور مصطفى عبد الحفيظ سالم ٩٣، وينظر: أثر الحركات في اللُّغة العربيَّة دراسة في الصَّوت والبنيَّة (أطروحة) علي عبد الله القرني ، كلية اللُّغة العربيَّة – جامعة أم القرى ،١٤٣٥هـ– ٢٠٠٤م : ٢٧.

عند النُّطق به)) [٤٩] .

ولنا بعد ذلك أن نقترح تعريفًا لها فصفات الأصوات يراد بها الظَّواهر التي تشكل جزءًا رئيسًا من الصَّوت اللُّغوي ولها القدرة على تميزه من غيره ، وهي تصاحب عمليَّة إنتاج الصَّوت منذ ولادته في نقطة خروجه ، لحين بلوغه أذن السَّامع ، ولها دور كبير في إجراء التَّغيرات في الظَّواهر الصَّوتيَّة ، وتزداد قدرتها على ذلك بحسب قوتها .

فيظهر من ذلك أنَّ الصِّفة تناط بوظيفة أوسع وأشمل من وظيفة المخرج ، وهذه الظَّواهر أو ما تسمى بالصِّفات جاءت متعددة مختلفة ليتميز بها الأصوات المشتركة ولتضفي نوعًا من الانسجام الصَّوتي ضمن منظومة الكلمة كما أنَّ الثَّقل قد يأتي هو الآخر من تشابه الصِّفات فاختلفت لذلك ، فللصفات الفاعليَّة في تمكين الصَّوت من تحقيق التَّقارب الصَّوتي – وإن تباعدت المخارج – وهذا ما يظهر جليًا في ظواهرنا الصَّرفيَّة (موضع الدِّراسة).

جـ–علاقة المخرج بالصِّفة : لمَّا كان الصَّوت اللُّغوي[٥٠] مركبًا من المخرج والصِّفة ، فكان من الأحرى بنا أن نبين العلاقة بينهما ، ولاسيما أنَّ تلك

---

[٤٩] العربيَّة وعلم اللُّغة الحديث ، الدكتور محمد محمد داود ١٢٠.

[٥٠] اختار الدكتور محمود السَّعران مصطلح الصَّوت الكلامي على رأي الأستاذ دانيال جونز ،ينظر: علم اللُّغة مقدمة للقارئ العرب ١٤٣(الهامش)، واختار الدكتور إبراهيم أنيس مصطلحي : الصَّوت الإنساني ، والصَّوت اللُّغوي مع أنَّ الثَّاني هو الغالب عنده ، ينظر : الأصوات اللُّغويَّة ، الدكتور إبراهيم أنيس١٠، ١٣، ومصطلح الصَّوت اللُّغوي هو المختار عند أغلب العلماء العرب المحدثين ، ينظر : علم

العلاقة عند القدماء بحاجة إلى الكشف عنها بعد أن جاءت دراستهما منفصلة على عكس الدَّرس الصَّوتي الحديث الذي آمن أفراده بدراستهما معًا فلم يفصلوا بينهما ، وهي طريقة تشعر بالعلاقة الوثيقة بين المخرج والصِّفة ، فضلًا على عرضهم لكيفيَّة إنتاج هذه الأصوات ملاحظًا فيه صفة كلِّ صوت ، ولا جرم أنَّ العلاقة حاضرة عند القدماء ولكنَّها بحاجة إلى إعادة رسم بعض مساراتها ، وهي على النَّحو الآتي :

١- **تعيين مخرج الصَّوت اللُّغوي** : يستلزم الصَّوت حال تكونه وجود نقطة مكانيَّة يولد فيها الصَّوت وهذه النُّقطة تسمى المخرج وعرف عند القدماء بأنَّه : ((الموضع الَّذي ينشأ منه الحرف)) [٥١]، أو هو((المكان الَّذي يتقطع فيه جرس الحرف من الفم ، والحلق ، والشَّفتين)) [٥٢] ، كما عرّفه المحدثون بأنَّه ((النُّقطة المحدودة في الجهاز النُّطقي التي يتم عندها تعديل وضعه...)) [٥٣] .

ولاجرم أنَّ الصِّفات الصَّوتيَّة تشكل عاملًا أساسيًا في تكوين الصَّوت

الأصوات العام (أصوات اللُّغة العربيَّة) ، الدكتور بسام بركة ١٤٩، ودراسة الصَّوت اللُّغوي ، الدكتور أحمد مختار عمر ١١١، والباحث يوافقهم هذا الاختيار ويراه الأنسب للدراسة الصَّوتيَّة بوصفها إحدى مستويات اللُّغة .

[٥١] التَّحديد ، الدَّاني ١١٠، وينظر: لطائف الإشارات ، القسطلاني ١٨٢/١.

[٥٢] الصَّفوة الصَّفية في شرح الدرة الألفيَّة ، تقي الدِّين النِّيلي ٦٤٤/٤.

[٥٣] أسس علم اللُّغة ، ماريو باي ٧٨، وعلى نحو قريب ينظر: الدِّراسات الصَّوتيَّة عند علماء التَّجويد ، الدكتور غانم قدوري الحمد ١٠٨ ، والتَّعليل الصَّوتي عند العرب في ضوء علم الصَّوت الحديث (قراءة في كتاب سيبويه) ، الدكتور عادل نذير بيري ١٠٩.

اللُّغوي وتَميزه عن سائر الأصوات الأخرى ، فعملية إنتاجه في مناطق صناعته ترافقه أكثر من ظاهرة نوعيَّة ، وهذه الظَّاهرة يطلق عليها الصِّفة حيث تعرف بأنَّها: ((كيفيَّة عارضة للحروف عند حصوله في المخرج وتتميز بذلك الحروف المتحدة بعضها مع بعض)) [٥٤] ، وهذه الكيفيَّة العارضة يمكن أن نستشعر وجودها بلحاظ طريقة تعيين مخرج الصَّوت وملاحظًا فيه صفته الصَّوتيَّة ، ومن أدلة ذلك قول أبي حيان(ت٧٤٥هـ) : ((واختبار المخرج وتحققه يكون بابتداء همزة الوصل جائيًا بعدها بالحرف ساكنًا...)) [٥٥]، ويضيف أبو حيان على ما تعارفه علماء التَّجويد[٥٦] ، وهو قوله : ((... ملحوظًا به صفات ذلك الحرف)) [٥٧].

يرى المستشرق الألماني براجستراسر في بيان معرفة الصِّفات أنَّ المخرج يشترك فيه أكثر من صوت واحد ، ولذلك فهو لا يكفي لمعرفة الصُّوت وتميزه من دون صفة الصَّوت[٥٨].

---

[٥٤] الدَّقائق المحكمة ٢٠٤، وينظر :شرح المقدمة الجزريَّة ، طاش كبري زاده٨٧ ، والمنح الفكريَّة ٩٦، والميسر في علم التَّجويد ٥٧.

[٥٥] ارتشاف الضَّرب ١/١١ .

[٥٦] يقول ابن الجزري (ت٨٣٣هـ): ((هو أنْ تلفظَ بهمزةِ الوصل وتأتي بالحروفِ بعدها ساكنًا، أو مشددًا وهو أبين ملاحظًا فيه صفات ذلك الحرف)) النَّشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/١٩٩ .

[٥٧] ارتشاف الضَّرب ١/١١.

[٥٨] ينظر: التَّطور النَّحوي للغة العربيَّة ١٣.

٢- **مفهوم العارض** : عرف متأخرو علماء التَّجويد الصِّفة الصَّوتيَّة- كما تقدم- بأنَّها (كيفيَّة عارضة للحروف) ، فوصفهم للصفة بالعارض يدعو إلى التَّساؤل عن مقصودهم هذا ، ومدى دقة اختيارهم له ، ولاسيما أنَّ المتأمل في مادتهم الصَّوتيَّة يلحظ كثيرًا من المصطلحات الدَّالة على هذا المعنى أو القريبة منه ، فالعارض قد يتبادر إلى الذِّهن معنى ما يطرأ على الإنسان من مرض ونحوه ، قال ابن منظور(ت٧١١هـ) متحدثًا عن مفهوم العَرض(العارض) : ((ما عَرَضَ للإنسان من أَمر يَحْبِسهُ من مَرَضٍ أَو لُصُوصٍ والعَرَضُ ما يَعْرِضُ للإنسان من الهموم والأَشغال ... والعارِضُ الآفةُ تَعْرِضُ في الشيء وجَمْعُ العَرَضِ أَعْراضٌ وعَرَضَ له الشكُّ ونحوُه من ذلك وشُبْهةٌ عارِضةٌ معترضةٌ في الفؤاد)) [٥٩]، وكذلك قولهم :سكون لازم وعارض [٦٠] ، لكنَّ المتأمل في تقسيم صفات الأصوات إلى ذاتيَّة ملازمة للصوت (كالجهر، والشِّدة ، والاستعلاء)، والتي لا تنفك عنه[٦١]، وإلى صفات عرضيَّة تنشأ عن الصِّفات الذَّاتيَّة (كالتَّفخيم النَّاشيء عن الاستعلاء) [٦٢] ، وغير ذلك كثير قلل من إشكاليَّة هذا الفهم .

والحق أنَّ هناك حقائق كثيرة تؤكد على قوة العلاقة على نحو الملازمة بين المخرج والصِّفة ، وربما كان علينا أن نبدأ من المعجم فهو المسرح الذي تلتقي فيه الأنماط المختلفة لاستعمالات العرب ، وهو المعين

---

[٥٩] لسان العرب ، مادة (عرض) ٢٨٨٦/٤.

[٦٠] ينظر : نهاية القول في علم تجويد القرآن المجيد ، محمد مكي نصر الجريسي ١٧٣.

[٦١] ينظر : نهاية القول ٢٢.

[٦٢] ينظر : حق التِّلاوة ، حسني شيخ عثمان ٥١.

الذي نستمد بـه معرفتنا لكلِّ تغيرات المفردة الدلاليِّة ، فمما ورد من معاني مـادة (عرض) : الظُّهور والبروز ، قـال الخليل : ((وأعرض الشَّيء من بعيد ؛ أي ظهر وبرز)) [٦٣].

والملاحظ أنَّ معنى هذه المفردة جاء بمعنى : (الظُّهور) ، ومن ذلك يتضح أنَّ معنى العارض هو ما يظهر من ظواهر ترافق تكون الصَّوت اللُّغوي في نقطة ولادته في مجرى الجهاز الصَّوتي وهذه الظَّواهر المصاحبة هي الصِّفات .

وحين ملاحظة آليتهم في كيفيَّة إنتاج الصِّفة على الرَّغم من الملاحظة الذَّاتيَّة ، والخبرة الفرديَّة على أساسِ الذَّوقِ، والحسِّ اللُّغوي نجد ما يؤكد قوة العلاقة الوثيقة بين المخرج والصِّفة مما يجعلنا نستشعر مرادهم بالعارض هو الظَّاهرة النَّاتجة حين ولادة الصَّوت في نقطة تكونه ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، فمن ذلك قول سيبويه في تعريف الأصوات المجهورة : ((فالمجهورة : حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع النَّفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصَّوت فهذه حال المجهورة في الحلق والفم إلا أنَّ النُّون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة والدَّليل على ذلك أنَّك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخلَّ بهما)) [٦٤] ، ومثل ذلك ورد عند المبرِّد في تعريفه صفة الرَّخاوة، إذ قال : ((ومن الحروف تجري على النَّفس وهي التي تسمى الرَّخوة)) [٦٥]، وما

---

[٦٣] العين مرتبًا على حروف المعجم ٣/١٣٢.

[٦٤] الكتاب ٤٣٤.

[٦٥] المقتضب ١/٣٣٠.

وضعه الملا علي القاري (ت١١١٤هـ) من ضابط لمعرفة أصوات صفة (البينيَّة) بقوله : ((والَّتي بين الرَّخوة والشَّديدة إذا نطق بها في نحو : (انعم) و(اعمل) لم يجر الصَّوت والنَّفس معها جريانها مع الرَّخوة ، ولم ينحبسا انحباسهما مع الشَّديدة)) [٦٦] .

والصِّفة لهذه الملازمة تناط بها وظيفة التَّمييز بين الأصوات لتحفظ للصوت استقلاليته كما تناط بها مسؤوليَّة الوضوح السَّمعي لرفع الغموض عن المخاطب ، قال مكي بن أبي طالب : ((ولولا الهمس والرَّخاوة اللَّذان في الهاء مع شدة الخفاء لكانت همزةً ...)) [٦٧] ، فالصِّفة هي السِّمة المائزة لصوت الهاء وإلا تحول إلى صوت الهمزة .

وقد أدرك القدماء أنَّ الهواء هو مادة إنتاج الأصوات اللُّغويَّة[٦٨]، ومن أجل أن يقف هؤلاء على حقيقة مادة الأصوات اللُّغويَّة كان عليهم أن يميزوا بين حقيقتين – في الهواء الخارج– هما: النَّفس والصُّوت يقول الملا علي القاري : ((إنَّ الهواء الخارج من داخل الإنسان إن خرج بدافع الطَّبع يسمى نفَسًا –بفتح الفاء– وإن خرج بالإرادة ، وعرض له تموج بتصادم جسمين يسمى صوتًا ، وإذا عرض للصوت كيفيَّات مخصوصة بأسباب معلومة يسمى حروفًا، وإذا عرض للصوت كيفيات أُخر عارضة بسبب الآلات تسمى تلك الكيفيَّات صفات)) [٦٩] .

---

[٦٦] المنح الفكريَّة ١٠١.

[٦٧] الرِّعاية ١٥٥.

[٦٨] ينظر: المنح الفكريَّة ٨٠ .

[٦٩] المصدر نفسه ٩٨-٩٩.

وحين التَّأمل في كيفيَّة إنتاج الصِّفات نجدها تنسجم مع وجهة الدَّرس الصَّوتي الحديث ، الذي يرى- مثلًا- أنَّ الصَّوت الصَّامت هو الصَّوت المجهور أو المهموس الذي يحدث في نطقه أن يعترض مجرى الهواء اعتراضًا كاملًا ، أو اعتراضًا جزئيًا من شأنه أن يمنع الهواء من أن ينطلق من الفم دون احتكاك مسموع (٧٠)، فهذه العمليات المصاحبة لولادة الصَّوت في المخرج هي ما يسمى بالصِّفات .

وعليه فصفات الأصوات في ضوء ذلك يراد بها الظَّواهر التي تشكل جزءًا رئيسًا من الصَّوت اللُّغوي ولها القدرة على تميزه عن غيره ، وهي تصاحب عمليَّة إنتاج الصَّوت منذ ولادته في نقطة خروجه ، لحين بلوغه أذن السَّامع ، ولها دور كبير في إجراء التَّغيرات في الظَّواهر الصَّوتيَّة ، وتزداد قدرتها على ذلك بحسب قوتها.

ثانيًا/ وظيفة الصِّفة : يعدُّ موضوع صفات الأصوات من الموضوعات المهمة في الدرَّس اللُّغوي العربي القديم ؛ لأنَّ معرفة مخارج الأصوات غير كافيَّة في إعطاء الخصائص الصَّوتيَّة الَّتي ينماز بها حتى يجعل جرسه متميزًا في السَّمع عن غيره ، ولا سيما أنَّ كثيرًا من الأصوات تشترك مع غيرها في المخرج فلولا صفات الأصوات لمَّا انمازت تلك الأصوات المشتركة في مخرج واحد ، قال مكي بن أبي طالب نقلًا عن المازني (ت٢٤٣هـ) : ((إنَّ الذي فصل بين الحروف التي ألف منها الكلام سبعة أشياء : الجهر، والهمس والشِّدة ، والإرخاء ، والإطباق ، والمدِّ واللِّين ،

---

(٧٠) ينظر: علم اللُّغة ، الدكتور محمود السَّعران ١٤٨-١٤٩.

قال : لأنَّك إذا جهرت ، أو همست ، أو أطبقت ، أو شددت ، أو مددت ، أو لينت اختلفت أصوات الحروف التي من مخرج واحد فعند ذلك يأتلف الكلام ويفهم المراد ، قال : ولو كانت المخارج واحدة والصِّفات واحدة لكان الكلام بمنزلة أصوات البهائم التي لها مخرج واحد وصفة واحدة لا تفهم ، فهذه حكمة جبل الله عليها هذه الحروف في أصوات بني آدم لتخرج بهذه الصِّفات عن جنس أصوات البهائم ؛لأنَّ أصوات البهائم التي لها مخرج واحد وصفة واحدة لا تفهم)) (٧١) ، وقول مكي بن أبي طالب : ((وتكون الحروف من مخرجين ، وهي مختلفة الصِّفات ، فهذا غاية التَّباين ، إذ قد اختلفت في المخارج والصِّفات ، وتكون من مخرجين متفقة الصِّفات ، فهذا أيضًا بين الحروف من جهة الصِّفات وتباين من جهة المخرج، فافهم هذا ، فعليه مدار الحروف كلِّها، ولا تجد أحرفًا من مخرج واحد متفقة الصِّفات البتة ؛ لأنَّ ذلك يوجب اتفاقها في السَّمع فلا تفيد فائدةً ، فتصير كأصوات البهائم التي لا اختلاف في مخارجها ولا في صفاتها ، فلابدَّ أن تختلف الحروف إمَّا في المخارج , وإمَّا في الصِّفات)) (٧٢).

ومن لطيف ذلك ما أشار إليه الملا علي القاري ، إذ قال : ((... فإنَّ الجمهور من أرباب التَّدقيق جعلوا الحروف متعددة مخرجًا واحدًا بناءً على أنَّ التَّمييز حاصل باعتبار اختلاف الصِّفات ، وإن كان الاتحاد باعتبار الذَّوات ولذا قيل : إنَّ معرفة المخرج بمنزلة الوزن والمقدار ، ومعرفة الصِّفة

---

(٧١) الرِّعاية ١٤٣.

(٧٢) المصدر نفسه ١٥٦، وينظر : القول المألوف ١١٨، والمنح الفكريَّة ٩٦.

بمنزلة المحك والمعيار)) [٧٣] ، ولعلَّ في ذلك إشارة إلى مَّا ذهب إليه ابن الحاجب(ت٦٤٦هـ) في جعله المخارج بعدد الأصوات ، إذ قال : ((ومخارج الحروف ستة عشر تقريبًا وإلا فلكلِّ مخرج...)) [٧٤] ، ووافق رأيَّه هذا عماد الدِّين الأيوبي(ت٧٣٢هـ) بقوله : ((وهي ستة عشر في جليل النَّظر وأمَّا في دقيق النَّظر فلكلِّ حرف مخرج)) [٧٥].

ولا جرم أنَّ القدماء درسوا صفات الأصوات دراسة دقيقة معمقة ، وفيها تفصيلات متشعبة ، تتفاوت بين عالم وآخر وحين تأمل النَّص – آنفًا– تظهر أهميَّة الصِّفة في تمييز الأصوات المتحدة في المخرج ، والعلة في ذلك أنَّ إتحادها يجعلها لا تتميز في السَّمع ، وهو مؤشر على الدَّور التَّداولي التي تمارسه الصِّفات في اللُّغة ، قال مكي : ((ولولا التَّسفل والانفتاح اللَّذان في الدَّال لكانت طاءً ، كذلك لولا الإطباق والاستعلاء اللَّذان في الطَّاء لكانت دالًا ، فإنَّما فرق بينهما في السَّمع اختلاف بعض الصِّفات لا غير)) [٧٦] ، ومثله : ((واعلم أنَّه لولا اختلاف الصِّفات في الحروف لم يفرق في السَّمع بين أحرف من مخرج واحد)) [٧٧] .

---

[٧٣] المنح الفكريَّة ٧٦.

[٧٤] الشَّافيَّة في علم التَّصريف ، ابن الحاجب ١٢١.

[٧٥] الكناش في فني النَّحو والصَّرف٢/٣٠٩.

[٧٦] الرِّعاية ٢٠١.

[٧٧] المصدر نفسه ٢١٨.

فالصِّفة أنيط بها مهمة صفاء اللَّفظ وخلوه من التَّنافر والغموض وهو شرط من شروط فصاحة الكلمة [٧٨]، فضلًا على دورها المائز للصوت الإنساني اللُّغوي من غيره من الأصوات بالمعنى العام (اللُّغوي وغير اللُّغوي) كالآلات الموسيقيَّة النَّفخيَّة أو الوتريَّة أصوات وكذلك الحس الإنساني صوت[٧٩] ، فالصَّوت اللُّغوي نحصر أبحاثه في ثلاثة جوانب رئيسة [٨٠] :

١ - طريقة نطق الأصوات كما تصدر عن أعضاء الآلة المصوتة (الكلام).

٢ - انتشار الصَّوت اللُّغوي من فم المتكلم إلى أذن المخاطب في موجات تذبذبيَّة في الهواء (انتقاله في الهواء).

٣ - تأثير هذه الموجات في الأذن البشريَّة وعمليَّة إدراكها (الجانب السَّمعي).

ولم تتوقف وظيفة الصَّفة عند هذا الحدِّ بل توسعت لتشمل مختلف الاتجاهات اللُّغويَّة ، فمن ذلك :

١ – **في الإدغام :** ليعرف ما يدغم في غيره لقربه منه في المخرج ، والصِّفة ، أو في أحدهما، ومما لا يدغم لبعده منه في ذلك ، وهذا ما كان

---

[٧٨] ينظر : أثر التَّفكير الصَّوتي في دراسة العربيَّة (أطروحة) مشتاق عباس معن ، كلية اللُّغات والتَّرجمة – جامعة صنعاء، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م : ٣٢٠.

[٧٩] ينظر: مناهج البحث في اللُّغة ، الدكتور تمام حسان ٥٩.

[٨٠] ينظر:علم الأصوات العام – أصوات اللُّغة العربيَّة ، الدكتور بسام بركة ٦.

سيبويه قد ذهب إليه وأكده بقوله : ((وإنَّما صنفت لك حروف المعجم بهذه الصِّفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام ، وما يجوز فيه ، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه)) [٨١].

٢ – **بيـان الأصـوات العربيَّـة** : فلكـي ينطـق مـن لـيس بعربـي بمثـل ما ينطق بـه العربي كبيان رفع الفاعل ، ونصب المفعول فكما أنَّ نصب الفاعل ، ورفـع المفعول لحنٌ فـي العربيَّـة كذلك النُّطـق بأصـوات مخالفـة لمخارجها وصفاتها [٨٢].

٣ – **الصِّـفة عامـل مؤسـس للفصـاحة** : اتخـذ البلاغيـون مـن الصِّـفة الصَّوتيَّة ، معيارًا (مشاركًا للمخرج) للتمييز بين اللَّفظ ذي البنـاء الحسـن واللَّفظ ذي البنـاء المتنافر(صفاء اللَّفظ) ، وقد استغل بعض البلاغيين هذا التَّوزيع لتعليل مسألة التَّنافر في تأليف الألفاظ المفردة [٨٣].

ومـن أمثلـة بعضـهم علـى أثـر الصِّـفة فـي جلـب التَّنـافر فـي بنـاء مستشزرات في قول امرئ القيس [٨٤] :

غدائره مستشزرات إلى العلا تضلُّ المدارى في مُثنيّ ومرسل

قال : ((... فاعلم أنَّ الشَّين اتصفت بالهمس والرَّخاوة والتَّاء قبلها اتصفت بالهمس والشِّدة ، فقد اشتركا في الهمس واختلفا في الشِّدة والرَّخاوة

---

[٨١] الكتاب٤/٤٣٦.

[٨٢] ينظر : همع الهوامع٣/٤٥٥.

[٨٣] ينظر : أثر التَّفكير الصَّوتي في دراسة العربيَّة (أطروحة) ٣١٩.

[٨٤] ينظر : ديوان امرئ القيس ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ١١٥.

والضَّرر جاء من اختلافهما وكذلك شاركت الشِّين الزَّاي في الرَّخاوة واختلفا في الهمس والجهر والضَّرر جاء من اختلافهما ، فالحاصل أنَّ الشِّين اتصفت بصفتين ضاربت بإحداهما ما قبلهما وضاربت بالأخرى ما بعدها ...)) [٨٥].

فمن ذلك نلحظ أنَّ التَّنافر قد سبب ثقلًا في منظومة الكلمة النُّطقيَّة ؛ وإنَّما كان الثِّقل في مستشزرات ((لتوسط الشِّين وهي مهموسة رخوة بين التَّاء وهي مهموسة شديدة والزَّاي وهي مجهورة ...)) [٨٦]، فخلوص تنافر الكلمات بأن لا يثقل على السَّمع وخلوصه من التَّعقيد بأن لا يضعف فهم المعنى من الكلام بوجه يرجع إلى اللَّفظ[٨٧]، ولا جرم أنَّ الضَّابط في ذلك هو ((الذَّوق الصَّحيح ... فهو متنافر سواء كان من قرب المخارج أو بعدها أو غير ذلك)) [٨٨]، وعليه فقرب المخارج أو بعدها غير مطرد في مسألة التَّنافر في تأليف الألفاظ المفردة [٨٩].

أمَّا صفاء التَّركيب فقد وضع البلاغيون شروطًا لفصاحة التَّركيب ،

---

[٨٥] حاشية دسوقي على (مختصر المعاني) ، تصنيف : الشَّيخ محمد بن محمد عرفه الدَّسوقي ٩٠ ، وينظر : أثر التَّفكير الصَّوتي في دراسة العربيَّة (أطروحة) ٣٢٠.

[٨٦] البلاغة الشِّعريَّة في كتاب البيان والتَّبين للجاحظ ، الدكتور محمد علي زكي صباغ ١٣٨.

[٨٧] ينظر: المصدر نفسه والصَّفحة نفسها.

[٨٨] دروس في البلاغة (شرح مختصر التَّفتازاني) ، الشَّيخ محمدي البامياني ١/٩٣-٩٤، وينظر: حاشية دسوقي ٨٩.

[٨٩] ينظر: المصدر نفسه٩٤.

ومن تلك الشُّروط :

الأوَّل : أن يكــون التَّركيــب مؤلفًــا مــن ألفــاظ ذات أصــوات متباعــدة المخارج .

الثَّــاني : أن يكـون لتلـك الألفـاظ حسـن ومزيَّـة فـي السَّـمع فـي التَّـأليف والإيقاع[٩٠].

مستشزرات	/ت/	**/ش/**	/ ز /
	+الهمس	+ الهمس	− الهمس
	+الشِّدة	+ الرَّخاوة	+ الرَّخاوة
	− الرَّخاوة	− الشِّدة	− الشِّدة
	− الجهر	− الجهر	+ الجهر

٤ – **سـلامة اللُّغـة العربيَّـة (المعـرب والـدَّخيل)** : وحين نقول (سلامة اللُّغة) فإنَّما نعني المعيار الذي وضعه علماء اللُّغة لمعرفة ما هو من كلام العرب (المعرب) وما هو ليس من كلامهم (الدَّخيل) حصرًا عامًا كقوانين لا يمكن أن نحيد عنها ، ومن ذلك اتخاذهم صفة (الذّلاقة) معيارًا لمعرفة الألفـاظ الدَّاخلـة فـي الكـلام العربـي وتميـزه مـن غيرهـا [٩١]، قـال الخليـل : ((فـإن وردت عليـك كلمـة رباعيَّـة أو خماسيَّة معـراة مـن الحـروف الـذُّلق أو الشَّفويَّة ولا يكون من تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان

---

[٩٠] ينظر : سر الفصاحة ٦٤، وأثر التَّفكير الصَّوتي في دراسة العربيَّة (أطروحة) ٣٣٢.

[٩١] ينظر : العين١/ ٥٢ ، وجمهرة اللُّغة ، ابن دريد ١/٥٠ ، وتهذيب اللُّغة ، الأزهري ١/٥٠–٥١ ، وسر صناعة الإعراب ١/٦٥.

أو فـوق ذلـك فـاعلم أنَّ تلـك الكلمـة محدثـة مبتدعـة ليسـت مـن كـلام العـرب ؛ لأنَّـك لسـت واجـدًا مـن يسـمع مـن كـلام العـرب كلمـة واحـدة رباعيَّـة ، أو خماسـيَّة إلا وفيهـا مـن حـروف الـذَّلق ، والشَّـفويَّة واحـد ، أو اثنان ، أو أكثر)) [٩٢].

فصفة الذَّلاقة كما نلحظ اتخذها الخليل معيارًا رئيسًا وركيزة أساسيَّة لغايته من تأليف معجمه اللُّغوي ، قال : ((ولكن ألَّفناه ليُعَرف صحيحُ بناءِ كلام العرب من الدَّخيل)) [٩٣].

٥ – أثر الصِّفة في تأليف كلام العرب : للصفة أثرٌ كبير في تأليف كلام العرب ، ومن ذلك قول الخليل : ((ولكنَّ العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حَسَّنَتَاه)) [٩٤] ، وقوله : ((وإنَّما استحسنوا الهاء في هذا الضَّرب للينها[٩٥] وهشاشتها[٩٦] ، وإنَّما هي نَفَس لا اعتياص[٩٧] فيها)) [٩٨].

---

[٩٢] العين ٥٢/١.

[٩٣] المصدر نفسه ٥٤/١.

[٩٤] المصدر نفسه ٥٣/١ ، وينظر: تهذيب اللُّغة ، الأزهري ٤٥/١–٤٦.

[٩٥] ومن معانيها السُّهولة ((السَّهْلُ : كلُّ شيءٍ إلى اللِّين، وذَهابِ الخشونة، وقد سَهُل سُهُولةً))العين مرتبًا(سهل) ٢/٢٨٩ ، وهي الصِّفة المقابلة للصلابة بدليل قوله ((لأنَّ الدال لانت عن صلابة...)) العين ٥٣/١–٥٤.

[٩٦] وقوله في معنى الهش : ((الهشُّ : كلّ شيءٍ فيه رَخاوةٌ. هشَّ يَهَشُّ هَشاشةً فهو هَشٌّ هَشيشٌ)) العين مرتبًا(هشّ) ٣١٠/٣ .

[٩٧] ((والعويص من الشِّعر ما يصعب استخراج معناه)) لسان العرب (عوص) ٤/ ٣١٧٠.

[٩٨] العين ١/ ٤٠.

ويبدو لنا أنَّ الخليل لم يدع **(صفة = سمة)** إلا واستثمرها في ترتيبه الصَّوتي ، فهو على معرفة تامة ، وذو نظرة شاملة فاحصة لكلِّ الخصائص التي يتمتع بها الصَّوت الواحد فضلًا على الخصائص المشتركة مع الأصوات الأخرى ، فهو يراقب الصِّفة المخرجيَّة منذ ولادتها وما يرافقها من ظواهر صوتيَّة ، وهو ما يعطي سبقًا للخليل في دراسة سمات الأصوات التي اتسمت بها دراسات بعض المحدثين.

/ع.ق/ (+ طلاقة ، + ضخامة ، + الجرس)   **/هـ/** (+ لين ، + هشاشة ، – اعتياص)

٦ – **الوضوح السَّمعي وإبانة الخطاب** : للوضوح السمعي أثره الوظيفي في الكلام بما يتلاءم والحياة الاجتماعيَّة للإنسان ، فالمتحضر دائمًا ما ينزع إلى الدِّعة والهدوء فيميل إلى الأصوات المهموسة والرَّخوة ، في حين يميل البدوي إلى خلاف ذلك بسبب طبيعته البدويَّة التي تميل إلى الخشونة فناسبت القوة طبيعة حياة البدوي والضَّعف ناسب حياة الحضري، ويعرف الوضوح السَّمعي (**sonority**) بأنَّه ((طاقة الصَّوت النُّطقيَّة التي تجعل الصَّوت واضحًا للسامع ، غير ملتبس بغيره من الأصوات)) [٩٩] ،

---

[٩٩] الأصوات اللُّغويَّة رؤية عضويَّة ونطقيَّة وفيزيائيَّة ، الدكتور سمير شريف إستيتية ١٦٩.

فأصوات العربيَّة على درجات متفاوتة في وضوحها السَّمعي وهذا الوضوح يعتمد على قوة الصِّفات الصَّوتيَّة ، ومن ذلك قول الخليل : ((ولكنَّ العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حَسَّنَتَاه؛ لأنَّهما أطلق الحروف وأضخمها جَرْسا)) [١٠٠]، فالخليل جعل للعين والقاف فضيلة تحسين الكلام ، لمَّا فيهما من وضوح سمعي عالٍ في النُّطق ، وقول مكي بن أبي طالب مبينًا أثر الصِّفات في تمييز الأصوات المشتركة في المخرج مرتكزًا على الجانب السَّمعي : ((... وإنَّما فرق بين هذه الحروف في السَّمع اختلاف صفاتها وقوتها وضعفها ، ولولا ذلك لم يختلف السَّمع في حرفين من مخرج واحد)) [١٠١] ، وما قاله ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) في إدغام الدَّال في الطَّاء : ((... لأنَّ المطبق أفشى في السَّمع، فكان تغليبُ الدَّال على الإطباق كالإجحاف ، إذ ليست كالإطباق في السَّمع)) [١٠٢] ،فللوضوح السَّمعي في الطَّاء بما فيها من فضيلة الإطباق لم تدغم الدَّال.

والغاية الأسمى هي إبانة الكلام للمخاطب ؛ ليظهر مراد المتكلم ، قال مكي بن أبي طالب : ((... ليفهم الخطاب ويظهر المراد من المتكلم ، ولولا اختلاف هذه المخارج واختلاف هذه الصِّفات التي ذكرنا في الحروف لم يفهم الخطاب ففي ذلك عبرة لمن تفهَّم وتدبَّر قدرة الله في ذلك)) [١٠٣].

---

[١٠٠] العين ١/ ٥٣.

[١٠١] الرِّعاية ١٥٥.

[١٠٢] شرح المفصل ١٠/١٤٦.

[١٠٣] الرِّعاية ,٢٤١

٧ – **الصِّفة وحدة مميزة :** وحين نتحدث عن الصِّفة بوصفها وحدة مميزة فذلك ؛ لأنَّ الصِّفات تعرف بأنَّها : ((الخواص والملامح المميزة لكلِّ صوت ، من همس أو جهر وشدة أو رخاوة واستعلاء أو استفال وإطباق أو انفتاح ، وغير ذلك من الصِّفات التي تحدد الحالة يكون عليها الصَّوت عند النُّطق به)) [١٠٤].

والدَّليل على أنَّ الصّفات تميز الأصوات المشتركة في المخرج الواحد قول سيبويه : ((ولولا الإطباق لصارت الطَّاء دالًا، والصَّاد سينًا، والظَّاء ذالًا، ولخرجت الضَّاد من الكلام؛ لأنَّه ليس شيء من موضعها غيرها)) [١٠٥] ، فالطَّاء ، والدَّال من مخرج واحد، وكذلك الصَّاد، والسَّين، والحال هو للظاء، والذَّال، وإنَّما ميزت بين كلِّ صوتٍ، وأخيه صفة الإطباق، ومثل ذلك قول مكي بن أبي طالب في باب السِّين : ((السِّين تخرج من مخرج الزَّاي وهو المخرج التَّاسع من مخارج الفم فهي أخت الزَّاي في المخرج والصَّفير لكنَّ السِّين أضعف من الزَّاي؛ لأنَّ الزَّاي حرف مجهور ، والسِّين حرف مهموس ولولا الهمس الذي في السِّين لكانت زايًا كذلك لولا الجهر الذي في الزَّاي لكانت سينًا إذ قد اشتركا في المخرج والصَّفير والرَّخاوة والانفتاح ، والتَّسفل وإنَّما اختلفا في الجهر، والهمس

---

[١٠٤] العربيَّة وعلم اللُّغة الحديث 120 .

[١٠٥] الك[١٠٥]ال حدي ث .

[١٠٥] الكتاب ٤٣٦/٤ ، وينظر : الموضح في التَّجويد، القرطبي ٩٠، ومثل ذلك ذكر الملا علي القاري لعلي بن عيسى الرُّمَّاني في المنح الفكريَّة ٩٦،٩٧.

لاغير ، فباختلاف هاتين الصِّفتين افترقا في السَّمع فاعرف ذلك)) [١٠٦].

فما يجمع السِّين والزَّاي هو(اشتراكهما في المخرج = المؤاخاة) ، واشتراكها(أي السين) وصفيًا مع الزَّاي بالصَّفير والرَّخاوة والانفتاح ، والتَّسفل ، والملمح المائز بينهما (الجهر للزاي) ، و(الهمس للسين) ، وهي بالهمس أضعف من الزَّاي ، فالهمس من صفات الضَّعف[١٠٧] ،على عكس الجهر الذي يوسم بالقوة [١٠٨] ، كما أنَّ المخاطب يلمس وضوحًا سمعيًا مع الزَّاي المجهورة على عكس السِّين المتسمة بالهمس.

وقوله : ((ولولا الهمس والرَّخاوة اللذان في الهاء مع شدة الخفاء لكانت همزةً، وكذلك لولا الجهر والشِّدة اللذان في الهمزة لكانت هاءً إذ المخرج واحد ، وإنَّما فرق بين هذه الحروف في السَّمع اختلاف صفاتها وقوتها وضعفها، ولولا ذلك لم يختلف السَّمع في حرفين من مخرج واحد)) [١٠٩].

فالنَّص–آنفًا– هو الآخر يكشف عن دور الصِّفة في التَّمييز ليس

---

[١٠٦] الرِّعاية ٢١١–٢١٢.

[١٠٧] ينظر: المصدر نفسه ١١٨، والكشف عن وجوه القراءآت السَّبع وعللها وحججه،مكي بن أبي طالب ١/١٣٧–١٣٨، و المفيد في شرح عمدة المجيد في النَّظم والتَّجويد ، للحسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ) ١٥١، والمصطلح الصَّوتي في الدِّراسات العربيَّة ، الدكتور عبد العزيز الصِّيغ ١٧٢.

[١٠٨] ينظر: الرِّعاية ١١٨، والكشف ١/١٣٧–١٣٨، والمفيد في علم التَّجويد ١٥٠، والمصطلح الصَّوتي في الدِّراسات العربيَّة، الدكتور عبد العزيز الصِّيغ ١٧١.

[١٠٩] الرِّعاية ١٥٥.

على مستوى الأصوات المتحدة المخرج وإنَّما في تمييز صوت من صوت وهي وظيفة لغويَّة مهمة وعامل مؤثر حال دون ذوبان الصَّوت في الصَّوت الآخر فتبين لنا أنَّ المخرج يمكن أن يكون عامل فناء والصِّفة عامل بقاء:

/هـ/	/ء/
+ الهمس	+ الجهر
+ الرَّخاوة	+ الشِّدة
+ شدة الخفاء	+ القوة
+ الضَّعف	– الهمس
– الجهر	– الرَّخاوة
– الشِّدة	

ولاشك أنَّ القدماء استشعروا مشكلة بعض الأصوات وما تعانيه من صعوبة في تكييفها وتنوع نطقها، ومن ذلك قول الخليل : ((لولا بحه في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين)) [١١٠] ، ولهذه العلة فإنَّها ((لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما)) [١١١] ، فالأصوات في بيئتها اللُّغويَّة تتداخل فيما بينها ولاسيما الأصوات المتحدة المخرج ؛ لتأتي وظيفة الصِّفة في حفظ استقلاليَّة الصَّوت وتمييزه من أقرب الأصوات إليه .

---

[١١٠] العين ١/٥٧.

[١١١] المصدر نفسه١/٦٠.

٨- **الصِّـفة معيـار يتقـوم بـه الصَّـوت فـي السِّـياق :** حينمـا تـنتظم الأصـوات فـي سياق صـوتي معـين يفـرض علـى الصَّـوت أن يـدخل فـي علاقات متداخلة مع ما يجاوره من الأصوات وهذا الأمر في بعض الأحيان يسمح بتداخل الأصوات حد الاندماج بعضها مع بعض في حال التَّشابه ، وهنـا يبـرز دور صـفة معينـة فـي الصَّـوت تسـعى لحفظـه ، وإعـادة تشـكيله داخل السِّياق ؛لأنَّ الصَّوت يتشكل من صفات متعددة وإذا اشترك مع غيره بصفات معينة فإنَّه سيختلف معه بصفات أخرى ، ومما يؤكد ذلك قول ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) : ((وإذا أتـى بعد السِّين حرف من حـروف الإطبـاق سواء كانـت سـاكنة أو متحركـة وجـب بيانهـا فـي رفـق وتـؤدة وإلا فصـارت صادًا بسبب المجاورة ؛ لأنَّ مخرجهما واحد ولولا التَّسفل ، والانفتاح اللَّذان فـي السِّين لكانـت صـادًا ولـولا الاسـتعلاء ، والإطبـاق اللَّـذان فـي الصَّـاد لكانت سينًا وينبغي أن يبين الصَّاد ؛ لأنَّ الصَّاد بين بالإطباق ... فتلفظ بها في حالي سكونها وتحريكها برفق ورقة)) [١١٢].

فالنَّص – آنفًا – يمكن تفسيره على النَّحو الآتي :

– للمجاورة أثرٌ واضحٌ في التَّغيير الصَّوتي ، فالسِّين إذا أتى بعدها صوت من أصوات الإطباق وجب بيانها وإلا تحولت صادًا لاشتراكها مع السِّين في المخرج .

– التَّسفل ، والانفتاح هما ما يميز السِّين من الصَّاد ، كما أنَّ الأخير يتميز من السِّين بالإطباق لذا وجب بيانه أيضًا.

---

[١١٢] التَّمهيد ، ابن الجزري ١٣٧.

الخاتمــة :

يطيب لنا في خاتمة البحث أن نقدم أهم النَّتائج التي توصلنا إليها ، وهي على النَّحو الآتي :

١- تعدد المصطلحات الدَّالة على الصِّفة الصَّوتيَّة أو لنقل بدائل الصِّفة ، كما تعددت المصطلحات الدَّالة على الصِّفة الواحدة ، وأحسب أنَّ اهتمامهم بتوصيل الفكرة يجرهم أحيانًا إلى إحاطتها بأكثر من مصطلح من أجل ما يكتنفها من غموض أو لبس ولاسيما أنَّ طبيعة التَّأليف وغلبة الجانب التَّعليمي كان عاملًا مهمًا في تعدد المصطلحات من أجل إيصال الفكرة وتثبيتها في ذهن المتلقي حتى تتضح ويسهل التماسها .

٢- الصَّوت اللُّغوي مركب من المخرج والصِّفة وقد أثبت الباحث هذه العلاقة الوثيقة انطلاقًا من طريقة العلماء في تعيين مخرج الصَّوت ، ومن ثم فك اللَّبس عن مفهوم العارض في تعريف الصِّفة ، فصفات الأصوات هي الظَّواهر التي تشكل جزءًا رئيسًا من الصَّوت اللُّغوي ولها القدرة على تميزه من غيره ، وهي تصاحب عمليَّة إنتاج الصَّوت منذ ولادته في نقطة خروجه ، لحين بلوغه أذن السَّامع ، ولها دور كبير في إجراء التَّغيرات في الظَّواهر الصَّوتيَّة ، وتزداد قدرتها على ذلك بحسب قوتها .

٣- أنيطت الصِّفة الصَّوتيَّة بوظائف متعددة وعلى النَّحو الآتي : (في الإدغام)، و(بيان الأصوات العربيَّة)، و(الصِّفة عامل مؤسس للفصاحة)، و(سلامة اللُّغة العربيَّة (المعرب والدَّخيل)، و(أثر الصِّفة في تأليف كلام العرب)، و(الوضوح السَّمعي وإبانة الخطاب)، و(الصِّفة وحدة مميزة)، و(الصِّفة معيار يتقوم به الصَّوت في السِّياق).

المصـادر :

- القرآن الكريم

- الكتب المطبوعة :

- ارتشاف الضَّرب من لسان العرب ، لأبي حيان الأندلسي المتوفى ٧٤٥ هجريَّـة ، تحقيـق : الـدكتور رجـب عثمـان محمـد ، مكتبـة الخـانجي بالقاهرة ، (د.ط) ،(د.ت).

- أسرار العربيَّة ، تأليف الإمام أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (٥١٣-٥٧٧هـ)، عنـي بتحقيقه محمد بهجت البيطـار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، (د.ط)، (د.ت).

- أسس علم اللُّغة ، تأليف : ماريو باي ، ترجمة : الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب ، ط٨ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

- الأسس اللُّغويَّـة لعلم المصطلح ، الدكتور محمود فهمـي حجـازي ، دار غريب ، القاهرة ، (د.ط) ،(د.ت).

- الأصوات في اللُّغة العربيَّة ، الدكتور مصطفى عبد الحفيظ سالم ، كلية اللُّغة العربيَّة بالمنصورة – جامعة الأزهر ، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م .

- الأصـوات اللُّغويَّـة ، تـأليف : الـدكتور إبـراهيم أنـيس ، مكتبـة الأنجلـو المصريَّة ، (د.ط)،٢٠٠٧م.

- الأصوات اللُّغويَّة رؤيَّة عضويَّة ونطقيَّة وفيزيائيَّة ، الدكتور سمير شريف إستيتية ، دار وائل – عمان– الأردن، ط١، ٢٠٠٣م.

- الأصـول فـي النَّحـو ، لأبـي بكـر محمـد بـن سـهل بـن السَّراج النَّحـوي البغدادي المتوفى سنة ٣١٦هـ ، تحقيق : الدكتور عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرِّسالة ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- أقسام الكلام العربي من حيث الشَّكل والوظيفة ، تأليف : الدكتور فاضل مصـطفى السَّـاقي ، مكتبـة الخـانجي بالقـاهرة ، (د.ط) ،١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
- الإيضاح في شرح المفصل ، للشيخ أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بـابن الحاجـب (ت٦٤٦هـ) ، تحقيـق : موسـى بنـاي العليلـي ، مطبعـة العاني - بغداد ، (د.ط)، (د.ت).
- البـديع فـي علـم العربيَّـة ، للمبـارك بـن محمـد الشَّـيباني الجـزري أبـي السَّعادات مجد الدِّين ابن الأثير (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق ودراسة : الدكتور فتحـي أحمـد علـي الـدِّين ، جامعـة أم القـرى - مكـة المكرمـة ، ط١ ،١٤٢٠.
- البلاغة الشِّعريَّة في كتاب البيان والتَّبين للجاحظ ، الدكتور محمد علي زكي صباغ ، المكتبة العصريَّة - بيروت ، ط ١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- التَّبصرة والتَّذكرة ، لأبي محمد عبد الله بن علي بن إسحاق الصَّيمري من نحاة القرن الرَّابع ، تحقيق : الدكتور فتحي أحمد مصطفى علي الدِّين ، دار الفكر - دمشق ، ط١، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م.
- التَّحديد في الإتقان والتَّجويد ، تأليف أبي عمرو عثمان بن سعيد الدَّاني الأندلسي ، دراسة وتحقيق : غانم قدوري الحمد ، دار عمار- عمان ، ط١،١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.

- التَّطـور النَّحـوي للغـة العربيَّـة ، براجستراسـر ، أخرجـه وصـححه وعلـق عليـه : الـدكتور رمضـان عبد التَّواب ، مكتبـة الخـانجي بالقـاهرة ، ط٢، ١٣١٤هـ -١٩٩٤م.
- التَّعريفات ، للفاضل العلامة علي بن محمد الشَّريف الجرجاني ، مكتبة لبنان – بيروت ، (د.ط) ،١٩٨٥م.
- التَّعليل الصَّوتي عند العرب في ضوء علم الصَّوت الحديث – قراءة في كتاب سيبويه – الدكتور عادل نذير بيري الحساني ، ط١ ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
- التَّفكيـر اللُّغـوي بـين القـديم والجديـد ، الـدكتور كمـال بشـر ، دار غريـب للطباعة والنَّشر والتَّوزيع (القاهرة) ، (د.ط)، ٢٠٠٥م.
- التَّمهيد فـي علـم التَّجويد ، لشمس الدِّين أبـي الخيـر محمد بـن الجـزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ ، تحقيق : غانم قدوري الحمد ، مؤسسة الرِّسالة – بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.
- تهـذيب اللُّغـة ، لأبـي منصـور محمـد بـن أحمـد الأزهـري (ت٣٧٠هـ)، حققــه : عبــد السَّــلام هــارون، الــدَّار المصــريَّة للتــأليف والتَّرجمــة ، (د.ط) ، (د.ت).
- جمهـرة اللُّغـة ، لأبـي بكـر محمـد بـن الحسـن بـن دريـد المتـوفى سـنة ٣٢١هـ ، حققـه : الـدكتور رمـزي منيـر بعلبكـي ، دار العلـم للملايـين – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٨٧م.

- جهد المقل ، لمحمد بن أبي بكر المرعشي الملقب بساجقلي زاده (ت١١٥٠هـ)، دراسة وتحقيق : الدكتور سالم قدوري الحمد ، دار عمار- الأردن ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- جهود ابن جني في الصَّرف وتقويمها في ضوء علم اللُّغة الحديث ، تأليف : الدكتور غنيم غانم الينعاوي ، المكتبة التِّجاريَّة- مكة المكرمة ، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- حاشية دسوقي على (مختصر المعاني) ، تصنيف : الشَّيخ محمد بن محمد عرفه الدَّسوقي ، مكتبة رشيديَّة ، (د.ط) ،(د.ت).
- حق التِّلاوة ، حسني شيخ عثمان ، دار المنارة – دمشق ، للنشر والتَّوزيع ، ط١٢ ، ١٤١٨ -١٩٩٨م.
- الدِّراسات الصَّوتيَّة عند علماء التَّجويد، الدكتور غانم قدوري الحمد ، دار عمار- الأردن ، ط ٢ ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- دراسة الصَّوت اللُّغوي ، تأليف : الدكتور أحمد مختار عمر ،عالم الكتب – القاهرة ، (د.ط) ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- دروس في البلاغة (شرح مختصر المعاني للتفتازاني) ، تأليف : الشَّيخ محمدي البامياني ، مؤسسة البلاغ – بيروت ، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
- دقائق التَّصريف ، للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدب (من علماء القرن الرَّابع الهجري) ، تحقيق : الدكتور أحمد ناجي القيسي ، الدكتور حاتم صالح الضَّامن ، الدكتور حسين تورال ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (د.ط) ،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

- الدَّقائق المحكمة في شرح المقدمة ، أبو زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ)، مكتبة الإرشاد ، ط١ ، ١٩٩٠م.
- ديوان امرئ القيس ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف – القاهرة ، ط٤ ، (د.ت).
- رسالة أسباب حدوث الحروف ، للشيخ الرَّئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا (٣٧٠-٤٢٨هـ)، تحقيق : محمد حسان ، يحيى مير علم ، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق ، (د.ط) ،(د.ت).
- الرِّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التِّلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها،صنعة الإمام العلامة أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧هـ ، تحقيق ، الدكتور أحمد حسن فرحات ، دار عمار – الأردن ، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- سر صناعة الإعراب ، تأليف إمام العربيَّة أبي الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢هـ ، دراسة وتحقيق : الدكتور حسن هنداوي ، دار القلم – دمشق ، ط٢، ١٣١٣هـ-١٩٩٣م.
- سر الفصاحة ، للأمير محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي المتوفى سنة ٤٦٦هـ ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- الشَّافيَّة في علم التَّصريف ، تأليف :جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر الدُّويني النَّحوي المعروف بابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦هـ ،

تحقيق : حسن أحمد العثمان ، المكتبة المكيَّة ، ط١ ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- شرح شافيَّة ابن الحاجب ، تأليف الشَّيخ رضي الدِّين محمد بن الحسن الأستراباذي النَّحوي ٦٨٦هـ، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب المتوفى في عام ١٠٩٣ من الهجرة ، حققها وضبط غريبها وشرح مبهمها الأساتذة :محمد نور الحسن ، محمد الزِّفزاف ،محمد محيي الدِّين عبد الحميد ، دار الكتب العلميَّة - بيروت - لبنان ، (د.ط) ،١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- شرح الكافيَّة الشَّافيَّة ، تأليف : العلامة جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطَّائي الجياني ، حققه : الدكتور عبد المنعم أحمد هريري ، دار المأمون للتراث- جامعة أم القرى،(د.ط) ،(د.ت).
- شرح المقدمة الجزريَّة ،للإمام الحافظ محمد بن محمد الجزري ، تأليف : عصام الدِّين أحمد بن مصطفى بن خليل الشَّهير بطاش كبري زاده المتوفى سنة ٩٦٨هـ، تحقيق: محمد سيدي محمد الأمين ، مكتبة الملك فهد الوطنيَّة ، (د.ط) ،١٤٢١هـ.
- شرح المفصل ، للشيخ العالم العلامة موفق الدِّين يعيش بن علي بن يعيش النَّحوي المتوفى سنة ٦٤٣هـ ، عنيت بطبعه ونشره إدارة الطِّباعة المنيريَّة بمصر بشارع الكحكيين نمره ، (د.ط)، (د.ت).
- الصِّفات الإلهيَّة تعريفها - أقسامها ، تأليف : الدكتور محمد بن خليفة بن علي التّميمي ، دار أضواء السَّلف ، ط ١،١٤٢٢-٢٠٠٢م.

- الصَّفوة الصَّفيَّة في شرح الدُّرة الألفيَّة ، لتقي الدِّين إبراهيم بن الحسين المعروف بالنِّيلي من علماء القرن السَّابع الهجري ، تحقيق : محسن بن سالم العميري ، جامعة أم القرى ، (د.ط) ، ١٤١٥هـ.
- علم الأصوات العام (أصوات اللُّغة العربيَّة) ، تأليف : الدكتور بسام بركة ، مركز الإنماء القومي– لبنان ، (د.ط)، (د.ت).
- العربيَّة وعلم اللُّغة الحديث ، الدكتور محمد محمد داود ، دار غريب للطباعة والنَّشر والتَّوزيع (القاهرة)، (د.ط) ، ٢٠٠١م.
- علم اللُّغة العام (الأصوات) ، الدكتور كمال بشر، دار المعارف بمصر، ط٤ ، ١٩٧٣م.
- علم اللُّغة مقدمة للقارئ العربي ، الدكتور محمود السَّعران ، دار النَّهضة العربيَّة للطباعة والنَّشر – بيروت ، (د.ط) ، (د.ت).
- عنقود الزَّواهر في الصَّرف علاء الدِّين علي بن محمد القوشجي ، دراسة وتحقيق : الدكتور أحمد عفيفي ، دار الكتب المصريَّة بالقاهرة ، ط ١، ١٤٢١هـ –٢٠٠١م.
- العين ، لأبي عبد الرَّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠هـ–١٧٥هـ)، تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي ، والدكتور إبراهيم السَّامرائي ، (د.ط)، (د.ت).
- العين مرتبًا على حروف المعجم ،تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠هـ ، ترتيب وتحقيق : الدكتور عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت– لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.

- غنية الطَّالبين ومنية الرَّاغبين في تجويد القرآن العظيم ، تأليف العالم العلامة شيخ المقرئين محمد بن قاسم البقري الشَّافعي المتوفى سنة ١١١١هـ ، تحقيق : محمد عثمان ، دار الكتب العلميَّة – لبنان ، ط١، ٢٠٠٩م.
- الفروق اللُّغويَّة للإمام الأديب اللُّغوي أبي هلال العسكري (من علماء القرن الرَّابع الهجري) ، تحقيق : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثَّقافة – القاهرة ، (د.ط) ،(د.ت).
- قاموس اللَّسانيات مع مقدمة في علم المصطلح ، الدكتور عبد السَّلام المسدي، الدَّار العربيَّة للكتاب، (د.ط) ، (د.ت).
- القول المألوف في معرفة بيان مخارج الحروف ، للشيخ القاضي محمد بن نصر المصري الحنفي (من علماء القرن الثَّاني عشر الهجري) ، تحقيق : الدكتور فرغلي سيد عرباوي ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت – لبنان ، ط١، ٢٠١١م .
- الكتاب كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح : الدكتور عبد السَّلام محمد هارون ، النَّاشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط ٣ ، ١٩٨٨م.
- الكشف عن وجوه القراءآت السَّبع وعللها وحججها ، لمؤلفه أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥هـ–٤٣٧هـ)، تحقيق : الدكتور محيي الدِّين رمضان ، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق ، (د.ط) ، ١٣٩٤هـ–١٩٧٤م.

- الكناش في فني النَّحو والصَّرف للملك المؤيَّد عماد الدِّين أبي الفداء إسماعيل بن الأفضل علي الأيوبي الشَّهير بصاحب حماة المتوفى ٧٣٢هـ ، تحقيق : الدكتور رياض بن حسن الخوام ، المكتبة العصريَّة – بيروت ، (د.ط) ،١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- لطائف الإشارات لفنون القراءات ، للإمام أبي العباس أحمد بن محمد ابن أبي بكر القسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣هـ ، تحقيق : مركز الدِّراسات القرآنيَّة (د.ط)، (د.ت).
- لسان العرب ، لابن منظور، دار المعارف، كورنيش النِّيل – القاهرة ، تحقيق: عبد الله علي الكبير،محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشَّاذلي ، (د.ط) ،(د.ت).
- المحيط في أصوات العربيَّة ونحوها وصرفها ، محمد الأنطاكي ، دار الشَّرق العربي – بيروت ، ط٣، (د.ت).
- المدخل إلى علم أصوات العربيَّة ، الدكتور غانم قدوري الحمد ، دار عمار – عمان ، ط١، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.
- المصطلح النَّحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثَّالث الهجري ، عوض حمد القوزي ، عمادة شؤون المكتبات – جامعة الرِّياض ، ط١ ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- المصطلح الصَّوتي في الدِّراسات العربيَّة ، الدكتور عبد العزيز الصَّيغ ، دار الفكر – دمشق ، (د.ط) ،١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.
- المعجم الوسيط ، من إصدارات مجمع اللُّغة العربيَّة – مصر ، مكتبة الشُّروق الدَّولية ، ط٤ ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

- مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة في موضوعات العلوم ، تأليف : أحمد بن مصطفى الشَّهير بطاش كبري زاده ، دار الكتب العلميَّة – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.
- مفتاح العلوم ، تأليف أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السَّكاكي المتوفى سنة ٦٢٦هـ ، حققه : الدكتور عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلميَّة – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م.
- مفردات ألفاظ القرآن ، تأليف العلامة الرَّاغب الأصفهاني المتوفى في حدود ٤٢٥هـ ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم – دمشق ، ط٤ ، ١٤٣٠–٢٠٠٩م.
- المفصل في علم العربيَّة ، تصنيف أبي القاسم محمود بن عمر الزَّمخشري ، المتوفى سنة ٥٣٨هـ ، دراسة وتحقيق : الدكتور فخر صالح قدارة ، دار عمار– عمان ، ط١ ، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م.
- المفيد في شرح عمدة المجيد في النَّظم والتَّجويد ، للحسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ)، تحقيق : جمال السَّيد رفاعي ، صحّحه وقدّم له : الشَّيخ محمود حافظ برانق ، الدكتور حامد بن خير الله، مكتبة أولاد الشَّيخ ، (د.ط)، (د.ت).
- المفيد في علم التَّجويد ، عبد الرحمن بن سعد الله عيتاني ، ط٢ ، ١٤٣٧هـ–٢٠١٦م.
- المقتضب صنعة أبي العباس محمد بن يزيد المبرِّد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، (د.ط) ،١٤١٥هـ–١٩٩٤م.

- المقرب ، تأليف علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور المتوفى سنة ٦٦٩هـ ، تحقيق : أحمد عبد الستار الجواري ،عبد الله الجبوري ، ط١، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- المنح الفكريَّة في شرح المقدمة الجزريَّة ، تأليف ملا علي القاري ، تحقيق : أسامة عطايا ، دار الغوثاني للدراسات القرآنيَّة ، دمشق – سورية ، ط ٢، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
- الموضح في التَّجويد ، تأليف عبد الوهاب بن محمد القرطبي المتوفى ٤٦١هـ، تقديم وتحقيق : الدكتور غانم قدوري الحمد، دار عمار – الأردن ، ط١ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- مناهج البحث في اللُّغة ، الدكتور تمام حسّان ، دار الثَّقافة ، الدَّار البيضاء- المغرب ، ط٢ ، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- النَّحو الوافي ، تأليف : عباس حسن ، دار المعارف بمصر ، ط٣ ، (د.ت).
- النَّشر في القراءات العشر ، تأليف : الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدِّمشقي الشَّهير بابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ ، تصحيح ومراجعه : علي محمد الضَّباع ، دار الكتب العلميَّة – بيروت- لبنان ، (د.ط) ،(د.ت).
- النِّكت الحسان في شرح غاية الإحسان للشيخ الكبير أبي حيان النَّحوي الأندلسي الغرناطي المتوفي سنة ٧٤٥هـ ، تحقيق ودراسة : الدكتور عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرِّسالة – بيروت ، ط ١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

- نهاية القول في علم تجويد القرآن المجيد ، تأليف العلامة الشَّيخ محمد مكـي نصـر الجريسـي ، مكتبـة الآداب (القـاهرة)، ط٤ ، ١٣٣٢هـ-٢٠١١م.

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تأليف : الإمام جلال الدِّين عبد الرَّحمن بن أبي بكر السَّيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ ، تحقيق : أحمد شمس الدِّين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلميِّة – بيروت- لبنان ، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

الرَّسائل والأطاريح :

- أثر التَّفكير الصَّوتي في دراسة العربيَّة (أطروحة) مشتاق عباس معن ، كلية اللُّغات والتَّرجمة – جامعة صنعاء ، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.

- أثر الحركات في اللُّغة العربيَّة دراسة في الصَّوت والبنيَّة (أطروحة) علي عبد الله القرني ، كلية اللُّغة العربيَّة – جامعة أم القرى ،١٤٣٥هـ–٢٠٠٤م.

- إشكاليَّة ترجمة المصطلح اللِّساني الغربي الحديث (نظريَّة اللِّسانيات الكبرى) ترجمة محمد الرَّاضي (رسالة) بومعزة حسيبة ،كلية الآداب واللُّغات –جامعة بجاية ، ٢٠١٥–٢٠١٦م .

- الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي (رسالة) حيدر غضبان محسن الجبوري ، كلية التَّربيَّة – جامعة بابل ، ١٤٢٤– ٢٠٠٣م.

- جهود المالقي الصَّوتيَّة في كتابه (الدرَّ النَّثير والعذب النَّمير في شرح كتاب التَّيسير للداني) ، (رسالة) خالد عزَّاك إسماعيل ، كلية التَّربيَّة – جامعة تكريت ، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.

- الدَّرس الصَّوتي عند تقي الدين النِّيلي (رسالة) جواد كاظم عبد محمود، كلية التَّربيَّة للعلوم الإنسانيَّة – جامعة كربلاء ، ١٤٣٤هـ–٢٠١٣م.

- المصطلح الصَّرفي عند عبد الكريم الفكون (ت١٠٧٣هـ) من خلال شرحه لأرجوزة المكودي في التَّصريف (رسالة) فاطمة جريو ، كلية

الآداب واللُّغـات – جامعــة حسـيبة بــن بــوعلي – الشَّــلف ، ٢٠٠٨-٢٠٠٩م.

- منهج الدَّرس الصَّوتي عند العرب (أطروحة) ، علي خليف حسين ، كلية الآدب – جامعة بغداد ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

البحوث المنشورة :

- مصطلحات العلوم في اللُّغة العربيَّة ودور المجتمع فيها ، الأستاذ عبد الفتـاح الصَّـعيدي ، مجلـة مجمـع اللُّغـة العربيَّـة بالقـاهرة ، ١٣/٢٠٩ ، ١٩٦١م.

الذاتيات التطبيقية في التصميم الكرافيكي

الأستاذ المساعد الدكتور معتز عناد غزوان
كلية الفنون الجميلة / جامعة بغداد

الملخص :

للذات دورها الخاص في امتلاك الادوات والمحركات لبناء الفكرة الجديدة في الفن عموما والتصميم الكرافيكي بشكل خاص ، وتكون الذات حاضرة في اداء وعمل المصمم المعاصر اليوم ولاسيما من خلال الأسلوب النابع من التجربة بيد انها بجميعها قد تخضع الى منطق التجريب ومحاولة النزول الى الساحة الخطابية الموجه من اجل التأثير في المتلقي.

المبحث الاول

(الإطار المنهجي)

١ -مشكلة البحث والحاجة إليه :

للذات دورها الخاص في امتلاك الادوات والمحركات لبناء الفكرة الجديدة في الفن عموما والتصميم الكرافيكي بشكل خاص ، وتكون الذات حاضرة في اداء وعمل المصمم المعاصر اليوم ولاسيما من خلال الأسلوب النابع من التجربة بيد انها بجميعها قد تخضع الى منطق التجريب ومحاولة النزول الى الساحة الخطابية الموجه من اجل التأثير في المتلقي . ويمكن ان نحدد مشكلة بحثنا بطرح التساؤل الآتي :

ما الدور الذي تؤديه الذات بوصفها تطبيقا فعليا في الخطاب الكرافيكي المعاصر من خلال التجريب والتطبيق ؟

٢ -أهمية البحث :

تتجلّى أهمية البحث في دراسة الانعكاسات الفكرية والأسلوبية لذات المصمم الكرافيكي في التعبير من خلال التطبيق القائم على التجربة والتجريب وإيجاد أساليب تعتمد على الذات وتعبيرها المباشر وغير المباشر تطبيقيا في الخطاب الكرافيكي المعاصر.

٣ -هدف البحث :

الكشف عن الانعكاسات التطبيقية لتفاعل الذات والذاتيات مع الموضوع من خلال ابتكار الأساليب الجديدة في الخطاب الكرافيكي المعاصر.

٤ -تحديد المصطلحات :

تم تحديد المصطلحات والتعريف بها وعلى النحو الآتي :

-الذات (Self):

أولا : لغةً : هو الفاعل مقابل المقابل او الموضوع ، للذات (الفاعل) معنى نحوي : الدال على فاعل الفعل في الجملة او العبارة ، الذي تسند المحمولات اليه. كانت الذات تعبر في الفلسفة القديمة عن توازن الفاعل/ المفعول (الحامل/ المحمول)[١]. والذات في اللغة هي صفة اصطلاحية

---

[١] خليل ، خليل احمد ، معجم المصطلحات الفلسفية ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ص٧٩.

حديثة تطلق في الفكر الادبي على الاحكام التي لا ترتكز الى الواقع الموضوعي ، وإنما الى تصورات تاملية خاصة[٢].

ثانيا: اصطلاحيا: يعد **(ايمانويل كانت) (Immanuel Kant)** (ت١٨٠٤م) ، (الذات بأنها فاعل معرفي ، لها مقامها المتعالي في فعل المعرفة. والذات مصطلح نفسي– اجتماعي ، استعمله **(جورج هربرت ميد) (George Herbert Mead)** (ت١٩٣١م) بمعنى جديد ، هي جملة من العلاقات التي يقيمها الفرد مع كل المسارات الاجتماعية ، ومع الافراد المندمجين في سياقها ، وهذه الذات نتاج الادوار الاجتماعية التي يؤديها الفرد في محيطه[٣]. والذات هي حقيقة الموجود ومقوماته وتقابل العرض ، وعند الكلام عن (الله) عز وجل يقال الذات الإلهية ، وما ينتسب الى الذات مما يتصل بها او يخضع لها ، فيقال تفكير ذاتي وإدراك ذاتي ويقابل الموضوعي[٤]. كما ان الذات تعد الشخصية ، اي انها الشخصية المطلقة بمعنى انها مجهولة لكل ما هو متاح في الرؤية والتفكير[٥]. وتظهر الذات في حالتين اساسيتين في موقفها من الآخر ، وهي تارةً الضمير (الانا) الفاعل ، المطالب والسائل والباحث والشاك والمتكلم والآمر ، وتارةً اخرى

---

[٢] عاصي ، ميشال ، واميل بديع يعقوب ، المعجم المفصل في اللغة والادب ، م١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ،١٩٨٧م ، ص٦٤٤.

[٣] خليل ، خليل احمد ، معجم المصطلحات الفلسفية ، المصدر السابق ، ص٧٩.

[٤] المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص٨٧.

[٥] ديبون ، باسكال ، معجم ميرلوبونتي ، تر: شادي رباح نصر ، النايا للدراسات والنشر ، دمشق ، ٢٠١٤م ، ص٢٨٠.

مقابل ذلك في موقع المفعول به وهي في هذا الدور ، المتلقي ، وهو الضمير (الانا) او (الأنـي) المصغي والخاضع والمتوسل والمتفهم[٦]. وترتبط الذات بالذاتي وهو ما يخص الشيء لذاته بصرف النظر عن علاقته بغيره ، تقول : القيم الذاتية وهي التي ترجع الى باطن الشيء ، اي الى طبيعته الخاصة ، لا الى الاعتبارات الخارجية الطارئة عليه[٧]. والذاتية هي الخطوط النفسية غير المكررة والمبتكرة التي يلبسها الفنان شخصياته وأبطاله[٨] ، ويرتبط الذاتي بالموضوعي ، نظرا لارتباط الذات بالموضوع ، اذ ان نشاط الذات مشروط بالعالم الموضوعي ، اي بالقانونيات التي ادركها الانسان وتشكل عملية المعرفة جانبا ضروريا من التفاعل بين الذات والموضوع ، فليس بوسع الانسان ان يغير الموضوع اذا لم تكن لديه معرفة عنه[٩]. اذ ان النظريات الذاتية تتعامل مع الحياة الداخلية او الذاتية للفرد ، وتكون عادة من النمط الاستبطاني[١٠] ، وقد وصف العديد من الباحثين مصطلح الذات بانه

---

[٦] الجادرجي ، رفعت ، في سببية وجدلية العمارة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٦م ، ص٩٨.

[٧] صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي ، ج١ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص٥٨٤.

[٨] عيد ، كمال ، فلسفة الادب والفن ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، ١٩٧٨م ، ص١٤٥.

[٩] المعجم الفلسفي المختصر ، تر: توفيق سلوم ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٦م ، ص٢٣٠.

[١٠] صالح ، قاسم حسين ، الانسان من هو ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٤م ، ص١٦.

مصطلح تعميمي يستخدم على نطاق واسع للاشارة الى ما يصطلح عليه عادة بالفرد او النفس[11]. وفي الفن تتجلى الذات في نضج الاعمال الفنية ، وتتضح معالمها من خلال الاثار الابداعية ولا يتأتى هذا الا للذين اوتوا قدرةً على سبر الاغوار وكشف الكنوز[12].

ثالثا: اجرائيا: يمكننا تعريف الذات بانها الفعل الاستجابي للمصمم الكرافيكي اتجاه الحالة التي تثيره وتدعوه الى ابتكار خطاب كرافيكي جديد على وفق اسلوب يرتبط بالذات ويكون بوصفه رد فعل ذاتي تعبيري عن تلك الحالة التي يتقمصها المصمم ومن ثم ينتج خطاب كرافيكيا جديدا معبرا عن شخصيته الذاتية ، اما الذاتيات التطبيقية فهي تمثيل ذات المصمم الكرافيكي في التطبيق على ارض الواقع عن طريق ابتكار اسلوب جديد للخطاب الكرافيكي المعاصر نابع من التجربة والتجريب.

المبحث الثاني:

الذات والتجربة:

لاشك ان الذات المبدعة في شتى المعارف هي ذات منتجة ، تسعى نحو ايجاد طفرة او ما يمكن ان نعدها السعي نحو الجديد بأسلوب ذاتي وهي من اهم التحديات التي تواجهها الذات ولاسيما ذات المتجدد او الذات المتجهة نحو الخروج من التقاليد الصارمة والقوانين النمطية التي

---

[11] فليح ، نصير ، سلافوي جيجك ، دار عدنان للنشر ، بغداد ، ٢٠١٩م ، ص٤١.

[12] التونجي ، محمد ، المعجم المفصل في الادب ، ج٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ص٤٥٩.

تجعل من الذات ذائبة وغير حاضرة في العمل الفني الابداعي بشكل عام. فلابد من الايمان بان دلالات الفن هي اعلى واشملً بكثير من الفلسفة والاقتصاد ، لان مقدار تأثيرها في الروح والذات الانسانية عالية جدا وبشكل مباشر ، ولاسيما ان هذه الرؤية ترتبط بالانتماء المجتمعي ، كالعقائد الدينية ، وحيوية هذا الفن بشكل عام بوصفه جزء مهم من التاريخ ، اذ يرتبط الفن ارتباطا وثيقا مع بعض الرموز الدينية ، وتدريجيا كما نجد بدأ الفن يتخلى عن تلك الرموز ، خلال القرن او القرنين الماضيين ، اذ ابتعد الفن كثيرا عن هذه الرموز ولاسيما الدينية ، وانه قد خرج من هذه السيطرة بشكل فوري عندما بدأت الاتصالات تتوسع وتتطور ولاسيما بتطور الطباعة والنشر(١٣) ، التي اسهمت في نضوج العملية التجريبية في الفن بشكل عام والتصميم بشكل خاص عن طريق التفاعل مع المحيط والبيئة من جهة والذات من جهة اخرى .

لقد اكدت العديد من الطروحات على اهمية الخروج عن النمط او القالب وهذا ما يستدعي الفنان ان يكون قادرا على تحفيز ذاته نحو طريقة او اسلوب جديد يستطيع ان يجعل منه قيمة تعبيرية تخاطب المتلقي وتؤثر فيه. وقد اكد **(جان بول سارتر) (Jean Paul Sartre)** (ت١٩٨٠م) ، في حديثه عن الوجود في الذات ، بأنه من متميز ولا يكون سكونيا ابدا ، بل هو دائما في عملية تكشف او تجلي الاشياء الجديدة عن ذاتها وعالمها من

---

(13) Herbert Read, The meaning of Art, Penguin Books , The Chaucer Press, London, the nine Edition, 1966, p.196.

خلال اتخاذ القرارات كوسيلة لخلق المعنى[١٤]. فالوجود في الذات كما عبر عنه (سارتر) ، هو اساس الشعور بالمحيط للفنان بشكل عام والمصمم الكرافيكي بشكل خاص بوصفه الاكثر تماسا مع الظواهر التي تحيط بذاته من جهة وبالمجتمع ككل من جهة أخرى ، وهذا ما يشعره بان له قيمة وانه عضو مهم في المجتمع ، ولديه القدرة على الانتاج والتقدم والإنجاز وان حياته لها معنى[١٥] ، بل هي الوجود الحقيقي لشخصية المبدع وذاته الابداعية.

فالشخصية الابداعية هي شخصية تمتلك ذاتا ابداعية باحثة عن الجديد والولوج نحو ارتقاء اساليب ذات منحىً يتقدم نحو الأعلى ، حيث يكون العنصر المركزي هو افضاء الشخصية بعالمها الداخلي[١٦] ، وهي قمة الوجود ، فالذات نابعة من ارهاصات الفنان والمصمم والمبدع في شتى نواحي المعارف الأخرى بيد ان ذات المصمم لا تأتي من مجرد احساس انما هي احساس وصراع وحتى تصل الى تفسير الأحلام ، فهو متقمص للحالة ودائم التفكير من اجل الوصول الى حل ووظيفي وتعبيري وجمالي بأسلوب جديد وهي لا تأتي إلا من خلال التجريب والتجربة. اذ يمكن للتقمص ان يعد كصمام امان والذي عن طريقه يتم تصريف بعض الكبت ، المتولد والمشاعر

---

[١٤] صالح ، قاسم حسين ، الانسان من هو؟ ، ص١٤١.

[١٥] الفقي ، ابراهيم ، قوة الفكر ، دار الراية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٩م ، ص٦٠.

[١٦] فتحي ، ابراهيم ، معجم المصطلحات الادبية ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، صفاقص ، ١٩٨٦م ، ص١٦٥.

المحبوسة ، والخطاب الكرافيكي الممثل بالذات هو الذي يفتح ابواب العواطف والاحاسيس[١٧] ، يذكر **(برتراند راسل) (Bertrand Russell)** (ت١٩٧٠م) ، ان افكارنا ومشاعرنا المحددة ذات يقين اولي ، وينطبق الشيء نفسه على الاحلام والهلوسات والانطباعات العادية: حين نحلم ، فان لدينا قطعا الشعور الذي نعتقد انه لدينا ، الا انه ولأسباب مختلفة لا تقابل هذه المشاعر بأجسام فيزيائية ، لذلك فان يقيننا بالمعرفة المتعلقة بتجاربنا الخاصة ليست محدودة بطريقة تسمح بحصول الحالات الاستثنائية[١٨] ، لقد وضع (راسل) للاحلام اهمية كبيرة في تنامي الاحساس الذاتي للمصمم للمبدع ولاسيما المصمم الكرافيكي ، الذي تسهم الاحلام احيانا في بناء افكاره واتساع درجة الاحساس بقيمة المفردات التي يبحث ويحاول العثور عليها كحل للحالة الضاغطة عليه ، وهذا ما اكد عليه (ادموند هوسرل) في ان الاحساس هو ما نعده الوعي الاصلي بالزمن ، الذي ينتج عن كل وحدة باطنية داخل الذات ، أي اللون ، والصوت ، واللذة وغيرها[١٩] ، هنا تكمن العلاقة بين الحلم وذات المصمم بحسب رؤى **(ادموند هوسرل) (Edmund Husserl)** (ت١٩٣٨م) و(رسل) التي قد تختلف في وجهات النظر ما بين الاثنين ، فالاول استبعد وجود الاجسام الفيزيائية والثاني قد اكد

---

[١٧] الانصاري ، حسين ، اشكاليات التلقي في الخطاب المسرحي ، النوارس للنشر ، الاسكندرية ، ٢٠١٧م ، ص١٣٤.

[١٨] رسل ، برتراند ، مشكلات فلسفية ، تر:آراك الشوشان ، عالم الادب للنشر ، بيروت ، ٢٠١٦م ، ص٢٥.

[١٩] هوسرل ، ادموند ، دروس في فينومينولوجيا الوعي الباطني بالزمن ، تر:لطفي خير الله ، منشورات الجمل ، المانيا ، ٢٠٠٩م ، ١٣٣.

على وجودها من خلال ادراك اللون والصوت وغيرها من العناصر الفيزيائية التي تشعر بها الذات القلقة(•) ولاسيما ذات المصمم التي تبحث عن حل مشكلة وحالة ونقلها من عالم الافتراض والحلم نحو الواقع. وقد اشار العديد من المنظرين الى ان الحلم هو حيز تجريبي مهم في ذات ومخيلة المصمم ، بل هو الحل لمعظم المشكلات التي تؤثر فيه على الرغم من تقمص المصمم للحالة ومن ثم نشأت حوارية الذات والحلم ، والأحلام هي لغة مؤلفة من الصور ، بطبيعتها تقاوم التفسير الواضح ، فهي تستخدم الرموز بدلا من المفهومات النظرية التجريدية ، وان كل شيء في الحلم يعني امرا معينا كما يراها (فيلليني) [٢٠] ، وقد وضعت عدة تصنيفات لها دورها في اختبار الذات وحوار المخيلة ، وهي كما يأتي:

- الوعي : واضح ام ضبابي ؟
- الانتباه : مركز ام مشتت ؟
- التفكير : حاد المهارات ام خامل ؟
- الادراك الحسي : مستمد من الخارج ام هلاوسي ؟
- الادراك المعرفي : منطقي ام غير منطقي ؟
- المشاعر : مستقرة ام غير مستقرة؟ ام خارج السيطرة ؟

(•) الذات القلقة هي ذات ناتجة من الاستجابات المحيطة بالمصمم الكرافيكي من خلال التفاعل والادراك.

[٢٠] يوسف ، عقيل مهدي ، الفكرة الجمالية في الفن ، دار آراس ، اربيل ، ٢٠١١م ، ص١٤٢.

-الذاكرة : جيدة ، قوية ام ضعيفة ، رديئة ؟

-التجريد : واقعي ام رمزي[٢١] ؟

ويعتقد الباحث في امكانية اضافة معيار آخر لتلك التساؤلات وهي (التطبيق وواقع الحال) والتي تاتي ضمن اطار التجريب والتجربة ايضا ، هل استطاع المصمم ان يعالج المشكلة في الحلم من خلال حوار الذات ومتطلبات ايجاد الحلول للحالة التي يفكر بها؟ ، ولعلها من اهم الامور التي يحاول المصمم ان يصل بها الى نتيجة تتوائم مع الناحية الوظيفية والنفعية ، ولاشك بان النظرية السيكولوجية التي تدخل ضمن متطلبات التعبير والاشهار والاتصال عند المصمم الكرافيكي تركز على الذات المستهلكة التي يعدها المصمم الكرافيكي النجاح الحقيقي للخطاب الذي استطاع ان يعبر عنه وبالتالي التأثير في المتلقي الذي يعد في الخطاب الاشهاري (الاعلان) مستهلكا ، وهنا يجد المصمم نفسه معنيا بالجانب المرتبط باللاوعي كالرغبات الخفية الغريزية ، وكذا المشاعر والعواطف الخاصة ضمن محاولة فنية وجمالية تربط المنتج بهذه الجوانب ، ويرى البعض ان مصمم الاعلان يحتال احيانا من اجل اغراء المتلقيين المستهلكين ، وممارسة التأثير النفسي والوجداني عليهم[٢٢] ، وقد انتقد **(سارتر)** مؤشرات النظرية السيكولوجية وأكد على المسائل الفلسفية ، وانتقد ايضا طروحات **(فرويد)** الذي يرى ان الانسان

---

[٢١] شعبان ، ياسر ، الاحلام اسرار النوم والأحلام ، كنوز للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٤م ، ص١٧.

[٢٢] بنكراد ، سعيد وآخرون ، استراتيجيات التواصل الاشهاري ، دار الحوار ، اللاذقية ، ٢٠١٠م ، ص٥٥.

شــيء خاضــع لمعالجــة الطبيــب النفســي ، وان الانســان محكــوم بــالقوى اللاشعورية ، بعكس وجهة نظر **(سارتر)** في ان للإنسان نظرة مخالفة اذ يرى ان سـلوك الانسـان (المصـمم الكرافيكـي انموذجـا) محكـوم ومقـرر بالأهـداف الذاتية التي تحدد مشروعه الاساس او هدفه في الحياة[٢٣]. فالذات وتعبيرها هـي التأويـل والإحسـاس والتمثيـل ومـن ثـم ايجـاد اسـلوب متميـز مـن خـلال التجريب الذي يتأتى من تحويل بناء الفكرة افتراضيا في الذات نحو الواقع ، فالــذات تقــف علــى الواقــع وتتقبــل الرغبــات والمطالــب وتوحــد الصــورة الذهنيـة[٢٤] ، التـي تكـون محصـلتها التطبيـق مـن خـلال التجريـب والتجربـة ولاسيما في التصميم الكرافيكي.

اذ ترتبط الذات بالتجريب ولاسيما في عمل المصمم الكرافيكي من حيث ولوجه في استخدام الافكار الجديدة والخامات المختلفة والتقنيات الرقمية التـي تتنـوع مـن حيـث الاداء والإنتـاج والتـأثير فـي المتلقـي كفرد والمجتمـع كمجموعة متلقين ، وان لكل تجربة خبرة هذه الخبرة تتراكم من خلال المران والاستمرارية فـي العمـل فضـلا عـن القـدرة الذاتيـة الخلاقـة الكامنـة فـي ذات المصـمم ،التـي هـي ذات موجهـة للغيـر مـن اجـل الاحسـاس بقيمـة التجربـة المضمنة داخل الخطاب الكرافيكي ، ومن ثم فهم مكونات الخطاب وإدراكها والإحساس بها ، وتجدر الاشارة هنا الى ان التأويل في عملية الفهم ، لا يقوم على تحويل الذات الخلاقة الى الغير أي المتلقي ، ولا على مشاركة مباشرة

---

[٢٣] صالح ، قاسم حسين صالح ، الانسان من هو؟ ، ص١٤٦.

[٢٤] وهبة ، مراد ، المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، ٢٠١٧م ، ص٣٢١.

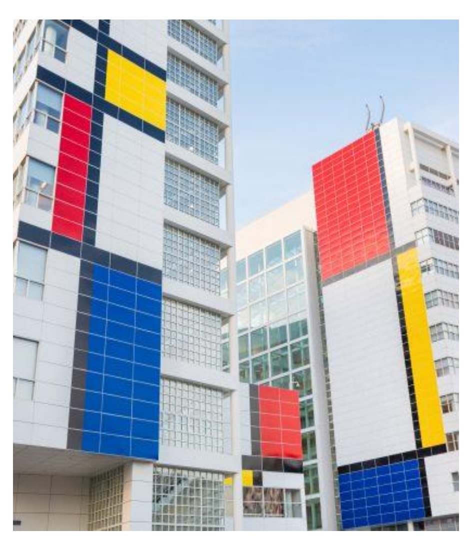
من الواحد الى الاخر[٢٥] ، انما يجدر ان يفهم الخطاب بحسب فهم ذات المصمم ، وهي من الامور التي قد يصعب فهمها احيانا من قبل المتلقي ولاسيما ان كانت التجربة جديدة بل في اطار المغامرة. ان ارتباط الذات بالتجربة في عمل المصمم الكرافيكي هي علاقة اساسية بل ومهمة تقود به الى ايجاد اساليب عرض جديدة للفكرة منها ما يصل الى المغامرة ومنها ما يصيبه الفشل ويغدو نمطا سائدا غير متمتع بالسمات الجديدة . فالتجريب يرتبط مع تفاعل المصمم مع الفكرة الجديدة والتقنيات المعاصرة التي تتوائم معا في ذاته الخلاقة من اجل بناء خطاب مؤثر ، والتجريب هنا يكون اما تقنيا من خلال استخدام وسائل جديدة من الرقمنة وبرامجها المتطورة المتسارعة في تطورها ، والتجريب الاسلوبي الذي يعطي للذات خصوصيتها وهويتها ليتحول الخطاب الى خطاب ذاتي مرتبط بشخصية صاحبه ومعبرا عنه تعبيرا صادقا صريحا. لذلك نستطيع الحكم على تجربة الفنان الهولندي **(بيت موندريان)** **(Piet Mondriaan)** (ت١٩٤٤م) بأنها كانت من اقرب التجارب الذاتية الى فن التصميم بشكل عام ، والتصميم الكرافيكي بشكل خاص ولاسيما التصميم الصحفي ، اذ كانت لمربعاته وخطوطه وألوانه التي تحولت الى اسلوب خاص وإبداعي اسهم في تحولات مظهرية وجوهرية في الخطاب المجتمعي من خلال وضع اسلوبه حيز التنفيذ في التصميم المعاصر (الكرافيكي ، الصناعي ، والمعماري). الاشكال (١) ، (٢) ، (٣) ، (٤).

---

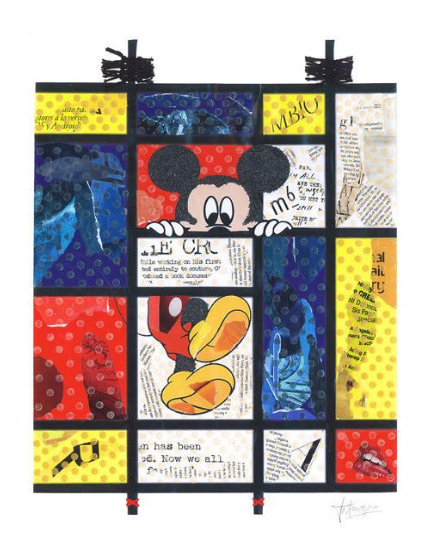
[٢٥] فضل ، صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٦م ، ص٦٣.



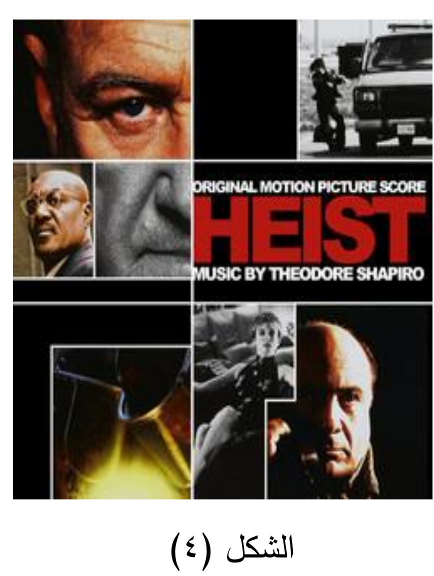
الشكل (١)



الشكل (٢)



الشكل (٣)



الشكل (٤)

في ضوء ما تقدم فان التجريب هو سبيل البحث عن شكل ومعنى جديدين يكونان اكثر قربا الى التجديد والبحث عن اساليب تزيح ما هو تاريخي لصالح فعل التجريب على صعيد المحتوى الفني[٢٦] ، فالذات تكون موجودة في أنا المصمم والتي تنعكس في نتاجه الفني ولاسيما في اسلوب الخطاب الكرافيكي ، ليكون التجريب حاضرا من خلال فعله تقنيا وتشكيليا وجماليا ، فالتجريب نابع من التجربة المغامرة احيانا والتي تتطلب جهدا يفوق النمطية في التعامل مع الموضوع والتقنية التي تسهم في انتاج الخطاب الكرافيكي الجديد ، الذي يشكل اسلوب انتاج ذو مستوى مؤثر في الثقافة وهو ذات حاضرة بل ومؤثرة في المتلقي والمجتمع ، وقد تشكل الذات والموضوع نوعا من التعالق الظاهر في الخطاب الكرافيكي الجديد الخارج من رحم التجربة والتجريب واختبار تلك التجربة في الواقع ومن ثم التداول والانتشار ، ولابد من التأكيد على ان الفعل التقني له الدور الكبير في بناء الفكرة الجديدة وتداولها ، وفي ضوء ما تقدم فان مراحل التطبيق تكون على وفق شرطين:

١- ذاتية (الحال الداخلي للإنسان والخارج والداخل على الانسان).

٢- تقنية تدخل من بدء التكوين لفكرة الخطاب حتى النتاج النهائي ، فالتقنية في التصميم ليست اكتشافا انما جهد وحوار الاحتمالات الانجازية[٢٧].

---

[٢٦] محمد ، بلاسم ، عزلة الفن في الثقافة العراقية ، جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين ، بغداد ، ٢٠١٧م ، ص١٤٢.

[٢٧] عمر ، هدى محمود ، التصميم الصناعي فن وعلم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، عمان ، ٢٠٠٤م ، ص٧٠.

ان ارتباط الذات بالتجربة في الفن عموما ، ولاسيما الخطاب الكرافيكي هو بمثابة الوعي الكامل بالفكرة ومنطلقاتها من خلال ايجاد اسلوب ذاتي جديد ، وهذا الوعي الذاتي هو الذي يميز فنانا من آخر ، بل هو الذي يحدد هذه التجربة عن تلك في سلسلة نتاجات الفنان نفسه[٢٨]. وهذا ما يؤكده (**جورج هربرت ميد**) في ان الذات هي صورة الفنان نفسه اما صورة الاخرين فهي موضوعات اساسية للتفاعل[٢٩] ، فالتفاعل لا يأتي إلا من خلال تأثير ذاتي جديد يتجلى في خلق اسلوب يتمتع بالتأثير في المتلقي ومحاكاته عن طريق التجريب والتجربة الناجحة ، وهذا ما أكده (**ميشال فوكو**) (**Michel Foucault**) (**ت١٩٨٤م**) ، في ان الذات هي متحولة وأنها تشكيل خطابي متحول ، او هويات متعددة ومتشظية[٣٠].

المبحث الثالث: الذات والتطبيق:

لاشك ان الفكرة النابعة من الذات الخلاقة هي فكرة قابلة للتطبيق في واقع الحال ، وتكون فكرة مؤثرة تعد وجود اسلوب جديد يحاكي الواقع بمنطلقات خارجة عن النمطية والاستهلاك البصري الذي قد ادى بالمتلقي او

---

[٢٨] يوسف ، عقيل مهدي ، السؤال الجمالي ، جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين ، بغداد ، ٢٠٠٧م ، ص٩٨.

[٢٩] الصحن ، صالح ، الشخصية النموذجية في الدراما التلفزيونية ، دار عدنان للنشر ، بغداد ، ٢٠١٤م ، ص٣٥.

[٣٠] باركر ، كريس ، معجم الدراسات الثقافية ، تر : جمال بلقاسم ، رؤية للنشر ، القاهرة ، ٢٠١٨م ، ص٢٠٢.

المجتمع الى عدم القبول والرضا بل الرفض لما يمنحه الخطاب الكرافيكي من وأفكار وقيم جمالية وتعبيرية ووظيفية. فالذات في هذا الميدان ترتبط بالخبرة التي تصل الى ما يمكن الاصطلاح عليها بالخبرة الذاتية الناتجة عن الانفعال[٣١] والاندماج بالموضوع او المضمون او الحالة ، اذ يسلك الانفعال طريقا الى التأكيد على دور الخبرة الذاتية في ايجاد خطاب كرافيكي يتسم بالجدة والحداثة . فالنزعة الموضوعية الموجودة دائما في مقابل الذاتية وهي فكرة[٣٢] ، اما تقدير الذات فيتعلق بالجانب الوجداني اذ يتضمن الاحساس بالرضا عن الذات او عدمه[٣٣].

فالمصمم هو المسؤول عن بناء خطابه الجديد من خلال التعالق ما بين التعبير والتجربة والتطبيق عن طريق ايجاد ملامح تعبيرية وذاتية نحو اسلوب جديد ، فالتعبير الذاتي هو جوهر العملية الابداعية التي يقوم بها الفنان عموما في اعماله الفنية بعد تأثره بالمحيط وبخبراته الذاتية ، ومن ثم اعادة تنظيم هذا الكم الهائل من المعطيات على وفق معادلات جديدة ذات نزعة ذاتية محض تخرج في جوهر الفنان الى الظاهر المحسوس[٣٤] ، وان

---

[٣١] مصطفى ، عادل ، دلالة الشكل ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٤م ، ص١٢.

[٣٢] عبد الحميد ، شاكر ، الفنون البصرية وعبقرية الادراك ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٨م ، ص٣٩٧.

[٣٣] محادين ، عثمان ، تقدير الذات ، دار كنوز المعرفة ، عمان ، ٢٠١٦م ، ص٣٤.

[٣٤] عبد الله ، اياد حسين ، فن التصميم ، ج١ ، دائرة الثقافة والاعلام ، الشارقة ، ٢٠٠٨م ، ص٦٢.

الظاهر المحسوس هو واقع حال يداهم ذات المصمم المبدع . فالتطبيق لا ينفصل عن التجربة وصناعة الاسلوب ، اذ تبقى التجربة الاساس الذي يولد من رحمها التطبيق وباسلوب خاص. فالمصمم لا يتعامل مع المادة على وفق خصائصها وملاءمتها لانجاز عمله الفني ، وانما على اساس الوعي الكامل بالبيئة المحيطة ومدى ملاءمتها لتلك البيئة اي مقاومة هذه المادة وديمومتها بعد انجاز التصميم امر مهم لكي يؤدي نتاج المصمم دوره الوظيفي او النفعي او الادائي(٣٥). في ضوء ما تقدم فقد ارتبطت التجربة بالتطبيق الذي قد يظهر لنا على اساس أسلوب ، فالاسلوب هو مصطلح ذو خصوصية يشير الى وجود عمل فني خاص وذو ملامح شخصية يعبر عنها مبتكر هذا الاسلوب ولاسيما الذي يتطورعبر التاريخ ، كأن نقول اسلوب **(روبنز)** (٣٦) او اسلوب **(جواد سليم)**. وتجدر الاشارة الى ان المصممون اليوم يستعملون ميزة وخصائص **(الآرت نوفو)** **(Art Nouveau)** التي ظهرت في اوروبا منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وهم مستمتعين بمميزات أسلوب الحركة الاساسية في بساطة خطوطها الانسيابية كقولبة نحتية للشكل وبناء هذا الشكل باحساس فطري يناسب وظيفته(٣٧). بيد ان هناك سؤال قد يطرحه المصمم او قد يطرحه المتلقي ، هل للتصميم

---

(٣٥) المصدر نفسه ، ص٩٤.

(36) Michael Clarke, Oxford Concise Dictionary of Art Terms, Oxford University Press, 2001, p.234, & H.W.Janson. A History of Art, Thames & Hudson, London, 1968, p.539.

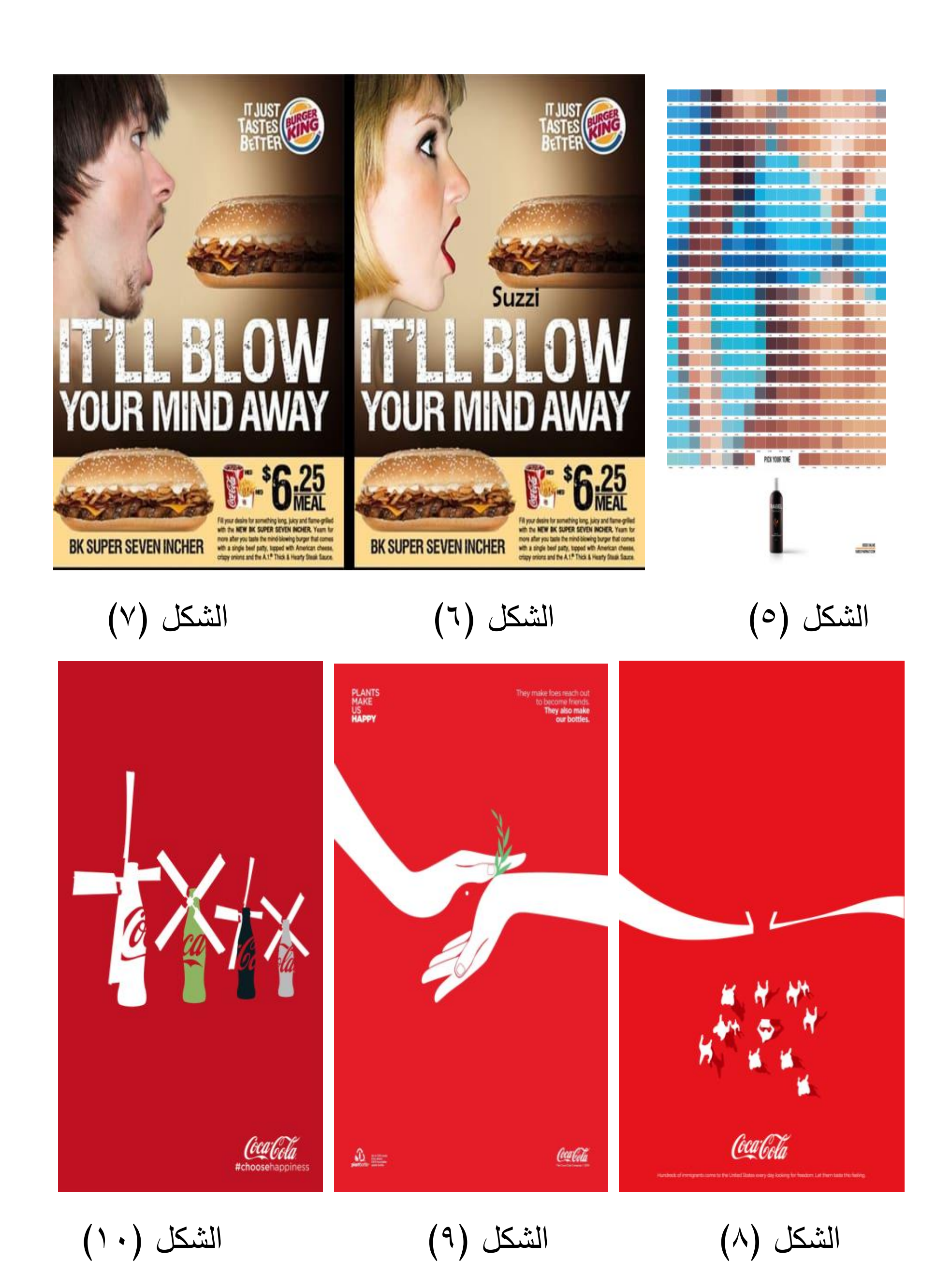
(37) Mario Amaya, Art Nouveau, Studio Vista Limited, London, second edition, 1968, p.23.

الكرافيكي أسلوب من الناحية التطبيقية؟ ، وما هو الاسلوب اذن؟ ، للاجابة على السؤال الاول لابد من الاجابة عن السؤال الثاني ، فالاسلوب هو التعبير الصادق لشخصية صاحبة اي المصمم الذي يختط له طريقا ، اتجاها ، نمطا ، وهذا النمط او الاسلوب قد يكون من الناحية التطبيقية متباينا في قدرته الاتصالية والتأثيرية في المتلقي كمستجيب للفكر في الخطاب الكرافيكي (الملصق تحديدا) ، او المستجيب لاغراض الترويج والتسويق والتداول ، كمستهلك في الخطاب الكرافيكي[•] (الاعلان تحديدا) ، فالخطاب الاخير لا يحتمل التأويل ، على العكس من الخطاب الكرافيكي الاول (الملصق) فقد يحتمل التأويل, وان التأويل هو تحقيق واقع الرؤيا في الواقع الخارجي ، اي واقع الحلم كجانب افتراضي في ذهنية المصمم وهو في دائرة التفكير والبحث ، وان تأويل الحلم بحسب بعض المدارس الغربية هو بمواجهة الواقع في حال اليقظة ، فهو يكشف الوعي واللاوعي[٣٨] ، والتأويل حاضر في الخطاب الكرافيكي الموجه نحو فكر معين (الملصق) ، فهناك من يقول ان الخطاب الكرافيكي الاشهاري لا يمتلك فيه المصمم اسلوبا ذو ملامح ذاتية خاصة به ، لان الاعلان قد لا يخضع الى ذاتيته المطلقة بل هناك نوع من المشاركة ما بين ذاتية المصمم وإرادة المعلن او صاحب

[•] الخطاب الكرافيكي هو التصميم المطبوع الموجه للمتلقي يحمل هدفا موجها ومؤثرا في المتلقي كفرد او مجموعة المتلقين كمجتمع ويكون الخطاب الكرافيكي على هيئة ملصق او اعلان ، ويكون مطبوعا او منشورا الكترونيا.

[٣٨] الحسني ، محمد علي حسين ، ابستمولوجيا التأويل ، دار الرافدين ، بيروت ، ٢٠١٦م ، ص١٣٦.

المؤسسة الانتاجية او التجارية ، فضلا عن متطلبات السوق والتداول ، من هنا يكون الاسلوب محكوما بتلك المحددات ، بيد ان المصمم يستطيع ان يضيف نوعا من المشتركات البصرية والخواص الذاتية كأسلوب في التطبيق او ملامح ذاتية متميزة و واضحة. الاشكال (٥) ، (٦) ، (٧) ، (٨) ، (٩) ، (١٠).



الشكل (٧) الشكل (٦) الشكل (٥)

الشكل (١٠) الشكل (٩) الشكل (٨)

نستطيع من خلال تحليل النماذج اعلاه ان نجد اسلوبا بصريا واضحا ولاسيما في ابتكار الخطاب الكرافيكي الاشهاري الجديد ، ويمكن ان نميز ذاتية مصمم عن آخر ، من حيث التقنية والعناصر الشكلية ، والمفردات المتشابهة من حيث المضمون والهدف ، فلا وجود لشكل بدون مضمون ، لان الشكل يعطي تعبيرا شكليا للمحتوى او المضمون ، من هنا يكون للنقد حكما في عملية التأويل[٣٩] ، فضلا عن قوة الحوار والوجود الذي قد يفرضه اللون بوصفه اسلوبا في الخطاب الكرافيكي بل وهوية لذات المصمم المبدعة ، وكذا الامر في تصميم العلامة التجارية (**Tried Mark**) او الشعار (Logo) ، اذ نستطيع ان نحدد وجود أسلوب ذاتي في التطبيق والتنفيذ. الاشكال (١١) ، (١٢) ، (١٣).

---

[39] Eric Newton, The meaning of Beauty, Penguin Books, Cox & Wyman Ltd, London. Third Edition, 1967, p.192.



الشكل (١١) الشكل (١٢) الشكل (١٣)

فـي ضـوء النمـاذج اعـلاه نسـتطيع ان نحـدد ملامـح لأسـلوب ذاتـي تطبيقي في تكوين وبناء الخطاب الكرافيكي (الشعار) على سبيل المثال ، اذ شكلت عدة محددات او تراكيب تعبيرية بصرية كالمياه وأغصان الاشجار فضلا عن خصوصية البيئة من خلال الوان العلم العراقي لتؤكد قوة المكان وحضوره ، والأمر مختلف في طريقة او نظام الشعار في الشكل (١٣) من خلال اضافة بعض التراكيب البصرية التي شكلت نوعا من العلاقة ما بين الذاتية والهوية من خلال وجود (خارطة العراق) واللانية الفخارية التي تسمى بإناء الماء الفوار رمزا للخصب والنماء في العراق القديم ، مع استمرار تداول شكل النهرين العظيمين دجلة والفرات ، وهذا ما يمكن ان يكون ضمن التنظيم الذاتي في الخطاب الكرافيكي ، ويعني اكتفاء البنية بالعناصر الموجودة فعلا ، فهي مكتفية بذاتها ولا تحتاج الى اضافة عناصر خارجية لها لكي يتم تغيير مفهومها ، وتمتاز العلاقات بين هذه العناصر او التراكيب

البصرية بالوحدة الموضوعية ، التي تتحقق عندما يكون كل عنصر في الخطاب ضروريا[٤٠]. ان الاسلوب كنوع من التطبيق الذاتي الخاص للمصمم الكرافيكي وتجربته الجديدة هو محاكاة وحوار ما بين ذات المصمم والمتلقي من خلال وجود هذا الاسلوب الذي يعد صعبا احيانا ليس كما يتعامل به الفنان التشكيلي على سبيل المثال في تأثره بأسلوب فني معين وتقمصه لهذا الاسلوب كما في التكعيبية والتجريدية والسريالية وغيرها. اذ لم يعد الاسلوب مجرد تحديد الظواهر الاسلوبية وتعيينها ، وإنما انصب الاهتمام على دور المتلقي وما يمارسه الاسلوب عليه من سلطة وتأثير ، اذ لا يشكل الاسلوب حضوره الفاعل إلا من خلال المتلقي الذي اصبح ركنا فاعلا وأساسيا في اسلوبية المدارس الفنية وتأثرها بالمناهج النقدية الحديثة والمعاصرة ، بل وان هذه الاسلوبية ولاسيما اسلوبية التلقي اهميتها الكبيرة من حيث صلتها الوثيقة بعملية الاتصال والتأثير[٤١] ، ويبدو أن معظم المناقشات المتعلقة بالأسلوب تبدأ من النهاية ، كمحصلة للتجربة ، كالمعماري الذي عليه ان يتجاهل الشكل المحدد والمعروف ، وان يكون ملما في ايجاد اسلوب واضح في البناء المتكامل مع التصميم الداخلي ، و ينعكس بدوره على المنفعة ، والوظيفة وحتى في اختيار الكلمات والتعبير[٤٢] ، وهذا ما يعطي للخطاب

---

[٤٠] الإمام علاء الدين ، بنية الشكل الجمالي في التصميم الداخلي ، دار مجدلاوي ، عمان ، ٢٠١٥م ، ص٦٢.

[٤١] ربابعة ، موسى ، الاسلوبية الاتصال والتأثير ، مجلة علامات في النقد ، ج(٢٧) ، م(٧) ، النادي الادبي والثقافي ، جدة ، ١٩٩٨م ، ص٢٨.

[42] F. L. Lucas, Style, Pan books Ltd, London, Second Edition, 1964. P.37.

قيمة تداولية عالية من خلال الاسلوب الذاتي والتطبيقي عن طريق دراسة طبيعة علاقة العلامات بمستعمليها ومؤوليها[٤٣] ، ولاسيما المتلقي ومجموعة المتلقيين ، وهي اختبار حقيقي للتجربة الذاتية ، ويشير الناقد (ياسين النصير) في هذا الميدان الى ان هناك تجربتان ، الاولى خارجية ومادتها الأفكار ، والثانية داخلية ومادتها التنفيذ والتقنية[٤٤] ، فالفكرة في التصميم تخضع الى متغيرات تجريبية عديدة في اثناء التنفيذ ومنذ لحظة الشروع به ، ولهذا تبقى امكانية المصمم الابداعية تتوضح في مدى قدرته على السيطرة والمرونة بين الفكرة وتحولاتها من جهة ، وإعادة صياغة المادة وتحقيق الموضوع من جهة اخرى[٤٥]. وان التجريب يرتبط بالذات من خلال علاقة الذات مع الواقع ، ويرى (**ألان باديو**) (**Alain Badiou**) بان الذات ترتبط بالجوانب الادراكية مع العالم المحيط[٤٦]. في ضوء ما تقدم نستطيع ان نحدد عدة مفاهيم لها الدور الكبير في تقدير تأثير الذاتيات التطبيقية في اسلوب الخطاب الكرافيكي وكما يأتي:

١- **الهوية (Identity)**: اذ تمثل الهوية الدور الكبير في التأثير الواضح في ذات المصمم ومن ثم في خطابه الكرافيكي بوصفها عمق المكان والزمان في مرجعياته وسلوكه وحياته في بيئته الخاصة ومجتمعه الخاص ،

---

[٤٣] مطلوب ، احمد ، التداولية وبحوث أخرى المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ٢٠١٥م ، ص١٤.

[٤٤] المدينة والفن التشكيلي ، دار ميزوبوتانيا ، بغداد ، ٢٠١٣م ، ص١٢٤.

[٤٥] عبد الله ، اياد حسين ، فن التصميم ، ص١١٧.

[٤٦] فليح ، نصير ، ألان باديو ، دار عدنان للنشر ، بغداد ، ٢٠١٩م ، ص٢٦.

ولاسيما ان العالم اليوم يعيش ازمة الهوية بعد انتشار تيارات العولمة وتطور وسائل الاتصال ، وهذا ما يطلق عليه بأزمة الهوية **(Identity Crisis)** ، التي اتضح وجودها اليوم ضمن مكونات الخطاب الكرافيكي المعاصر ، التي تمثلها الهوية الذاتية او الشخصية التي ترتبط بما يصطلح عليه الذات بالذات **(Self– the Self)** [٤٧] ، وهي مجموعة من السمات او العقائد او الرغبات او المبادئ التي يرى الانسان انها تحدده من جهة اجتماعية ويكون الانسان فخورا بها او بالعكس ، لكنه لا يستطيع ان يتصرف بدونها ، او انه يشعر بالعجز امامها وعدم القدرة على تغييرها[٤٨]. فالهوية حاضرة في ذات المصمم بل وأنها تسيطر على تفكيره وأدائه وأسلوبه الفني وترتبط بالوجود والذات والتراث الثقافي مثلما ترتبط بالتعدد والاختلاف والتغيير الاجتماعي في صيغها المختلفة ومستوياتها المعرفية المتنوعة[٤٩].

٢- الاتصال (Connection): يعد الاتصال احد اهم الوسائل التي ينتشر فيها الخطاب الكرافيكي ويتداول بين المجتمع نفسه او ما بين المجتمعات المختلفة ، وكما هو معروف فان الخطاب الكرافيكي يسلك سلوك الرسالة ضمن المعادلة الاتصالية المعروفة ، والمرسل هو المصمم اما

---

[٤٧] الجوهري ، محمد ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٠م ، ص٥٢٨.

[٤٨] الشتوي ، ابراهيم محمد ، ابحاث في الهوية ، دار شرقيات ، القاهرة ، ٢٠١٠م ، ص٨.

[٤٩] الحيدري ، ابراهيم ، الشخصية العراقية البحث عن الهوية ، دار التنوير ، بيروت ، ٢٠١٣م ، ص٢٣٠.

المستقبل فهو المتلقي/ المتذوق/ المستهلك للخطاب الكرافيكي. فاذا كان الاتصال اراديا وواعيا فانه بذلك خاضع للتقويم من الناحية الجمالية والاخلاقية ، فالفعل التواصلي قد ينجح او قد يفشل ، وهذا ما يبرر الاحكام المعروفة من قبل (الاتصال الجيد) ، او المزيد من الاتصال ، والاتصال يبدأ من داخل ذات فرد وينتهي داخل ذات فرد آخر[٥٠] ، وان كل فرد يتكون من جسد وذات ، وان هذه الذات ولاسيما الذات الخلاقة عند المصمم ، هي من تستطيع صناعة الخطاب الجيد والجديد وبثه نحو المتلقي بنجاح ، وهذا ما يجعل من الخطاب هيئة متكاملة من الافكار والمكونات او العناصر البصرية المرتبطة عضويا داخله وهي الرسالة المؤثرة في المتلقي ، اذا كان الخطاب يسيرا في مكوناته ، بيد ان الخطاب كرسالة قد يشوبه التعقيد احيانا ، فهو يستدعي الفحص والتحليل كما يسميها **(امبرتو ايكو)** (**Umberto Eco**) (ت٢٠١٦م) ، بالعلاقة التبادلية ما بين القائمة والشكل ، فالقائمة هنا هي الفضاء داخل الخطاب البصري تجتمع فيه كافة المكونات والعناصر حتى المختلف منها ، إلا من الاشياء او العناصر التي تنتمي الى الموضوع او المضمون الذاتي مباشرةً ومن ثم تمنح الشكل كهيئة **(Form)** شاملة وحاوية لكافة العناصر[٥١]. في ضوء ما تقدم فان مضمون الرسالة الاتصالية وقدرتها على التأثير مشروط بتحقيق ما يأتي :

---

[٥٠] بنكراد ، سعيد ، الصورة الاشهارية آليات الاقناع والدلالة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٩م ، ص٢٨-٢٩.

[٥١] ايكو ، امبرتو ، لا نهائية القوائم من هوميروس حتى جويس ، تر: ناصر مصطفى ابو الهيجاء ، دار كلمة للنشر ، ٢٠١٣م ، ص١٤٩.

أولا: نجاحها في اثارة انتباه المتلقي .

ثانيا: استثارتها لأهمية ما او نفعا ، وقدرتها على دفع المتلقي الى التأمل والاهتمام بشيء ما ، ودعوتها الى التقويم والاختيار والحكم.

ثالثا: استدعاؤها لرد فعل ، او تقود الى فعل[٥٢]. ومن الجدير بالذكر ان عمل الذات حاضر في عملية رجع الصدى او ما يطلق عليها بالتغذية الراجعة او رد الفعل (**Feed back**) التي تسهم في حوار الذات مع نفسها لبناء الخطاب افتراضيا ومن ثم التنفيذ على ارض الواقع وبث الخطاب نحو المتلقي بنجاح. كما يعد اللون وسيلة مهمة من وسائل دعم العملية الاتصالية ، فاللون كالصوت انه ذاتي يعتمد الاحساس بوجوده من خلال العين وتأويلها للضوء ، وتشكيل الصورة وبحسب الاطوال الموجية للالوان ، فالأحمر اكثر تأثيرا على العين من الاخضر[٥٣] ، وهذا هو الاتصال المباشر من خلال اللون ومديات تأثيره.

المبحث الرابع :

(اجراءات البحث)

١ - **منهج البحث:** اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي في تحليل نماذج البحث المنتقاة قصديا.

---

[٥٢] بنكراد ، سعيد ، الصورة الاشهارية ، ص١١٦.

[53] Maitland Graves, The Art of Color and Design, Mc Graw- Hill Books co., New York, second Edition, 1951, p.321.

٢ -**مجتمع البحث:** تضمن مجتمع البحث مجموعة من الملصقات التي صممها الباحث لمناسبة ادراج الاهوار وآثار سومر على لائحة التراث العالمي[٥٤] ، وقد بلغ مجموع تلك الملصقات (١٢) ملصقا تم انتقاء ثلاثة منها اي بنسبة (٢٥%).

٣ -**انموذج البحث:** تم اختيار ثلاثة نماذج منتقاة قصديا من مجتمع البحث البالغ (١٢) ملصقا ، اي بنسبة (٢٥%) اتسمت بأسلوب ذاتي خاص بالمصمم.

٤ -**اداة البحث:** قام الباحث بتحليل النماذج الثلاثة المنتقاة اعتمادا على ادبيات الاطار النظري وما تم بحثه ودراسته في الفصل الثاني من البحث.

الانموذج (١)

الوصف العام:

الابعاد: ٥٠سم / ٧٠سم

نوع الخطاب الكرافيكي: ملصق

مكان الطبع: العراق

سنة الطبع: ٢٠١٩م

---

[٥٤] ادرجت الاهوار والمناطق الاثرية في جنوب العراق على لائحة التراث العالمي من قبل منظمة التربية والعلوم الثقافة (اليونسكو) التابعة للأمم المتحدة بتاريخ السابع عشر من تموز عام ٢٠١٦م.

التحليل الفني:

تميز فضاء الملصق ضمن الانموذج الظاهر بوجود مركز للسيادة (كلكامش وهو يقبض على جاموستين) الذي هو بطل ملحمة كلكامش العراقية القديمة التي وضعت دروسا في حب الحياة والبحث عن الخلود. وقد برز خلفه بيت الاهوار او ما يطلق عليه بالمضيف المصنوع من القصب وهو رمز لآلهة الخصب والنماء والحب والجمال في العراق القديم (**إنانا**) او (**عشتار**). كما وجد القارب السومري المعروف اليوم (**المشحوف**) وهو اداة التنقل في مياة الاهوار وسط تكوينات نباتية توحي بالقصب الاخضر منه والاصفر. برزت الذاتيات التطبيقية في تعريق او تأقلم المفردات او العناصر البصرية المشتركة في بناء الخطاب بشكل يعطي اهمية كبيرة للهوية وقدرتها الكبيرة في التأثير على المتلقي محليا وعالميا ، اذ وضع ما يشبه الوشم في منطقة اسفل الرأس في كلكامش والبقرتين ، فالوجود حاضر في الذات ضمن بنية الخطاب الحالي وهي تؤكد ما طرحه (**سارتر**) في العلاقة ما بين الذات والوجود وانعكاساتها في الخطاب الكرافيكي. جاء هذا الانموذج كنوع من التجريب ولاسيما في استعمال الرموز التراثية او الحضارية العراقية التي قد لا يكون من السهولة تحويرها او استعمالها باختزال في الكثير من التفاصيل الحقيقية التي وجدت فيها على ارض الواقع ، فالتجربة جاءت كنوع من الخروج عن الواقعية المظهرية للرمز او الشكل من خلال الاختزال والايحاء بقوته. وقد مثلت الالوان المستعملة في الخطاب نوعا من الاتساق بالبيئة العراقية ولاسيما بيئة الاهوار والحياة اليومية فيها ، وهذه الاهوار كانت بمنزلة الاماكن التي كانت تدور فيها الاساطير

السومرية التي تعكس محتوى ومكونات بيئة جنوبي العراق اليوم من انهار وقصب ونخيل[٥٥].

اشتركت العناصر البصرية كافة في تحديد معالم الاهوار ورموزها الحضارية باسلوب تقني جديد وبطباعة رقمية.

الانموذج (٢)

الوصف العام:

الابعاد: ٥٠سم / ٧٠سم

نوع الخطاب الكرافيكي: ملصق

مكان الطبع: العراق

سنة الطبع: ٢٠١٩م



التحليل الفني:

تميز فضاء الملصق ضمن الانموذج الظاهر بوجود مركز سيادي تمثلة الجاموستان اللتان تقفان بطريقة متبادلة في الاتجاه ومتقاربة في الدرجات اللونية ، فالبقرة هي من يهب الخير والعطاء في الفكر العراقي القديم ، اذ كان العراقيون القدماء ولاسيما السومريون والاكديون فضلا عن البابليين يهتمون بتربية الجاموس والاستفادة من منتجاتها ، كما وضعت ثلاثة

---

[٥٥] يونغ ، كافن ، العودة الى الاهوار ، تر: حسن الجنابي ، وزارة الموارد المائية بالتعاون مع دار المدى ، بغداد ، ٢٠٠٧م ، ص٢٥.

من بيوت القصب الى الخلف من مركز السيادة ، ووجدت امام الجاموستين السنابل الذهبية كدلالة على زراعة القمح والشعير في تلك المناطق نظرا لما تتمتع به من خصوبة وثراء وخير ، وتجدر الاشارة الى ان شكل رمز السنبلة هذه هو استعارة رمزية من الكتابة الصورية العراقية القديمة التي سبقت الكتابة المسمارية ، اذ كان السومريون يرسمون هذه السنبلة دلالة على الزراعة.

جاء هذا الانموذج ليبين لنا اهمية هذه الارض او هذه المنطقة تحديدا في جنوب ووسط العراق من حيث قوة التعبير الحضاري وما كانت تتمتع به حضارة بلاد الرافدين من ثروة مائية وحيوانية وزراعية ، التي تجسدت في الخطاب من خلال تعزيز قيم الهوية الوطنية في التصميم التي يعد حضورها ضمن ذات المصمم وتفكيره وانتمائه لمرجعياته الوطنية ورموزها التاريخية وطبيعة جغرافيتها وبيئتها المحلية التي جسدتها الالوان الرافدينية القديمة.



الانموذج (٣)

الوصف العام:

الابعاد: ٥٠سم / ٧٠سم

نوع الخطاب الكرافيكي: ملصق

مكان الطبع: العراق

سنة الطبع: ٢٠١٩م

التحليل الفني:

تميز فضاء الملصق في الانموذج الظاهر بتعدد المفردات او الرموز المستعملة فيه ، اذ وضع قارب كبير يقوده احد الرجال وهو يحمل كأسا في يده ويقف الجاموس وهو من الحيوانات المهمة والمعروفة في منطقة الاهوار اذ تقضي اغلب وقتها وهي داخل المياه. كما وجدت اعمدة من القصب اليابس وهو ينقل لغرض استعماله في البناء وغيرها من الاستعمالات اليومية والحياتية في تلك المنطقة ، كما وجدت الاسماك وهي تسبح في مياه الاهوار ، ومن الجدير بالذكر ان الاسماك هي من رموز الخير والعطاء في تلك المنطقة الموغلة في التاريخ ، والتي لا يزال سكانها اليوم يصطادون الاسماك وهي جزء مهم من قوتهم اليومي. لقد حقق مركز السيادة (القارب مع مكوناته البصرية) قوة جذب مركزية ولغة حوار مباشر في محاكاة المتلقي ، فقوة الجذب التي تحققها الوحدة التصميمية ، في حوار مباشر وحضور جمالي من خلال الالوان والاشكال في مركز السيادة كنظام بصري

مؤثر في المتلقي نفسيا واجتماعيا وبايولوجيا فضلا عن التأثير في السلوك الانساني[٥٦].

المبحث الخامس: النتائج والتوصيات

أولا: النتائج:

في ضوء ما تقدم نستطيع ان ندرج بعض النتائج وعلى النحو الآتي :

١ -مثلت التجربة الذاتية اساسا في استنباط الرموز واستعارتها والعناصر التاريخية واستعمالها في الخطاب الكرافيكي (الملصق).

٢ -عبرت التجربة الذاتية في التصميم عن القدرة الكبيرة في التأثير بالمتلقي المحلي والعالمي ولاسيما بالتطبيق وطباعة هذه الملصقات للترويج عن البيئة العراقية المحلية ومكوناتها الطبيعية من نباتات وحيوانات وموروث وغيرها ولاسيما بيئة مناطق الاهوار وخصوصيتها البصرية.

٣ -تتميز كافة النماذج بالاسلوب ذاته من حيث التنفيذ وطبيعة الرموز المستنبطة في الخطاب الكرافيكي ، وكانها سرد قصصي لقصة الحضارة معبرة بصدق عن هوية المكان وروحية الزمان.

٤ -عدت النماذج بأكملها تعبيرا صادقا عن قوة الذات وتأثيرها في صياغة المشهد البصري ولاسيما في تشكيل وبنية الخطاب الكرافيكي وبذلك فان حضور الذاتيات هو جمع ذات واحدة تنتمي بصدق للمكان والزمان (التاريخ).

---

[56] Maitland Graves, The Art of Color and Design, p.157.

٥ -اتسمت الالوان بخصوصيتها ودلالاتها المحلية التي تنتمي الى عمق حضارة بلاد الرافدين ولاسيما اللون اللازوري والاصفر ودرجات الازرق والاخضر.

٦ -اتجهت النماذج بشكل مباشر نحو محاكاة ذات المتلقي مباشرة من خلال التطبيق والتداول لمكونات الخطاب وتعبيرها المباشر عن المكان ، وبذلك فان المدى الاتصالي هو مدى طويل ومباشر يحاكي المتلقي ويجعله جزءا من الواقع الافتراضي للخطاب.

٧ -نفذت كافة النماذج بالتقنية الرقمية وباسلوب واحد مما يجعلنا في اختبار حقيقي نحو التجربة الاخراجية أو التنفيذية المعاصرة وباسلوب جديد.

ثانيا: الاستنتاجات:

١ -يعد الخطاب الكرافيكي لغة تواصل وتأثير بوصفه لغة بصرية تحاكي المتلقي المحلي والعالمي نحو الاحساس بقيمة الرمز التراثي والتاريخي في الخطاب.

٢ -ترتبط الذات بالأنا في عملية الحوار الذهني للمصمم ولاسيما في انتقاء المفردات والرموز التاريخية التي تؤثر تأثيرا مباشرا في الذات وتنعكس في اسلوبه الفني.

٣ -تشكل الذات نقطة الشروع الاولى في تقبل الافكار وادراكها ومناقشتها ومن ثم التحول الى حقل التجريب والتجربة ومنها الانطلاق نحو التطبيق والتداول والانتشار.

ثالثا: التوصيات:

١ -ضرورة الاطلاع على التجارب العالمية في الفن ولاسيما التصميم بوصفه جزءا مهما من فلسفة الفن للمجتمع ، من خلال ابتكار طرائق جديدة في التعبير الاسلوبي عن طريق تفاعل الذات مع الواقع لإنتاج الخطاب الجديد.

٢ -اتخاذ التجربة والتجريب طريقا جديدا في التفكير وبناء الفكرة الابداعية الخلاقة التي لا تأتي بدون ذات المصمم ومن ثم ايجاد سبل منطقية وسليمة في التطبيق.

المصادر :

أ المصادر العربية :

١ -الإمام علاء الدين ، بنية الشكل الجمالي في التصميم الداخلي ، دار مجدلاوي ، عمان ، ٢٠١٥م.

٢- الانصاري ، حسين ، اشكاليات التلقي في الخطاب المسرحي ، النوارس للنشر ، الاسكندرية ، ٢٠١٧م.

٣- ايكو ، امبرتو ، لا نهائية القوائم من هوميروس حتى جويس ، تر: ناصر مصطفى ابو الهيجاء ، دار كلمة للنشر ، ٢٠١٣م.

٤- باركر ، كريس ، معجم الدراسات الثقافية ، تر: جمال بلقاسم ، رؤية للنشر ، القاهرة ، ٢٠١٨م.

٥- بنكراد ، سعيد وآخرون ، استراتيجيات التواصل الاشهاري ، دار الحوار ، اللاذقية ، ٢٠١٠م.

٦ بنكراد ، سعيد ، الصورة الاشهارية آليات الاقناع والدلالة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٩م.

٧- التونجي ، محمد ، المعجم المفصل في الادب ، ج٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣م.

٨- الجادرجي ، رفعت ، في سببية وجدلية العمارة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٦م.

٩- الجوهري ، محمد ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٠م.

١٠- الحسني ، محمد علي حسين ، ابستمولوجيا التأويل ، دار الرافدين ، بيروت ، ٢٠١٦م.

١١- الحيدري ، ابراهيم ، الشخصية العراقية البحث عن الهوية ، دار التنوير ، بيروت ، ٢٠١٣م.

١٢- خليل ، خليل احمد ، معجم المصطلحات الفلسفية ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٥م .

١٣- ديبون ، باسكال ، معجم ميرلوبونتي ، تر: شادي رباح نصر ، النايا للدراسات والنشر ، دمشق ، ٢٠١٤م.

١٤- ربابعة ، موسى ، الاسلوبية الاتصال والتأثير ، مجلة علامات في النقد ، ج(٢٧) ، م(٧) ، النادي الادبي والثقافي ، جدة ، ١٩٩٨م.

١٥- رسل ، برتراند ، مشكلات فلسفية ، تر: آراك الشوشان ، عالم الادب للنشر ، بيروت ، ٢٠١٦م.

١٦- الشتوي ، ابراهيم محمد ، ابحاث في الهوية ، دار شرقيات ، القاهرة ، ٢٠١٠م.

١٧- شعبان ، ياسر ، الاحلام اسرار النوم والأحلام ، كنوز للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٤م.

١٨- صالح ، قاسم حسين ، الانسان من هو ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٤م.

١٩- الصحن ، صالح ، الشخصية النموذجية في الدراما التلفزيونية ، دار عدنان للنشر ، بغداد ، ٢٠١٤م.

٢٠- صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي ، ج١ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٦م

٢١- عاصي ، ميشال ، واميل بديع يعقوب ، المعجم المفصل في اللغة والادب ، م١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ،١٩٨٧م.

٢٢- عبد الحميد ، شاكر ، الفنون البصرية وعبقرية الادراك ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٨م.

٢٣- عبد الله ، اياد حسين ، فن التصميم ، ج١ ، دائرة الثقافة والاعلام ، الشارقة ، ٢٠٠٨م.

٢٤- عمر ، هدى محمود ، التصميم الصناعي فن وعلم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، عمان ، ٢٠٠٤م.

٢٥- عيد ، كمال ، فلسفة الادب والفن ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، ١٩٧٨م.

٢٦- فتحي ، ابراهيم ، معجم المصطلحات الادبية ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، صفاقس ، ١٩٨٦م.

٢٧- فضل ، صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٦م.

٢٨- الفقي ، ابراهيم ، قوة الفكر ، دار الراية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٩م.

٢٩- فليح ، نصير ، سلافوي جيجك ، دار عدنان للنشر ، بغداد ، ٢٠١٩م.

٣٠- ----------- ، ألان باديو ، دار عدنان للنشر ، بغداد ، ٢٠١٩م.

٣١- محادين ، عثمان ، تقدير الذات ، دار كنوز المعرفة ، عمان ، ٢٠١٦م.

٣٢- محمد ، بلاسم ، عزلة الفن في الثقافة العراقية ، جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين ، بغداد ، ٢٠١٧م.

٣٣- مصطفى ، عادل ، دلالة الشكل ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٤م.

٣٤- مطلوب ، احمد ، التداولية وبحوث أخرى المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ٢٠١٥م.

٣٥- المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، القاهرة ، ١٩٨٣م.

٣٦- المعجم الفلسفي المختصر ، تر: توفيق سلوم ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٦م.

٣٧- النصير ، ياسين ، المدينة والفن التشكيلي ، دار ميزوبوتانيا ، بغداد ، ٢٠١٣م.

٣٨- هوسرل ، ادموند ، دروس في فينومينولوجيا الوعي الباطني بالزمن ، تر:لطفي خير الله ، منشورات الجمل ، المانيا ، ٢٠٠٩م.

٣٩- وهبة ، مراد ، المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، ٢٠١٧م.

٤٠- يوسف ، عقيل مهدي ، الفكرة الجمالية في الفن ، دار آراس ، اربيل ، ٢٠١١م.

٤١- ---------------- ، السؤال الجمالي ، جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين ، بغداد ، ٢٠٠٧م

٤٢- يونغ ، كافن ، العودة الى الاهوار ، تر: حسن الجنابي ، وزارة الموارد المائية بالتعاون مع دار المدى ، بغداد ،٢٠٠٧م.

ب المصادر الاجنبية:

1- Eric Newton, The meaning of Beauty, Penguin Books, Cox & Wyman Ltd, London. Third Edition, 1967.

2- F. L. Lucas, Style, Pan books Ltd, London, Second Edition, 1964.

3- Herbert Read, The meaning of Art, Penguin Books , The Chaucer Press, London, the nine Edition, 1966.

4- H.W.Janson. A History of Art, Thames & Hudson, London, 1968.

5- Maitland Graves, The Art of Color and Design, Mc Graw- Hill Books co., New York, second Edition, 1951.

6- Mario Amaya, Art Nouveau, Studio Vista Limited, London, second edition,1968.

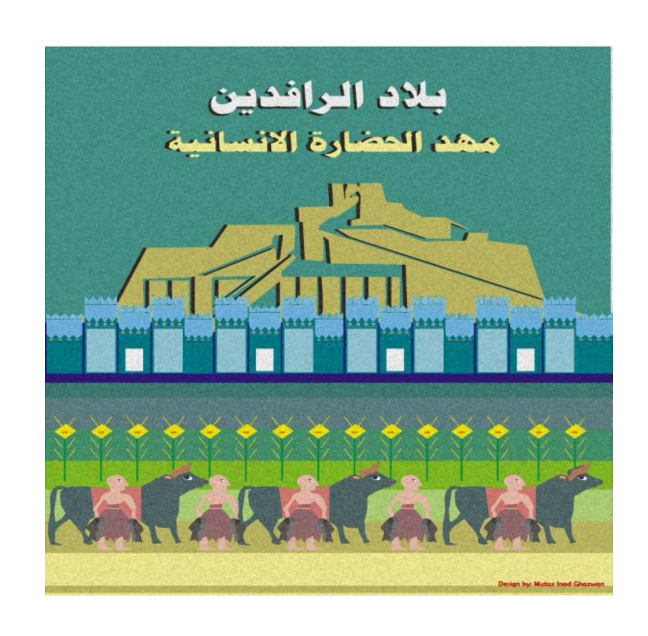
7- Michael Clarke, Oxford Concise Dictionary of Art Terms, Oxford University Press, 2001.

ملحق:

النماذج الاخرى البالغ عددها (٩)





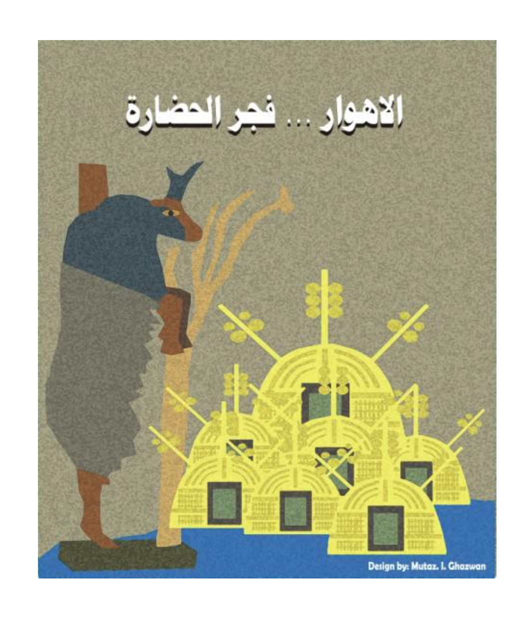

بلاد الرافدين
مهد الحضارة الانسانية
Design by: Mutaz Inad Ghazwan


الاهوار مهد الحضارة
Design by: Mutaz. I. Ghazwan


العراق مهد الحضارة
Design by: Mutaz. I. Ghazwan


اهوارنا حضارتنا
Design by: Mutaz. I. Ghazwan


الاهوار ..... التاريخ
Design by: Mutaz. I. Ghazwan


الاهوار ... فجر الحضارة
Design by: Mutaz. I. Ghazwan


الاهوار ... مهد الحضارة
Design by: Mutaz. I. Ghazwan

العصور الأندلسية ، إصلاح فكري وتطور معرفي
قراءة تحقيبية جديدة لفترة العصر الموريسكي
٨٩٧ ـ ١٠١٨هـ ـ ١٤٩٢ ـ ١٦٠٩م

الأستاذ المساعد الدكتور

قصي عدنان سعيد الحسيني

كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

الملخص :

إنّ العصور الزاهرة التي مرّت بها حضارة الأندلس ، واتشحت بالعلم والعلماء والمصنّفات ، وصارت قبلة للعلم والأدب يؤمها الباحثون والدارسون من أرجاء المعمورة ؛ لينهلوا من معينها الثّر ، ولكن دوام الحال من المحال ، وهذا يذكرنا بقصيدة أبي البقاء الرُّنديّ في رثاء الأندلس ، بعد تهاوي الممالك والمدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى :

لكلِّ شيء إذا ما تمّ نقصان   فلا يُغرّ بطيب العيش إنسانُ

هي الأيامُ كما شاهدتها دولٌ   من سرّه زمن ساءته أزمانُ

وهذه الدّارلا تُبقي على أحد   ولا يدومُ على حال لها شانُ

وتضافرت الأقدار على أن تنتهي تلك الأسطورة الرّائعة من الازدهار والرُّقي في جميع مناحي الحياة ، حيث سُلّمت " مملكة غرناطة " آخر الممالك الأندلسية إلى " فرناندو وزوجه إليزابيث " في ٨٩٧ هـ ١٤٩٢ م ،

على أيدي " بنـي الأحمر " من النَّصريين ، الّتـي أطلـق عليـها المؤرخـون آخر عصور الأندلس ، ومن هنا انطلقت فكرة البحث؛ وذلك بجعل " العصر الموريسكي " ، هـو آخـر العصـور الأندلسيـة كمـا أرى ، أي بزيـادة عصـر جديـد إلـى العصـور الأندلسيـة ، والـذي أردتـه مـن إحـداث ذلـك التَّغييـر فـي عصور الأندلس الأدبيّة ، إنّما هو تغيير نحو الأحسن بعد أن كانـت حسنـة لكنها أخلَّت بعصر من الأهميـة بمكـان ، كـان ينبغي أن يأخذ مكانـه بـين العصور الأندلسية ، ألا وهو " العصر الموريسكي" ، وإحيـاء لعصر كـاد أن يموت لولا مشروعنا الذي وفقنا الله تعالى بـه خدمـة لهذا الشّعب المسلم ، إذ لـيس مـن المعقـول أن نمحـو وجـود المسلمين الَّـذين عاشـوا فـي كنـف الدَّولـة الإسلامية فـي تلك البقعة البعيدة المتراميـة الأطراف بمجرد تسليم مملكة غرناطة ! فإن كان ديوان محاكم التفتيش قد عمل حثيثا على تذويب هويتهم الفكرية والثَّقافيَّة "الدِّينيـة ، واللغويـة ، ... " فهـا هـو تـراثهم الأدبـي قد ظهر في تحقيقات المستشرقين الإسبان للمخطوطات الموريسكية ، فكان هـذا النّصـف الأوَّل مـن مشـروعنا بفضـل الله تعـالى ، وتحقيـب العصـر الموريسـكي هـو النّصـف الثَّـاني مـن المشـروع ، تكـون آليـة المشـروع الموريسكي قد اكتملت بحسب ما خططتُ لـه ، إذ كـان النِّصف الأوَّل من المشروع يقـع فـي منطقـة اشتغال تكوَّنت من بحثين ، البحث الأوَّل : هو (الشِّعر الموريسكي ، الأُصول والموضوعات) ، والبحث الثَّاني : هو (النِّثر الموريسكي ، الأُصول والموضوعات).

واقتضت طبيعة البحث تقسيمه على مبحثين جاء الأوّل بعنوان : " التحقيب مقاربة تاريخية " ، عرضت فيه معنى التَّحقيب لغةً واصطلاحا ، وبيَّنتُ مرحلة ظهور المصطلح ، وقد وردت موسومة بـ :

" المقاربة التاريخيَّة للتَّحقيب ودور التَّأسيس " ، إذ بيَّنتُ فيها المسار التَّاريخي لجهود الباحثين من المستشرقين والعرب في تحقيبهم لعصور الأدب العربي .

أمَّا المسألة الأخرى الَّتي عالجتها في المبحث الثَّاني فقد وردت موسومة بـ : " لماذا التَّحقيب للعصر الموريسكي" ، الَّذي أغفله جلّ الباحثين الَّذين عنوا بالأدب الأندلسي !

وبهذا يكون العصر الموريسكي آخر عصور الأدب في الأندلس ، وختمت البحث بجملة من التَّوصيات والنتائج الَّتي توصلتُ إليها .

المبحث الأوّل :

التَّحقيب : مقاربة تاريخيَّة

التَّحقيب لُغةً :

الحِقبة من الدَّهر : مدَّة لا وقت لها ، والحِقْبةُ بالكسر : السّنة ، والجمع : حِقَبٌ ، وحُقُوب ، كـ : حِلْيَة ، وحُلِي ، وقيل : والحُقب ، والحُقُب : ثمانون سنة ، وقيل : أكثر من ذلك ، وجمع الحُقُب : حِقاب ، مثل : قُف ، وقفاف ، وحكى الأزهري في الجمع : أحقابا ، والحُقُب : الدّهر ، والأحقاب : الدُّهور ، وقيل : الحُقُب : السَّنة عن ثعلب ، ومنهم من خصّ به لغة قيس خاصة ، وقوله تعالى : " **أو أَمْضِيَ حُقُبا** " الكهف / ٦٠ ، وقي : معناه : سنة ، وقيل : معناه : سنين ، وبسنين فسّره ثعلب .

قال الأزهري : وجاء في التفسير : إنّه ثمانون سنة ، فالحُقُب على تفسير ثعلب يكون أقل من ثمانين سنة ؛ لأنّ موسى " عليه السلام " لم ينو أن يسير ثمانين سنة ، ولا أكثر؛ وذلك أنّ بقية عمره في ذلك الوقت لا تحتمل ذلك ، والجمع من كلِّ ذلك أحقاب ، وأحقُب .[١]

نخلص من ذلك أنّ الحقبة هي : مدَّة من الزَّمن ، قد تكون سنة أو أكثر.

---

[١] لسان العرب ، ابن منظور : مادة " حقب " مج ١ / ٣٢٦ ، وتاج العروس : الزَّبيدي : مادة " حقب " مج ١/ ٣٢٣ .

التَّحقيب اصطلاحا :

لقد كشف الباحث المغربي أحمد بو حسن عن طبيعة التحَّقيب الَّتي تكشف بكل تأكيد وظيفته الاصطلاحيّة ، ومما جاء فيه :

(هو كشف عن الأسس الأدبيّة ، وغير الأدبيّة التي تتحكم في التحقيب ؛ ولذلك فإنّ إثارة طبيعة التحقيب الأدبي في تعالقاته مع التَّحقيبات الخارجة عنه قد تؤدي إلى تشييد أدبي يُعبّر أكثر عن التطور الأدبي الذي عرفه تاريخنا الأدبيِّ). [٢]

وجاء في "التَّحقيب" أيضا أنّه : عملية تقوم على (تقسيم المسيرة التَّاريخية بهدف استخلاص مجموعات التَّحقيب في التَّاريخ الأدبيِّ باعتباره واقعة خاصة ، وبالتَّالي يتميز بزمنية مستقلة ، وبين التَّاريخ العام) .[٣]

وجاء أيضا : (ويمزج هذا التَّنظيم لتاريخ الآداب ما بين معطيات الحساب " القرون" ، والمفاهيم الأدبيّة "الحركات" قاد هذا الحقل العديد من النُّقّاد المهتمين باعتماد معايير أكثر ارتباطا بالأدب؛ باقتراح تصنيفات تستند إلى مقاييس أكثر " استقلالية ".

" عهود " عند ف . برنتيير ، " أجيال " عند أ . تيبودا هـ . بير ، أو حتى " حقب "

---

[٢] أشكال التَّحقيب : أحمد بو حسن : ص ٢٩ .

[٣] معجم المصطلحات الأدبيَّة : بول آرون ، و دينيس سان ، وجاك ، وآلانفيالا : ص ٣٢٤ . ٣٢٥ .

بحسب وضع الحقل الأدبي) ، أو بحسب تاريخ كلّ نوع ، أو شكل . [٤]

فعملية " التَّحقيب " إذن ضرورة؛ لإيضاح " التاريخ" ، إذ هي تقوم مقام تتابع حدثي متواصل لكيانات على شيء من الثَّبات والتَّماسك ، ولأنَّ كلّ عملية تقطيع تقوم على اختيار شيء من العشوائية ؛ لذا فإنّ كلّ شكل من أشكال " التَّحقيب" ، لابدَّ من أنْ يجد من يعترض عليه ؛ لأنّ عملية تقسيم التَّاريخ الأدبي إلى مراحل تُثير الكثير من المشاكل التي تزداد كثرة بقدر ما ؛ لأنَّها عملية غير مبنيَّة على أساس الملاحظة والاختبار ، وبعامَّة : إنّها عملية ترتكز على البداهة المخطوءة للعادة ، أو الواقع المؤسس ، وهكذا ينتهي بنا المطاف إلى وحدة ظاهرية على مدة زمنيَّة لا نمتلكها في الواقع . [٥]

ظهور مصطلح التَّحقيب :

إنّ لظهور مصطلح " التَّحقيب ـ " السياسي والأدبي ووو ـ على السَّاحة المعرفيّة " الابستمولوجية " [٦] في المغرب العربي ؛ أثرا في تسليط الضّوء على مصطلح " التَّحقيب " من جديد ؛ وذلك لإعادة ترسيخه بوصفه

---

[٤] المصدر السَّابق : ٣٢٥ . ٣٢٦ .

[٥] المصدر السَّابق ، ينظر : ص ٣٢٥ . ٣٢٦ .

[٦] الابستمولوجيا ، أو الإبستمولوجي ، وتعني المعرفة : وهي إحدى فروع علم الفلسفة ، فمن حيث المفهوم اللغوي تعني : علم العلوم ، أو الدراسة النقدية للعلوم؛ ولهذا تُعرّف الإبستمولوجيا بأنّها : الدِّراسة النَّقدية للمبادئ ، أو الفرضيات ، أو النَّتائج العلمية الهادفة إلى بيان أصلها المنطقي لا النفسي ، وقيمتها ، وأهميتها الموضوعية ، ينظ : الحوار المتمدن : دلال أعواج : ١٦ / ٧ / ٢٠١٠ م.

مفهوما قد غاب قرابة أكثر من نصف قرن من الزَّمن عن السَّاحة الفكريّة العربيّة عموما ، واخصُّ السَّاحة المعرفيَّة في الأروقة الأكاديمية ، لكنّا تفاعلنا مع معطياته الفكريّة والثقافية في جملة من المصنفات الجامعية ، وما دونها في حقلي التاريخ والأدب ، واليوم عاد من جديد ، فكما بدأت المصنفات الّتي حاكت ـ من المحاكاة ـ مصطلح " التَّحقيب " في مصر ، وبلاد الشام ، وبعض المصنفات في المغرب العربي ، ومن قبل على أيدي المستشرق " كارل بروكلمان " في موسوعته " تاريخ الأدب العربي " عادت من جديد في المغرب العربي ؛ لتطرح مفاهيم جديدة ، وآفاقا أكثر شمولية واتساعا ؛ لتحتضن تراثنا الإنساني العربي والإسلامي .

(ويُعدّ إشكال التَّحقيب الإشكال المحوري الَّذي تدور فيه أبحاث التَّاريخ الأدبي والثَّقافي ، إذ يتم من خلاله تحديد أزمنة الفعل الثقافي والأدبي لكلِّ ثقافة ، وإعادة قراءة تراثها وصولا إلى العلاقة بين ماضيها وحاضرها ، بل تأسيس آفاق مستقبلها ذاته) . [٧]

والمشروع التَّحقيبي المعرفي الذي طُرح في السَّاحة المغربيّة قد طرحه الباحث المغربي عبد الله العروي ، وهو أول من استعمل " التَّحقيب " بوصفه مصطلحا بمفهومه العلمي الدَّقيق في الدِّراسات التَّاريخية في كتابه (مجمل تاريخ المغرب) [٨]، إذ وضع المغرب في ضمن تحقيب سياسي جديد ، كما صرّح بذلك الدكتور محمّد قراش [٩]

---

[٧] التَّحقيب والايدلوجيا : الدكتور محمّد قراش : ص١٨.

[٨] المركز الثَّقافي العربي ، عن التَّحقيب والايدلوجيا : ص١٩ ، هـ ٢.

[٩] التَّحقيب والايدلوجيا : ص١٩ بتصرف .

وفـي كتـاب العـروي الآخـر (مفهـوم التـاريخ ، الألفـاظ ، والمـذاهب ، والمفـاهيم والأصـول) الّـذي درس فيـه تحليـل مفهـوم " التَّحقيـب " ، وبـيّن أنواعه [١٠]

ومـن بعـد الـدكتور العـروي ، يـأتي الـدكتور محمّد مفتـاح الـذي وظّـف مصـطلح " التَّحقيـب " توظيفـا علميـا ومنهجيـا دقيقـين كمـا وصـفه الـدكتور قراش ، فقد ذهب الدكتور مفتـاح إلـى أن (مفهـوم التحقيب والحقبة ، جديد على الثقافة العربيّة ، كما كان جديدا على الثَّقافات الأخرى الرَّاقيَّة). [١١]

يطرح الدكتور قراش سؤالا به حاجة إلى تعديل مفاده :

هل تعنـي جِدَّة مصطلح " التَّحقيب " فـي الثَّقافـة العربيـة بالضَّرورة جدّة الإشكال المرتبط به في هذه الثَّقافة ؟؟؟

أقول :

إنّ مصطلح " التَّحقيب " لم يكن غريبا على السَّاحة المعرفيَّة من حيث التّطبيق فـي تشكيلاته الفكريَّة " التَّاريخيَّة والأدبيَّة " ، لقد أخذه الطَّالب فـي الفضـاء العربـي ، وفـي مختلف المراحل الدِّراسيَّة فيمقررات الدّراسات الثانويـة والإعداديـة " المبكـرة " ، والأكاديميـة ، أمّـا الإشـكال المـرتبط بـه مـن حيـث تفصـيلاته ، وفروعـه ، فهـو غريـب علـى مسـاحة واسـعة عـن الأكـاديميين والباحثين ، بوصفه مصطلحا ؛ بسبب عنايتهم بهكذا موارد للبحث ، فقد تعوّد

---

[١٠] المركز الثَّقافي العربي ، الدَّار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٥ م.

[١١] المفـاهيم ، معـالم ، نحـو تأويـل واقعـي : ص١٢١ ، عـن التَّحقيـب والايـدلوجيا : ص ١٩ ، هـ ١.

السّواد الأعظم من الأكاديميين والباحثين من طلبة الدّراسات العليا ، والمهتمين بالتُّراث العربي الإسلامي التَّقسيم المألوف بالتَّحقيب الأدبي لعصور الأدب العربي المشرقي ، وكذا الحال في التُّراث الأدبي المغربي والأندلسي ، وكلاهما مرتبط بالتَّحقيب السِّياسي الَّذي عرفناه في دراستنا المبكرة والأكاديمية كما قلنا آنفا ، وسار عليه كما سارت من قبله الأجيال !!!

المقاربة التَّاريخيَّة للـ " التَّحقيب " ودور التَّأسيس :

لم تغب هذه الحقبة الزَّمنيَّة عن صدور بعض المصنَّفات الرّصينة فيما يخصُّ " تحقيب الأدب العربي" من مستشرقين ، وباحثين في عالمنا العربي من أكاديميين ، ومهتمين بالشَأن الأدبي العربي والإسلامي ، مثل :

ـ المحاولة الأولى : كانت للمستشرق النَّمساوي " هامر يوسف " ١٧٧٤ ـ ١٨٥٦ م ، "j.vonhammer. purgstall" في كتابه " التَّاريخ الأدبي للعرب " من بدايته إلى نهاية القرن الثَّاني عشر للهجرة " في سبعة أجزاء ، فينّا ، ١٨٥٠م.

أقول : إنّ عدم ذكر اسم المصنّف الَّذي ألفّه بورجستال من قبل قراش يُعدُّ تقصيرا في أصل البحث العلمي؛ لأنّ جلّ الحديث منصّبٌ في مضمار مصنّف بورجستال. (١٢)

---

(١٢) ورد في موقع " ويكيبيديا " بعد ذكر ولادته ووفاته : إنّ " بروجستال " ترجم أجزاء من سيرة عنتره " و " ألف ليلة ، وليلة " كما ترجم " تائية ابن الفارض " إلى الألمانية مع نشر نصّها العربي .

ـ المحاولـة الثَّانيَّـة : لنمسـاوي آخـر هـو : " الفـرد فـون كريمـر " " A.von.Kremer " ١٨٢٨ ـ ١٨٨٩ م ، الَّـذي قـدّم تخطيطـا مختصـرا فيمـا يخـصّ تـاريخ عمـران المشـرق فـي عصـر الخلفـاء ، ونشـره فـي فينّـا عام ١٨٨٧م.

ـ المحاولة الثَّالثة : للمستشرق الإنجليزي " آربتنوت" "Arbuthno" في التَّاريخ والأدب ، وقد نشره في لندن عام ١٨٩٠ م.

وإنّـي لأعجب من وصف الدكتور قراش لهذه الأعمال الرَّائدة والمبكرة بـ (القصور)[١٣]

أقول :

أوّلا ـ نحن ندين لهؤلاء المستشرقين الَّذين مهّدوا طريق البحث العلمي في مجال تحقيبلتراثنا الأدبي الإسلامي والعربي.

ثانيا ـ لا يجوز أنْ نصف أعمالهم بالقصور؛ لسبب لم يكن لهم به حول ولا قوة! حيث انّهم نظّروا بمحاولاتهم على وفق ما توافروا عليه من مطبوع مصنّفات في مجال الأدب العربي والإسلامي والعمراني وقتذاك ، فسيكون ذلك أنصف للحقيقة ، والأجمل بالاعتراف لهم والاهتمام من قبلهم بتراثنا بعامَّة .

ـ وقد سبق " إدور فانديك وفليبيدس قسطنطين " : بأنّه كتاب تعليمي لا يُقدِّم إلَّا نظرة عابرة في أدب العرب ... ، جاء من مقارنة " بروكلمان" [١٤]

---

[١٣] التَّحقيب والايدلوجيا : ص ٢٣.

[١٤] تاريخ الأدب العربي : بروكلمان : ١ / ص م .

ـ بالنسبة لموسوعته ، وللكمّ الكبير من المخطوطات الَّتي توافر عليها ـ منطقيا الفارق كبير ، ولكن يبقى عمل قسطنطين " يُشار إليه بالأهمية والرِّيادة في مجاله كما أراده مصنفه لا أنْ نبخس حقّه ! وهل مجال التَّعليم الَّذي قللَّ من شأنه " بروكلمان " صحيح على وفق مصنّف قسطنطين" ؟!

ـ جرجي زيدان ١٨٦١ ـ ١٩١٤م .

كانت محاولته المبكرة عام ١٨٩٤م ، الَّتي سبقت محاولة " كارل بروكلمان " بأربعة أعوام حيث نشر الفصول الأولى في مجلَّة الهلال ع ٩ ، س الثَّانية ، والثَّالثة في مجال تحقيب عصور الأدب العربي يقول : (أمّا في اللغة العربية فلعلنا أول من فعل ذلك ، ونحن أول من سمّى هذا العلم بهذا الاسم (تاريخ الأدب العربي) [١٥]

وهذه ريادة وسبق يُحسب لـ "جرجي زيدان" .

ـ تاريخ الأدب العربي لـ"كارل بروكلمان" "carl. Brokelmann" ، في موسوعته تاريخ الأدب العربي عام ١٨٩٨م[١٦] ، أي بعد جرجي زيدان بأربعة أعوام ! وممن تابع بروكلمان ، وسار على خطاه في نهجه العلمي جمع كبير من باحثينا في عالمنا العربي ـ سآتي على ذكرهم لاحقا ـ .

---

[١٥] تاريخ آداب اللغة العربية : ١ / ٨.

[١٦] تاريخ الأدب العربي : بروكلمان : ١ / م .

ـ محاولة غاستون بلاشر في كتابه " **تكون الفكر العلمي** "عام ١٩٣٨م، إذ قدّم تصورا لتطور الفكر العلمي انطلاقا من توجهه الابستمولوجي ... ، هذا التَّطور حصل في نظره على مدى ثلاث حقب تاريخية[١٧] وهي :

ـ (الحقبة الأولى : تمثِّل ـ الحالة قبل العلميَّة . وهي تمتد من العصور القديمة عصر الحضارة الإغريقية ، وقُبيله وبُعيده ، وعصر النَّهضة وبعده ، حتى أواخر القرن الثَّامن عشر الميلادي .

ـ الحقبة الثَّانية : "تمثِّل الحالة العلميَّة " وتمتد من أواخر القرن الثَّامن عشر حتى السَّنوات الأولى من القرن العشرين .

ـ الحقبة الثَّالثة : تمثل حالة الفكر العلمي الجديد ، وتبتدئ من عام ١٩٠٥م ، بالضَّبط ، وهو عام إنشاء النَّظرية النَّسبية ، ... ، في الفيزياء)[١٨].

ويستمر الباحث بناصر البعزاتي في سرد ، ومناقشة الاساس الابستمولوجي للتحقيب [١٩] ، نطوي عنه صفحا خيفة الإطالة .

وأرى أنَّ هذا التَّقسيم لا يمكن تطبيقه على تاريخ الأدب العربي ، لأنَّ المؤثرات الَّتي نتجت عن تلك الأحداث قد أثَّرت في أدبائهم بشكل ينسجم مع بيئتهم الثَّقافية الَّتي تختلف تماما عن بيئتنا العربية .

---

[١٧] التَّحقيب والايدلوجيا : : ١٢.

[١٨] المصّدر السّابق : ١٣ .

[١٩] المصّدر السّابق : ١٤ ـ ١٥.

وممن سار على نهج بروكلمان على سبيل المثال لا الحصر الَّذين أصبحت مصنفاتهم في ضمن المقررات الدِّراسية في الجامعات ، كما في كليَّات التَّربيَّة والآداب العراقية الَّتي تدرّس الدكتور شوقي ضيف " تاريخ الأدب العربي " قبل ثمانينيات القرن العشرين ، وإلى الآن ، ومن هذه الموسوعات :

ـ موسوعة أحمد أمين ١٨٨٦ ـ ١٩٥٤ م ، الإسلامية (فجر الإسلام ، وصبح الإسلام ، وظهر الإسلام).

ـ موسوعة الأدب العربي "تاريخ الأدب العربي" ، الدكتور شوقي ضيف ١٩١٠ ـ ٢٠٠٥ م" .

ـ تاريخ الأدب العربي : عمر فروخ " ؟ ـ ١٩٨٧ م " .

ــ الأدب الأندلسي ، عصر الموحدين : الدكتور حكمت الأوسي ١٩٢٨ م ـ ؟ " .

ـ الأدب المغربي : الدكتور محمّد الصَّادق عفيفي ، ومحمّد تاويت ، وقد تتبع الباحثان عصور الأدب في المغرب على سبيل المثال : فترة المرينيين والوطّاسيين ، وفترة الأشراف .

الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، والأدب الأندلسي عصر الطَّوائف والمرابطين : الدكتور إحسان عبّاس " ١٩٢ ـ ٢٠٠٣ م".

ـ تاريخ الأدب الأندلسي من الفتح وحتى السُّقوط : الدكتور منجد مصطفى بهجت .

ولـم أجـد ممـن حقّـب تـاريخ الأدب العربـي ، وفقـا للتقسـيم الإسـلامي متخطيا بذلك التَّقسيم السِّياسي ، إلّا في محاولة الدكتور محمود البستاني في كتابه " تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي " ، ويتتبع البستاني في تحقيبه الإسلامي الجديد تقسيم عصور الأدب بحسب عصور الأئمة في المذهب الأثني عشري ، مثل : الأدب في عصر النَّبي محمّد "صلّى الله عليه وآله" ، والأدب في عصر الإمام عليّ بن أبي طالب " عليه السَّلام " ، والأدب في عصر الحَسَنَين " عليهما السلام " ، وهكذا حتَّى الأدب في عصر الغيبة "عليه السَّلام" ، والأدب في عصر السُّفراء الأربعة ، والأدب في عصر الازدهار العلمي ، والأدب في العصر الوسيط.

ويُعلل البستاني تحقيبه للأدب العربي الإسلامي وفقا لمنهجه السَّالف الذِّكر فيقول :

(ولعلّ أهم ما حاولنا إبرازه في هذه الدِّراسة السَّريعة هو : العناية بأدب التّشريع الإسلامي " كتابا و سُّنة " فبالرغم من أنّ نصوص التّشريع الإسلامي تُغني في الدّرجة الأولى بالقِيم الفكرية المستهدفة أساسا ، إلّا أنّ قسما منها يتسم بالإعجاز الفني كالنّصِّ القرآني الكريم ، وقسما يتَّسم بالكمال الفنِّي "نصوص السُّنة" ، وقسما آخر يُراعي من خلاله أكثر من جانب فني ، ... ، بخاصة أدب أهل البيت "عليهم السَّلام" الذي تجاهله مؤرخو الأدب!)[٢٠].

---

[٢٠] تاريخ الأدب العربيّ في ضوء المنهج الإسلاميّ : ٦.

وأرى أنّ في محاولة البستاني أنّها ستفتح الباب أمام سائر المذاهب الإسلامية الأخرى ؛ لعرض نتاجات أدباءهم ، وسيصبح لدينا ساحة واسعة من النِّتاج الأدبي ، فيدخل النسَّيج الفقهي في المتون الأدبيَّة لسائر المذاهب الإسلامية ،ومن ثَمّ سيتبع ذلك حركة أدبية نقدية عريضة تُلقي بظلالها على ذلك النِّتاج الأدبي بشكل عام ، ومن الوفرة بمكان .

أمّا على مستوى التَّأليف فقد كانت محاولة الدكتور شكري فيصل[٢١] ، متحسِّسا أهمية التَّاريخ الأدبي في عصور الأدب العربي في وقت مبكر من النّصف الأوّل من القرن العشرين ، الَّتي عالج فيها ست نظريات ضمن " التَّاريخ الأدبي" للأدب العربي ، وهي :

١ـ النَّظريَّة المدرسيَّة ، ٢ ـ نظريَّة الفنون الأدبيَّة ، ٣ ـ نظريَّة الجنس ، ٤ ـ نظريَّة الثَّقافات ، ٥ ـ نظريَّة المذاهب الأدبيَّة ، ٦ ـ النَّظرية الإقليميَّة .

وفي سلسلة " ندوات ومناظرات " صدر عن جامعة محمّد الخامس في المملكة المغربيَّة ، وعن كليّة الآداب والعلوم الإنسانية في الرِّباط مجموعة بحوث كان أبرزها :

ـ مفهوم التَّحقيب وتاريخ الأدب ، للباحث : " أحمد بو حسن "[٢٢].

---

[٢١] مناهج الدِّراسة الأدبيَّة في الأدب العربي ، والكتاب في الأصل رسالة ماجستير / جامعة فؤاد الأول ، نُوقشت في : ١ / ٧ / ١٩٤٨ م.

[٢٢] إشكال التّحقيب : ٢٩.

قدّم الباحث بو حسن رؤيته في سبب اهتمامنا بـ " التَّحقيب " ، وعللَّ أنّ ذلك الاهتمام نابعا من نقطتين هما : ١ ـ الأهمية الإنسانية ، ٢ ـ والأهمية الإجرائية .[٢٣]

ووضّح بو حسن وظيفة التَّحقيب توضيحا علميا معقولا فيقول : (إنّ التَّحقيب هو نقد لما آل إليه تاريخ الأدب ، فتحديد الحقبة وتخصيصها وتسميتها وعزلها ، أو فرزها وتشييدها هو إظهار لها ، وإبراز لمكانتها وطاقتها وقدراتها المختلفة المميزة لها بمعنى : نقد لها في النهاية ، ولتاريخ التَّحقيب؛ وذلك ما يقوم به تاريخ الأدب بشكل أدق) .[٢٤]

وأخيرا يبقى مصنّف " ما التَّاريخ الأدبي " لـ " كليمان موازان " ترجمة وتعليق وتقديم الدكتور حسن الطَّالب[٢٥] هو أحدث المُصنّفات فيما اطَّلعت ، وفي مجال التَّاريخ الأدبي .

وربّ سائل يسأل : لماذا : " التَّاريخ الأدبي " فيُجيب الدكتور كليمان : (إنّ التَّاريخ الأدبيِّ شأنه شأن التَّاريخ في حاجة أن يُبنى؛ كي يُترجم بعد ذلك داخل بنيات ملموسة غدا فيها " التَّحقيب " تقطيع الوقائع في الزَّمن تنظيما أساسيا ومفروضا تكمن غاية هذه المساعي كلها في تأويل التاريخ ، ومنحه معنى ، ووجهة ، وقيمة معين.

---

[٢٣] المصّدر السّابق : ٢٩ . ٣٠.

[٢٤] المصّدر السّابق : ٣٣.

[٢٥] دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت / لبنان ، طرابلس / ليبيا ، ٢٠١٠ م.

... لماذا التَّاريخ الأدبي ؟

١ ـ من أجل بناء التَّاريخ الأدبيِّ ، ٢ . من أجل تنظيم الوقائع الأدبية ، ٣ ـ من أجل تأويل ـ تقويم ـ التَّاريخ الأدبي) .[٢٦]

وكانت النَّدوات والصَّالونات الأدبية ، الَّتي تُعقد هنا وهناك في البلدان العربية علاوة على المقالات الفردية على مواقع الشَّبكة العنكبوتية " النَّت " قد شاركت ، وقدّمت لموضوع " التَّحقيب " باقة علمية وضَّحت مفهومه ، وتعالقاته مع العلوم التي دخل فيها ، وفي أُطُره المنهجية ، وانساقه المتنوعة ، ومن هذه النَّماذج :

ـ نظرة حول التَّحقيب التَّاريخي المُعتمد بالمقررات المغربية[٢٧]، تحدّث فيها الباحث المغربي " حميد هيمة " عن " التَّحقيب التَّاريخي " لمادة التَّاريخ في المقررات المدرسية المغربية ، وذكر أنواعا من التَّحقيب ، ومنها : " التَّحقيب الأوروبي " الذي رفضه الباحث؛ بسبب أنّ هذا التقسيم يُعبّر عن التَّجربة الأوروبية ، ويُطابق مسيرتها التَّاريخية فإنّ إسقاطه على تاريخ شّعوب أخرى ينجم عنه خلط ومغالطات متعددة)[٢٨] ، ثم إنّ رفضه لهذا النَّوع من التَّحقيب يُعدّ رفضا منطقيا ، وأنا مع الباحث " حميد هيمة " في

---

[٢٦] ما التاريخ الأدبي : ١٥١.

[٢٧] الحوار المتمدن : ع / ١٨٩٣ ، في ٢٢ / ٤ / ٢٠٠٧ م ، محور دراسات ، وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات .

[٢٨] المصّدر السّابق : ١.

ذلـك الـرَّفض؛ وذلـك بـاختلاف الأرضـيات ، وتبـاين الأحـوال ، والأقطـار والرُّؤى ، والعكس جدّ صحيح .

ـ آلية تقسيم الأدب العربي إلى عصور أدبية : الأستاذ الدكتور كمال أحمد غنيم [٢٩] يصرّح الدكتور نبيل في بداية الحديث فيقول : (يظنُّ البعض أنَّ تقسيم العصور الأدبيَّة قد استقرَّ ، ولكنَّ الأمر خلاف ذلك ، ولعلّ أستاذنا الدكتور شوقي ضيف هو رائد تقسيم العصور). [٣٠]

أقول :

لقد أصاب المتحدِّث في النِّصف الأوّل من طرحه ، وأخفق في النِّصف الثَّاني منه ، نعم ، إنّ تقسيم العصور أمرٌ فيه خلاف ، وما زال ، أمّا أن يكون الدكتور شوقي ضيف رائدا لتقسيم العصور !!! فهذا غير صحيح بالدَّليل الذي قدّمت له في هذا المبحث ، وهو أنّ الدكتور ضيف ممن سار على خطى كارل بروكلمان ، وهناك حديث طويل ، ونقاش مفيد عن التَّحقيب .

ـ قضية المنهج في التَّأليف الأدبي الحديث في المملكة المغربيَّة : محمّد القاسمي .[٣١]

---

[٢٩] موقع الألوكة بإشراف الدكتور خالد بن عبد الرحمن الجريسيّ ، و الدكتور سعد بن عبد الله الحميد ، الصالون الأدبيّ ، للدكتور نبيل أبو علي ، غزَّة .

[٣٠] المصّدر السّابق : الصفحة نفسها.

[٣١] موقع المملكة المغربيّة ، دعم المشاريع الثقافية ، ٢٠١٦ م.

تحدّث الباحث المغربي محمّد القاسمي عن المنهج ،والتَّحقيب في الدِّراسات المغربية الَّتي لا تعدوا المنهج التَّاريخي ، وراح يُعدِّد المصنّفات المغربيّة بدءا من عام ١٩١١ م ، كما في" الوسيط في تراجم أدباء شنقيط " ، وانتهاءً بكتاب " الأدب المغربي " عام ١٩٦٠ م .

ـ ندوة التأصيل المغربي : [٣٢]

قدّم الباحث محمّد صالح يونس ضؤاي ورقة عمل موسومة بـ " التَّحقيب الثُّلاثي الغربي " ، وآثاره الفكريَّة على دارسي الحضارة الإسلاميَّة ، إشكالية التَّقليد ، وإمكانية التّأصيل ".

إنّ فلسفة العصور الأوروبية التَّحقيبية تقسّم على ثلاثة أنواع : ١ ـ فلسفة العصور القديمة ، ٢ـ فلسفة العصور الوسطى ، ٣ـ فلسفة العصور الحديثة .

وفحوى هذه الورقة مشابه للمقال الذي كتبه الباحث المغربي حميد هيمة السَّالف الذكر ، والموسوم بـ (نظرة حول التَّحقيب التَّاريخي المعتمد في المقررات المغربيَّة)[٣٣] ، والباحث محمّد ضؤاي ، رأى ما رآه الباحث المغربي هيمة في رفضه لهذا التَّقسيم الذي يُعبّر عن التَّجربة الأوروبية التَّحقيبية ، فهو بطبيعة الحال سيطابق مسيرتها التاريخية ، وعليه فإنّ

---

[٣٢] الذي أقامته جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية في السودان.

[٣٣] الحوار المتمدن : ع / ١٨٩٣ ، في ٢٢ / ٤ / ٢٠٠٧ م.

إسقاطه على تاريخ شعوب أخرى مثل الشعوب العربية ينجم عنه خلط ومغالطات كثيرة.(٣٤)

وسأكتفي بإيراد أسماء المقالات وأصحابها تفاديا للإطالة :

ـ مقال الباحثة المغربية فطنة بن ضالي عن التَّحقيب. (٣٥)

ـ أبو القاسم سعد الله مؤرخا ومفكرا من ١٩٣٠ ـ ٢٠١٣ م.

ـ الدكتور فاتح رجب قدارة .

ـ أبو القاسم سعد الله شيخ الجزائريين ، وأبرز روّاد المدرسة التَّاريخية الجزائرية ، وأحد أعمدة الفكر في الجزائر ، والعالم العربي الإسلامي الَّذين كونوا جيلا من الباحثين والمؤرخين في الكثير من البلدان ، والَّذين آثروا الكتابة التَّاريخية والفكرية الجزائرية المعاصرة بما أنتجه من مؤلفات غزيرة أرخّت للجزائر في عصور مختلفة.(٣٦).

---

(٣٤) نظرة حول التَّحقيب التَّاريخي المعتمد بالمقررات المغربية ، الحوار المتمدن : ع / ١٨٣٩ ، في ٢٢ / ٧ / ٢٠٠٧ م بتصرف .

(٣٥) الشَّبكة العربيَّة العالميَّة ، نقد ودراسات ، ٢٥ / أيار ، ٢٠١٢ م .

(٣٦) المجلة الجامعية ، ع ١٨ ، مج ٢ ، مايو ٢٠١٦ م ، مؤتمر جامعة الشَّهيد حمة لخضر ، بالوادي ، الجزائر ، يومي ١٣ . ١٤ ، ديسمبر ، ٢٠١٥ م.

المبحث الثاني :

لماذا التَّحقيب للعصر الموريسكيِّ؟

وبعد دراسة دامت أكثر من خمسة أعوام للتراث الموريسكي منذ العام ٢٠١١م ، وحتى العام ٢٠١٦م عام إعلان المشروع في تونس في أعمال المؤتمر الدُّولي الثَّامن عشر للدِّراسات الموريسكيَّة والأندلسيَّة ٢٠١٧م ، والبحث في مصادره الأصلية الَّتي توصلت إليها ـ بتوفيق من الله جلّ وعلا ـ سواء أكان داخل العراق في أثناء افتتاح معارض الكتب أم خارج العراق الَّتي جلبتها بنفسي من سورية ولبنان ، وتركية ، وتونس ، وبعض منها أُرسلت لي من مصر ـ ولله الحمد والمنَّة . وعلى هذا تجمعت لدي مكتبة موريسكية ساعدتني ؛ في النهوض بذلك المشروع .

عندما طرحت مشروعي عام ٢٠١٦م ، في موضوعة الأدب الموريسكي " شعرا ونثرا " ، وأنجزت فيهما بحثين أكاديميين :

- **الأوّل : الشِّعر الموريسكي ، أصوله ، وموضوعاته ، نماذج مختارة[٣٧].**
- **الثَّاني : النَّثر الموريسكي ، أصوله ، وموضوعاته ، نماذج مختارة [٣٨] .**

بعد أنّ أصبح للموريسكيين تراث أدبي وديني مثل سائر المجتمعات ناهيك عن ماهيته وموضوعاته الَّتي تشكّل على أساسه ، أقصد معاناة الموريسكيين من ممارسات ، وتحقيقات محاكم التفتيش وصولا إلى الطّرد

---

(٣٧) مجلة آداب المستنصريَّة ، ع ٧٦ ، السنة ٢٠١٦ م.

(٣٨) مجلة كليَّة التَّربيَّة ، الجامعة المستنصريَّة ، ع ٦ ، مج ٢ ، السنة ٢٠١٦م.

النهائي ١٦٠٩ م ، حقَّ على المعنيين أنْ يضعوا له حيزا زمنيا "حقبة وعصرا" ، مثل سائر الشُّعوب و المجتمعات الَّتي لها تراث فيحدد ذلك التُّراث ، وهي الحالة الطَّبيعية لمسار حياة الشُّعوب الفكرية والثقافية في مسار الحضارات الإنسانية ، والأدب مرآة الشَّعوب ، فهو يعكس ظروف ذلك المجتمع بصدق ، وعفوية ، وهكذا كان الأدب الموريسكي وثيقة ناطقة ؛ لتصوير المآسي التي تعرّض لها الموريسكيون من اضطهاد ، وإبادة جماعية كبيرتين لم يعرف التاريخ مثيلا في التَّطهير العرقي والدِّيني على أيدي محاكم التَّفتيش الجائرة !

بعد تسليم غرناطة سنة " ٨٩٧ هـ ـ ١٤٩٢ م " لفرناندو ، وزوجه إليزابيث ، وعلى هذا الحال استتبَّ الوضع بغض النّظر عن الكيفية الَّتي سُلِّمت بموجبها مملكة غرناطة ، والخيانات الَّتي صاحبتها في التَّسليم المُخْزي من تاريخ المسلمين ، وما سقطت غرناطة بقدر سقوط أقنعة الحُكام ، والبطانة المتهرئة المحيطة بالملك أبي عبد الله الَّتي ساومت على تُراب غرناطة المقدّس .[٣٩]

---

[٣٩] ينظر ، فصول من تاريخ الأندلس ، ترجمة وتعليق ، الدكتور عبد الفتاح عوض ، ١٢٩ ـ ٢٥١ ، تعرض هذه الصفحات كيف كانت حقيقة سقوط غرناطة " بحسب المؤلف " في ضوء وثيقة غير منشورة ، ومخاوف أبي عبد الله ، ومسألة الرهائن والبعثة السرية ، ورفع الصليب والبيارق ، وغيرها من المآسي التي يندى لها جبين كل مسلم غيور على قداسة تراب وطنه ! وما جرّ ذلك من ويلات دفع ثمنها غاليا الشعب الموريسكي المسلم الذي أُجبر حتى على تغيير اسمه ورسوم حياته ، وينظر : الجهل المقدّس زمن دين بلا ثقافة ، أوليفيهروا ، ترجمة : صالح الأشمر : ١٣١. ١٣٣ ، تتر ، وموريسكيون .

أصبح التُّراث الأدبي الموريسكي على كثرته من حيث الكمِّ ، ومعتبرا من حيث المضمون ، فأخذ يُشكّل " ظاهرة أدبية " لا يمكن التَّغافل عنها من لدن المستشرقين الإسبان ؛ لأنّهم أوّل من حقَّق التُّراث الموريسكي ، وبضمنه الأدب الموريسكي ، فضلا عن المختصين بالأدب الأندلسي في عالمنا العربي ، وبخاصَّة بعد أن أصبح محققا ومترجما .

درس الباحث " إيتمارإفن " " الظّاهرة الأدبيّة " من " منظور نسقي ".

ابتداء لابد من تعريف " الظّاهرة الأدبيَّة " و " النّسق ".

الظاهرة الأدبية :

(١ . تُحيل " الظّاهرة الأدبيّة " على حدث أدبي ، أو قضية ما .

٢ ـ وتفترض " الظّاهرة الأدبيّة " انسجاما تيميا ؛ لظهورها ورواجها خلال لحظة تاريخية ما .

٣ ـ تعمل " الظاّهرة الأدبيّة " على تعميق الوعي بحالة ، أو دعوى تتعدى حدودها الإقليمية).[٤٠]

والنّسق :

(هو شبكة من العلاقات القائمة سواء بين النّصوص داخل عالم الأدب ، أو بين النّصوص ، وممارسات أخرى تنتمي إلى عوالم خارج مجال الأدب)[٤١].

---

[٤٠] معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : ١٤٤ .

[٤١] العرب وتاريخ الأدب ، نموذج كتاب الأغاني ، أحمد بو حسن ، دار توبقال ، للنشر ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٣ م.

بعد استقصاء ، وإحصاء مادة الأدب الموريسكيّ من مظانّه أصبح مادةً صالحة تستحق البحث ، والتحليل ، فضلا عن أن يكون لها موقع ضمن عصور الأدب الأندلسي بخاصَّة ، والأدب العربي بعامَّة ، وليس كما أُطلق على " عصر بني الأحمر النّصريين " آخر عصور الأدب الأندلسيّ ، من هنا كان حريّا بنا أن نُعطي لهذا الأدب حقه ، واستقلاله ، وجعله آخر عصور الأدب في الأندلس ؛ لأنّ بوجود العصر الموريسكي ، وهو المقصود وفقا للمعطيات الأدبيّة والتَّاريخيّة الَّتي تكوَّنت لديستكون صورة المجتمع الأندلسي قد اكتملت من الفتح ، وحتى الطّرد النّهائي ، وليس التَّسليم ؛ لأنَّنا لا يمكن أن نستوعب من النَّاحية العقلية أن شعبا مثل الشّعب الأندلسي يختفي بمجرد أن وقِّعت " معاهدة تسليم غرناطة " ، ويندمج مع المجتمع النّصرانيّ الَّذي كان محكوما قبل أشهر من تاريخ توقيع المعاهدة ، وقُبيل نقض الاتفاقية ، وعلى هذا التأسيس لابدَّ للشّعب الذي يُعدُّ بإحصائيات الإسبان بثلاثة ملايين ونصف أندلسيّ أن تُنْسى هويته الدِّينيّة واللغوية والأدبيّة ، وجملة الطّبائع الانثروبولوجيّة" فهل هذا معقول ؟

وعن بقاء الإسلام حيًّا بين ظهراني الموريسكيين ، تروي الباحثة الإسبانية المعاصرة أديبة روميرو[٤٢] رواية حيّة عن إسلام والدها عبد الصّمد ، إذ روت عنه أنّ جدَّته لاحظت بعض الحركات التي كان يؤديها عبد الصّمد بعد إسلامه ، فسألته عنها فأجاب : إنّها حركات الصّلاة

---

[٤٢] أستاذة التاريخ الأندلسي ورئيسة قسم البحث وعلم المخطوطات في كلية الدراسات الأندلسية في غرناطة ، والعاملة في إدارة مشروع المكنز الإسلامي في دار المخطوطات في مصر .

في الدّين الإسلامي ، فأخبرته أنّ جدّها كان يؤدي هذه الحركات في قبو دارهم بعد منتصف الليل ! وكانت الجدّة تراقبه من كوَّة ذلك القبو ، وهذا إنْ دلّ على شيء فإنّما يدلّ على إصرارهم على البقاء على دينهم الإسلامي بالرغم من وحشية محاكم التفتيش ، وقسوتها " [٤٣] ، وعليه يجب إدخال مادة الأدب الموريسكي ضمن عصور الأدب الأندلسيّ في مرحلة الدِّراسة الإعدادية ، والدِّراسة الأكاديمية " البكالوريوس " ؛ إتماما للفائدة ، وإعطاء هذا الأدب مكانته الَّتي يستحقها من الدِّراسة تمهيدا لإدخاله في الدِّراسات العليا ، وفي هذا المضمار يرى النّاقد الفرنسي " رولان بارت " ١٩١٥ ـ ١٩٨٠م :

" إنّ الأدب لا وجود له إلَّا عند تدريسه[٤٤] ، وهذا رأي صائب إلى حدٍّ كبير ، وهو ما أسعى إليه من أنْ يكون الأدب الموريسكي مادة مدرسيَّة تتعرَّف عليه شريحة الطَّلبة بكل أطوارها الدِّراسيَّة ، وأرى في مقولة " بارت " : إنّ الأدب حين يكون مقررا دراسيا ، هو عين الصَّواب في حفظ تراث أيَّ أمَّة من الأُمم ، ويُسمي " رافائيل بيفيدال" مجمل المعارف

---

[٤٣] برنامج إضاءات على قناة الجزيرة ، موقع اليوتيوب ، تقديم : تركي الدخيل ، في لقاء مع الباحثة الإسبانية : أديبة ابنة المفكر الإسباني عبد الصّمد روميرو انطونيو روميرو رومان ، وبعد إسلامه صار اسمه عبد الصمد روميرو ، ١٩٥٣ م ما زال حيّا : شخصية فكرية ، ومدينة إسبانية ، مستشار كبير بالايسيكو ، ومسؤول اللجنة الثقافية في المنظمة خارج العالم العربي ، أسس كليّة للدراسات الأندلسية شمال غرناطة ؛ للحفاظ على التراث الأندلسي .

[٤٤] تدريس الأدب ، منشورات بلون باريس ، ١٩٧٠م ، ١٧٠ .

الإنسـانية بــ " الأمجـاد الصّـغيرة " وأسـماء متفرقـة حـين يتدارسـها التّلميـذ ، ويتعلمهـا فيقـول : (تتـراكم أمجـاد صـغيرة ، وأسـماء متفرقـة فـي الصـحف والمجـلات ، والكتــب المدرســيّة ، يتــدارس جمهــور عــالم ، ومثــابر نــصّ " لـوكليزو " ... { ف } يحمل النّاقد أوراقه إلـى المحرر ، والمحرر ينشر ، والجمهور يتفحص ، والاسم يتكوّن ، والتلميذ يتعلّم) [٤٥]

على حين يصف " جيونوا " كيف تُخلّد المعارف فيقول : (يُصبح كاتبٌ ما مخلّدا بفضل الكتب المدرسيّة ، ففي الكتاب المدرسيّ تُنشر صفحة لرجل عظيم إنّها في غالب الأحيان صفحة مضحكة يُحللها التِّلميذ ، ووصف تافه لقروي ، أو صياد مخالف)[٤٦] ، ومن بعد ذلك يتوسَّع البحث؛ ليرتقي إلى أنْ يكون مادة علمية في الدِّراسات العليا كما ذكرت سابقا ، وعليه سيكون تقسيم العصور الأندلسية الجديد وفقا لمشروعنا يدخل في إضافة عصر جديد لعصور الأندلس ، أو بغض النَّظر عن تسلسل العصور " يختلف بعض الباحثين في عدد العصور " حتى نصل إلى عصر بني الأحمر ، وعليه فالمهم عندنا هو أنَّ عصر " بني الأحمر " ليس خاتمة الأندلس ، بل سيكون " العصر الموريسكيّ " نهاية الأندلسيين المُنصّرين قهرا وقسرا ،بعد عصر بني الأحمر من النّصريين :

---

[٤٥] بيت الكتابة ، منشورات seuil ، باريس ، ١٩٧٦م ، وينظر ما في التاريخ الأدبي : ١٤٩ ، بعض المقولات التي استشهد بها كيمان موزان ، بوصفها مقدمات معرفية ورمزية لقسم من الفصول ، ولم يذكر الصفحة .

[٤٦] ينظر ما في التاريخ الأدبي : ١٤٩ ، بعض المقولات التي استشهد بها كيمان موزان ، بوصفها مقدمات معرفية ورمزية لقسم من الفصول ولم يذكر الصفحة .

١ . عهد الفتح : ٩٢ ـ ٩٥ هـ

٢ ـ عهد الولاة : ٩٥ ـ ١٣٨ هـ

٣ـ الخلافة الأُمويَّة : ١٣٨ ـ٤٢٢ هـ

٤ ـ عصر الطَّوائف : ٤٢٢ ـ ٤٨٤ هـ

٥ ـ عصر المرابطين : ٤٨٤ ـ ٥٣٩ هـ

٦ـ عصر الموحدين : ٥٤٠ ـ ٦٣٢ هـ

٧ـ عصر بني الأحمر : ٦٣٢ ـ ٨٩٧ هـ

٨ ـ العصر الموريسكي : ٨٩٧ ـ ١٠١٨ هـ ـ ١٤٩٢ . ١٦٠٩ م .

التَّوصيات والنتائج :

١- إنّ مشروع مثل هذا به حاجة إلى جهود جماعية ، وليست فردية كما حصل معي ، ودورية فيما يتعلق بالتُّراث الموريسكي بعامَّة ، والأدب الموريسكي بخاصة ؛ لاستثمار الحوارات المنبثقة عن البحوث المشاركة في المؤتمرات ، والنَّدوات ، وورش عمل تُخصص لموضوعة " التَّحقيب " ، وما يتمخَّض عنها من حوارات مثمرة ، وبنّاءة تؤدي إلى إغناء التَّحقيب ، والخروج بنتائج تُغنيه ، وترجع بالفائدة على المستوى المعرفي العربي بعامة .

٢ - إعادة النظر في آلية تقسيم العصور الأدبية الأندلسية من النّاحية التَّحقيبية ؛ وذلك بجعل العصر الموريسكي " خاتمة العصور الأدبية في الأندلس ٨٩٧ ــ ١١٠٨ هـ / ١٤٩٢ــ ١١٠٩ م ،مقرونة بقرار الطّرد النهائي .

٣ - حثّ الأساتذة في الحقل الأكاديمي فضلا عن الدّارسين والمهتمين بالأدب العربي في عصوره المختلفة ابتداء من عصر ما قبل الإسلام حتى نهاية العصر الحديث ، بل المعاصر بضرورة إعادة تحقيبه من جديد ، وفقا لمعايير جديدة ، وما يُطرح من نظريات جديدة في هذا المضمار .

٤ - العمل على فتح " توأمة " مع الجامعات الإسبانية الَّتي تُعنى بالأدب الأندلسي بعامَّة ، والأدب الموريسكي بخاصَّة ؛ لتطوير الدِّراسات الموريسكية.

٥ ــ تقديم العون لأساتذة الأدب الأندلسي في تعلُّم اللغة الإسبانية؛ لحاجتهم المُلِحَّة لهذه اللغة .

المصـادر :

أ

– إشكال التَّحقيب ، تنسيق دكتور محمّد مفتاح ، محمّد بو حسن ، مط فضالة المحمّدية ، ط ١ ، الناشر : كليّة الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط ، المملكة المغربية ، ١٩٩٦م .

ب

– بيت الكتابة : روفائيل بيفيدال ، منشورات seuil ، باريس ، ١٩٧٦م .

ت

– تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن مرتضى الزَّبيدي الحسيني ، " ت هـ " تح : نواف الجرّاح ، مراجعة : الدكتور سمير شمس ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

– تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجّار ، جامعة الدول العربية ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، د . ت .

– التَّحقيب والايدلوجيا : قراءة في الخطاب النقدي ، محمّد مفتاح ، الدكتور محمّد قراش ، رؤية للنشر والتوزيع ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠١٥م .

– تدريس الأدب : رولان بارت ، منشورات plon باريس ، ١٩٧٠م .

ج

– الجهل المقدّس : زمن دين بلا ثقافة ، أوليفيا روا ، تر : صالح الأشمر ، ط٣ ، دار السَّاقي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٥ م .

ع

– العرب وتاريخ الأدب ، نموذج كتاب الأغاني ، أحمد بو حسن ، دار توبقال للنشر ، الدَّار البيضاء ، ٢٠٠٣ م .

ف

– فصول من تاريخ الأندلس ، ترجمة وتعليق : عبد الفتّاح عوض ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، د.م ، ١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م .

م

– ما التاريخ الأدبي ، الدكتور كليمان موزان ، ترجمة وتقديم وتعليق : الدكتور حسن الطالب ، تقديم حسين علوش ، ط١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٠ م .

– المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي : الدكتور محمّد مفتاح ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٩٩ م .

– معجم المصطلحات الأدبية ، بول آرون ، دينيس سان ، وجاك ، آلان فيالا ، ترجمة : محمّد محمود ، ط١ ، مجد المؤسسة الجامعية ، للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١٢ م .

– معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، عرض وتقديم وترجمة : سعيد علوش ، ط١ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، سوشبريس ، الدار البيضاء ، ١٩٨٥ م .

– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضعه : محمّد فؤاد عبد الباقي ، منشورات ذوي القربى ، ط٢ ، مط أميران ، إيران . ١٤٢٣ هـ . ق . ١٣٨١هـ . ش .

– مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي ، عرض ونقد واقتراح ، شكري فيصل ، ط٤ ، دمشق ، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥ م .

الدوريات

– مجلـة آداب المستنصـرية ، ع ٧٦ ، السـنة : ٢٠١٦ م ، الشِّـعر الموريسكي ، أصوله ، وموضوعاته ، الدكتور قصي عدنان سعيد .

– مجلـة كليّـة التَّربيـة ، ع ٦ ، مـج ، ٢ ، السـنة ٢٠١٦ م ، النَّثـر الموريسكي ، أصوله ، وموضوعاته ، الدكتور قصي عدنان سعيد .

– المجلـة الجامعيـة ، ع ١٨ ، مـج : ٢ ، مـايو ، ٢٠١٦ م ، مـؤتمر جامعة الشَّهيد حمة لخضر ، بالوادي ، الجزائر ، أبو القاسم سعد الله مؤرِّخا ومفكرا من ١٩٣٠ ـ ٢٠٠١٦ م ، الدكتور فاتح رجب قدارة .

إضافة الشيء إلى نفسه في
ضوء مناهج الكوفيين والوصفيين

المدرس المساعد
إسماعيل غريب شريف الجاف
كلية التربية – جمجمال / جامعة جرمو

الملخص :

ربمّا استطالت حجةٌ ما واستعرضت في حقبة من الزمن ، وتم لها الترويج والتبهيج لأسباب ظاهرها استدلال منطقي معافى من كلِّ شائبة وعائبة إلّا أنَّ التسليم لكلِّ ظاهر مؤسس على المنطق ضربٌ من المجازفة والتهوّر في ضوء تطور أدوات الاستدلال لكلِّ زمن ؛ وهي أدوات قد تُخرج ما كان منطقيا إلى اللامنطق ، وتدحض الحجة الأولى بأخت لها بعد فحص دقيق فتميط اللثام عن شوائب وعيوب ، فيستأنف حكم جديد في براءة رهطٍ واتهام آخرين ، وطيّ صفحة وفتح أخرى ، وللتاريخ لسان .

في هذا المبحث نتناول مسألة واحدة من (١٢١) مسألة تناولها صاحب الإنصاف (أبو البركات ت ٥٧٧هـ) ، وهي مسألة (إضافة الشيء إلى نفسه) (المسألة/ ٦١) ، التي لم يجزها أبو البركات ، وردّها أسوةً بأصحابه البصريين ، وبكلماتهم – كما يقول- فأخرج المسألة من جواز الكوفيين إلى دائرة عدم جوازها على منحى البصريين بعبارة (لا يجوز)! وفي هذا البحث ، وعلى محط العود إلى البدء في مخاطبة الموروث تعرض المسألة من جديد ، وعرضها على محكمة السماع والتأويل

وشـهادة المـنهج الوصـفي ؛ لبيـان حقيقـة تلـك الحجـة التـي اسـتطالت واستعرضت وطالت الكوفيين بعدم الجواز لمعرفة مدى إصابة هذا الحكم الذي نتلمسُ فيه كلّ الإجحاف من صاحب الإنصاف مع جلّ تقديرنا لكلّ رموز موروثنا الفكري من البصريين ، هذا الموروث الذي لا ينضب ؛ وإنّما هو المحرّك الذي أُقيم على الإخلاص ليستمر بالعطاء من دون أن يحترق على الرغم من طراوته الفكرية المستمرة ، وديمومته في تحريك أدوات الاستدلال والاستقرار ، وتقدح شرارة في كل محفل ؛ فهو كثير الرماد .

الإضافة في العربية :

مـن البداهـة أن نقـدّم تعريفـا عـن مصـطلح الإضـافة أو حـدّها عنـد الدارسين ، إذ أوردوا في تعريفها أنّها: (لغة الإسناد والإلصاق)[١] ، أو ضمّ (اسم إلى اسمٍ ، ويسمّى الأول المضاف والثاني المضاف إليه ، ويصيران كالاسم الواحد)[٢] ، ومثل هذا التعريف لا يبتعد كثيرا عن الأصل اللغوي في إمالة شيء إلى آخر وتقريبه بقولهم: (أنزلته عليك ضيفا وأَمَلْتَهُ إليك وقرّبته)[٣] ، ولذلك قيل : (هو مُضاف إلى كذا أي ممالٌ إليه)[٤] ، وكذلك

---

[١] شرح الحدود النحوية: ١٣٤.

[٢] شرح ملحة الإعراب: ٧٠

[٣] لسان العرب ٨/ ١٠٨.

[٤] نفسه ٨/ ١٠٨.

بمعنى الدنو (وضاف إليه : مال ودَنا)[٥] ، ثم المضاف (الملصق بالقوم الممال إليهم ، وكلُّ ما أُميلَ إلى شيء وأُسنِدِ إليه ، فقد أضيف ؛

قال أمرؤ القيس :

فلمّا دَخَلْناهُ أضفنا ظُهورنا إلى كلّ حاريٍّ تثيبٍ مُنَطَّب[٦]

أي أسندنا ظهورنا إليه وأمْلناها ، ومنه قيل للدعيّ مُضاف ؛ لأنّه مُسند إلى قومٍ ليس منهم)[٧] ، وفي الحديث (مُضيفٌ ظهره إلى القُبَةِ أي مُسنِدُهُ)[٨] ، وكذلك (الملزق بالقوم)[٩] ، وهكذا نجد الإسناد والإلصاق لا يخرج عن معنى الإضافة لغةً واصطلاحا ، ومن حروف المعاني ما يحمل الدلالة ذاتها مثل الباء (حرف إضافة) في قولك : ورت بزيدٍ إذ أضفت مرورك إلى زيدٍ بالباء[١٠] ، وكذلك لا تخرج الإضافة عن دلالة القرب والدنو في ضافت الشمس (دنت للغروب وقرُبت)[١١].

وبعدما أفاد المعنى المعجمي للإضافة دارسي النحو ومنظريه ، ذكر دارسو النحو أشكالا من هذا الإسناد الملصق أو الضمّ الذي يُصيّر المضاف والمضاف إليه كأنهما اسم واحد ؛ فذكروا الإضافة المحضة ، وذكروا

---

[٥] نفسه ٨/ ١٠٨.

[٦] نفسه ٨/ ١٠٨.

[٧] ديوانه: ٤٧.

[٨] لسان العرب ٨/ ١٠٩.

[٩] نفسه ٨/ ١٠٩.

[١٠] نفسه ٨/ ١٠٩.

[١١] نفسه ٨/ ١٠٩.

من تعريفاتها (يتعرف بها المضاف إن كان المضاف إليه معرفة ويتخصص إن كـان نكـرة)[١٢] ، وذكـروا غيـر المحضـة التـي (لا تفيـد تخصيصـا ولا تعريفا)[١٣] ، أما عن الجمع بين الألف واللام والإضافة ، فقالوا بعدم جوازه إلّا في (اسم الفاعل ، والمفعول بمعنى الحال أو الاستقبال والصفة المشبهة)[١٤] ، وضعّفوا ما أورده أو زيد الأنصاري حكاية عن العرب (الثلاثة الأثواب)[١٥] ، وعدّوا الألف واللام في المثال زائدةً[١٦] ، وحكي من الأسماء (ما يلزم الإضافة ومنها ما لا يلزم الإضافة)[١٧].

وحقيق بالذكر أنَّ للإضافة وظيفة وفائدة في عملية الإسناد والإلصاق والدنو والقرب والضمّ ، نحو: (التعريف والتخصيص ، والتخفيف ، أو رفع القبح ،وتصبح بأدنى ملابسة ، والأصحّ أنَّ الأول هو المضاف ، والثاني المضاف إليه ، وأنَّ العامل في الثاني الجرّ...)[١٨] ، وهذا العامل إما (في) أو (مِنْ) أو (اللام)[١٩] ، ففي (غلامُ زيدٍ) جاز الإتيان باللام وتنوين الاسم

---

(١٢) المقرب ١/ ٢٠٩.

(١٣) المصدر نفسه ١/ ٢٠٩.

(١٤) نفسه ١/ ٢٠٩.

(١٥) نفسه ١/ ٢٠٩ – ٢١٠ ، وأبو زيد الأنصاري صاحب كتاب (النوادر في اللغة).

(١٦) نفسه ١/ ٢١٠.

(١٧) نفسه ١/ ٢١٠.

(١٨) شرح الحدود النحوية : ٣٥.

(١٩) النحو الوافي ٣/ ١٦.

الأول ، بقولك : (غلامٌ لزيدٍ) وفي (ثوب خزّ) بقولك : (ثوبٌ من خزّ) وفي (ماء النهر) بقولك : (ماء في نهرٍ)[٢٠].

ومما له صلة بالإضافة هو جواز إضافة الاسم إلى الظاهر والمضمر[٢١] ، إلّا (ذو ، ذات وتثنيهما ، وجمعهما ، فإنّه لا يضاف شيء من ذلك إلّا إلى الظاهر ، ولا يضاف إلى المضمر إلّا في ضرورة)[٢٢] ، أما (كلا ، وكلتا) فهما للتوكيد إن أضيفا إلى الضمير (كلاهما ، وكلتاهما) ويضافان إلى مثنى معرفة مع الظاهر (كلا الرجلين ، وكلتا المرأتين)[٢٣].

نقول: حين استقرأ النحاة كلام العرب – ولاسيّما – في مسألة الإضافة ظهرت سياقات من كلام اختلفوا في تعليلها واستنباط الأحكام منها . ومن هنا انقسموا على فريقين ، فريق عدّ المسألة إضافة من غير تأويل ، وعدّها فريق آخر إضافة بالتأويل. ومن هنا صار الفريق الكوفي يقول: الإضافة من باب إضافة الشيء إلى نفسه ، أما الفريق البصري فردّ المسألة بعدم جواز إضافة الشيء إلى نفسه ، وقدّم تأويلا حتى يستقيم ذلك السياق لمخالفته قاعدة النحويين في تناول هاتيك المسائل ، وأعني البصريين حصرا !

---

[٢٠] المقرّب ١/ ٢١٠.

[٢١] نفسه ١/ ٢١٠ – ٢١١.

[٢٢] الموجز في النحو: ٦٠.

[٢٣] سبك المنظوم وفك المختوم: ٦٥.

مقالة صاحب الإنصاف أبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ):

(ذهب الكوفيون إلى أنّهُ يجوز إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف (اللفظان ، وذهب البصريون إلى أنّه لا يجوز)[٢٤] ، وجاء بأدلة الكوفيين من كتاب الله تعالى وكلام العرب شعرا ونثرا[٢٥] ، وردّ كلام الكوفيين على الرغم من شواهد الاستدلال من السماع بقوله : (وأما الجواب عن كلمات الكوفيين: أما ما احتجوا به فلا حجة لهم فيه ؛ لأنّه كلّه على حذف المضاف إليه وإقامة صفته مقامه : أما قوله تعالى : {إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ } فالتقدير فيه : حقّ الأمر اليقين ، ...)[٢٦] ، أما (مسجدُ الجامع) فالتقدير فيه : مسجد الموضع الجامع)[٢٧] ، وهكذا أخذ يؤول كلّ شواهد الكوفيين ؛ ليخلص إلى نتيجة (فإذا كان جميع ما احتجوا به محمولا على حذف المضاف إليه وإقامة صفته مقامة على ما بيّنا لم يكن لهم فيه حجه)[٢٨].

منهج الكوفيين في تناول المسألة

بدءا ما ذهب إليه صاحب الإنصاف من خلال عبارة (ذهب الكوفيون...) عبارة تحتاج إلى الدّقة في هذا التعميم أو إطلاق العموم ، إذ ما روّج في مسألة (إضافة الشيء إلى نفسه) ، هي مسألة روّج لها أبو زكريا الفراء (ت٢٠٧هـ).

---

[٢٤] الإنصاف ٢/ ٤٣٦ (المسألة/ ٦١).

[٢٥] نفسه ٢/ ٤٣٦ – ٤٣٨(المسألة/ ٦١).

[٢٦] نفسه ٢/ ٤٣٨ (المسألة/ ٦١).

[٢٧] نفسه ٢/ ٤٣٨ (المسألة/ ٦١).

[٢٨] نفسه ٢/ ٤٣٨ (المسألة/ ٦١).

حين تعرّض الفراء لتفسير آيات القرآن الحكيم في كتابة (معاني القرآن) ؛ استوقفته آيات أو عدد من الآيات ، فعدّ ذلك من باب الإضافة ، ومن باب إضافة الشيء إلى نفسه ، مثال ذلك ؛ ففي قوله تعالى: { وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ }[الأنعام: ٣٢] ، ذكر الفراء : (جعلت الدار هاهنا اسما وجعلت الآخرة صفتها ، وأضيفت في غير موضع ، ومثله في قوله : {إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ }[الواقعة: ٩٥] ، والحق هو اليقين ، كما أنَّ الدار هي الآخرة بارحة الأولى والبارحة الأولى ، ومنه يوم الخميس ، وليلة الخميس ، فإذا اتفقا لم تقل العربُ هذا حق الحق ، ولا يقين اليقين ؛ لأنَّهم يتوهمون إذا اختلف في اللفظ أنّهما مختلفان في المعنى)[٢٩] ، ويستمر الفراء في إبراز المسألة حين يتعرض لتفسير آيات من هذا النمط إضافة الشيء إلى نفسه على شاكلة تفسيره قوله تعالى : { جَزَاء الْحُسْنَى }[الكهف: ٨٨] ، ذكر الفراء: وتكون الحسنى الجنة ، تضيف الجزاء إليها ، وهي هو ، كما قال : { حَقُّ الْيَقِينِ }[الواقعة: ٩٥] ، { دِينُ الْقَيِّمَةِ } [البينة: ٥] ،{ وَلَدَارُ الآخِرَةِ }[يوسف: ١٠٩][٣٠] ، { أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ }[النمل: ٧] ، ذكر الفراء : (نوّن عاصم والأعشى في الشهاب والقبس وإضافة أهل المدينة (بشهاب قبس) ، وهو بمنزلة قوله ، { وَلَدَارُ الآخِرَةِ }[يوسف: ١٠٩] ، مما يضاف إلى اسمه إذا اختلف أسماؤه)[٣١].

---

[٢٩] معاني القرآن ١/ ٣٣١ ، ٢/٥٥ – ٥٦ ، ١٥٩.

[٣٠] نفسه ٣/ ١٠٨ – ١٠٩ ، ١٥٦ ، ٢٨٧ ، ٤١.

[٣١] نفسه ٢/ ٢٨٦.

{ وَحَبَّ الْحَصِيدِ }[ق: ٩] قال الفراء : (والحبّ هو الحصيد ، وهو مما أُضيف إلى نفسه مثل قوله : {إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ }[الواقعة: ٩٥] ، ومثله { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ }[ق: ١٦] ، والحبل هو الوريد بعينه أُضيف إلى نفسه لاختلاف لفظ اسمه)[٣٢].

أدلة السماع عند الفراء :

لم يجتهد الفراء من الكوفيين في إبراز المسألة ، ولم يطلقها جزافا من عنده ؛ وإنّما في موضوعات من معانيه تناول المسألة بأدلة من السماع ، وعلى النحو الآتي :

١) القراءات القرآنية :

-في تفسير قوله تعالى : { كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ }[القمر: ٣١] ، قال الفراء : (وقرأ الحسن وحده[٣٣] ، كهشيم المحتظر ، فتح الظاء ، فأضاف الهشيم إلى المحتظر ، وهو كما قال : {إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ }[الواقعة: ٩٥] ، وكما قال : { وَلَدَارُ الآخِرَةِ } [يوسف: ١٠٩] ، فأضاف الدار إلى الآخر ، وهي الآخرة)[٣٤] ، وفي تفسير قوله تعالى: { يَوْمِ الْجُمُعَةِ }[الجمعة: ٩] ، قال الفراء : (خفضها الأعمش فقال : الجمعة ، وثقّلها عاصم وأهل الحجاز ، وفيها لغة ، جُمعَه ، وهي لغة لبني عقيل ،

---

[٣٢] نفسه ٣/ ٧٦.

[٣٣] وكذلك قرأ أبو حيوة وأبو السمال وأبو الرجاء وأبو العالية وأبو عمرو بن عبيد وقتادة . ينظر: البحر المحيط ٨١/١ ، والمحتسب ٢٩٩/٢.

[٣٤] معاني القرآن ١٠٨/٣ – ١٠٩.

ولو قرأ بها كان صوابا والذين قالوا : الجمعة : ذهبوا بها إلى صفة اليوم أنّه يوم الجمعة ، كما تقول : رجلٌ ضُحَكَة الذي يكثر الضحك)[٣٥].

-وفي تفسير قوله تعالى : { مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ }[الدخان: ٣٠] قال الفراء: (وفي حرف عبدالله : (من عذاب المهين) ، وهذا مما أضيف إلى نفسه لاختلاف الاسمين مثل قوله: { وَلَدَارُ الآخِرَةِ } [يوسف: ١٠٩] ، ومثل قوله: {دِينُ الْقَيِّمَةِ }[البينة: ٥] ، وهي قراءة عبدالله (وذلك الدين القيمة)...)[٣٦].

وهكذا نجد الفراء في سياق هذه الآيات الكريمة لمع بوضوح إلى وقوع هذا النوع من الإضافة (إضافة الشيء إلى نفسه) ، ومن خلال قراءة عبدالله ابن مسعود والأعشى والحسن البصري ، واستنبط الحكم وقعّد عليه المسألة ، وإذا ما احتج بالحسن البصري وحده لكفاه حجّة لمقالة الشافعي فيه (لو أشاءُ أقول : إنَّ القرآن نزل بلغة الحسن لقلت ، لفصاحته)[٣٧]. نقول : وفي كلّ ما جاء من آيات كريمة لجأ البصريون فيها إلى التأويل على شاكله ما ينقل ويؤول صاحب الإنصاف :

-قوله تعالى : {إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ } [الواقعة: ٩٥] ، (فالتقدير فيه : حقّ الأمر اليقين)[٣٨].

---

[٣٥] نفسه ٣/ ١٥٦.

[٣٦] نفسه ٣/ ١٥٦.

[٣٧] طبقات القراء ١/ ٢٣٥.

[٣٨] الإنصاف ٢/ ٤٣٨ (٦١المسألة/ ٦١).

-قوله تعالى : { وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }البينة: ٥ ، (أي دينُ الملّةِ القيمة)[٣٩].
-قوله تعالى : { وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ }[يوسف: ١٠٩] ،(فالتقدير فيه : ولدارُ الساعةِ الآخرة)[٤٠].
-قوله تعالى : { وَحَبَّ الْحَصِيدِ } [ق: ٩] ، (أي حَبَّ الزرعِ الحصدِ)[٤١].

٤) كلام العرب :

كذلك لجأ الفراء الكوفي إلى تعضيد المسألة بكلام العرب من نثر ونظم ، وقد نثر في سياق تفسير الآيات ما استحضره من كلام العرب ، وهو المنثور الموافق لسنن كلام العرب في مسار وكلام أبي منصور الثعالبي[٤٢]. ومن أمثلة الفراء : (أتيتك البارحةُ الأولى والبارحة الأولى ، ومنه يوم الخميس ، وليلة الخميس)[٤٣] ، مواصلا القول: (وجميع الأيّام تضاف إلى نفسها لاختلاف لفظها : وكذلك شهر ربيع)[٤٤] ، غير أنَّ هذا المنثور على سنن العرب ، وسواه من أمثلة أخضعه صاحب الإنصاف إلى التأويل على شاكلة ردّه على الكوفيين : (وأما قولهم (صلاة أولى) فالتقدير فيه : صلاة الساعة الأولى ، وأمّا قولهم : (مسجد الجامع) فالتقدير فيه : مسجد الموضع

---

[٣٩] نفسه ٢/ ٤٣٨ (٦١المسألة/ ٦١).
[٤٠] نفسه ٢/ ٤٣٨ (٦١المسألة/ ٦١).
[٤١] نفسه ٢/ ٤٣٨ (٦١المسألة/ ٦١).
[٤٢] فقه اللغة ، وسرّ العربية : ٢٥٧.
[٤٣] معاني القرآن ١/ ٣٣٠ – ٣٣١.
[٤٤] نفسه ٢/ ٥٥ – ٥٦.

الجـامع ، وأمّـا قـولهم : (بقلـة الحمقـاء) فالتقـدير فيـه : بقلـة الحبـة الحمقاء...)[٤٥].

ولم يكتفِ الفراء بهذا المنثور الموافق لسنن كلام العرب ، وإنما مضى لتعضيد المسألة بما جاء من نظم شعري يؤيّد مسار إضافة الشيء إلى نفسه حين استشهد بقول الشاعر[٤٦].

ولو أقوت عليك ديارُ عبسٍ　　　　عرفتَ الذلّ عرفان اليقينِ[٤٧]

بإضافة (عرفان) إلى (اليقين) ، وهما مترادفان معنى.

شواهد الحديث تعضّد المسألة :

إذا كـان الفـراء لـم يستشـهد بالحـديث النبـوي علـى شـاكلة مـن سـبقوه وعاصروه في تعضيد مسائل اللغة أو النحو بحجة أنَّ اللفظ المنقول تَمَّ إيراده بالمعنى وأنّه ليس بلفظ صاحب الوحي (صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم) إلّا أنَّ النحـاة فيمـا بعـد انقسـموا علـى ثلاثـة أقسـام ؛ فمـنهم مـن امتنـع مطلقـا علـى الاحتجـاج بالحـديث النبـوي[٤٨] ، ومـنهم مـن أجـاز الاحتجـاج بالحـديث النبوي[٤٩] ، ومنهم فريق وسط بين الامتنـاع والجواز[٥٠] ، وكـان عبد القادر

---

[٤٥] الإنصاف ٢/ ٤٣٨ (المسالة/ ٦١).

[٤٦] البيت بلا نسبة ، ولم أجد له قائلا فيما توافر لديّ من مصادر.

[٤٧] وإنما معناه عرفانا ويقينا.

[٤٨] الاقتراح : ٧٤.

[٤٩] الشاهد وأصول النحو:١٤٣.

[٥٠] تاريخ الاحتجاج النحوي بالحديث الشريف :١١.

البغدادي واضحا حين أفصح قائلا: (الصواب جواز الاحتجاج النحوي بالحديث النبوي)[٥١].

وقد أورد ابن مالك بما يعضّد مسألة إضافة الشيء إلى نفسه ، وبما يعضّد الفراء حين خفض جناح الولاء للمسألة ، ودعمها بالحديث النبوي الشريف ، إذ يستشهد بحديث ، أنَّ رسول اللهِ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، قال : (يا نساءَ المسلمات لا تحقرن جارةً لجارتها ، ولو فِرْسنَ شاة)[٥٢]. فيعلق ابن مالك على الحديث بقوله: (وفي إضافة (نساء) إلى (المؤمنات)[٥٣]. شاهد على إضافة الموصوف إلى الصفة عند أمن اللبس ؛ لأنَّ الأصل: وكنّ النساء المؤمنات ، وهو نظير (دار الآخرة) و(مسجد الجامع) و(صلاة الأولى)[٥٤]. وبهذا دليل دامغ على قبول المسألة من غير تأويل أو تقدير.

شواهد أخرى من النظم تعضد المسالة

إذا كان الفراء الكوفي قد عضّد مسألة إضافة الشيء إلى نفسه بشاهده الشعري اليتيم :

أتمدحُ فَقْعَسَا وتذمّ عبسا ألا لِله أُمُّك من هجينِ

---

(٥١) خزانة الادب ٥/١.

(٥٢) صحيح مسلم : ٤٤ (باب الحث على الصدقة ولو بالقليل).

(٥٣) لفظ الحديث عند مسلم هو (مسلمات) ، وعند أبن مالك (مؤمنات) ينظر: صحيح مسلم : ٤٤ وشواهد التصحيح : ٤٨.

(٥٤) شواهد التصحيح: ٢٤٨.

ولو أتوت عليك ديـارُ عبسٍ   عرفتَ الذلّ عِرفان اليقينِ(٥٥)

بإضافة العرفان إلى اليقين ، وهما بالمعنى نفسهِ ، وقد اختلفا لفظا .
فإنّا نجد بعد قرون يأتي من يعضّد المسألة بشواهد أخرى تُوآخي البيت اليتيم ، وتأويه بأبوّةٍ تمنح المسألة شرعية الرواج والقبول ، ومن ذلك .

قال الشاعر :

إذا حاص عينيه كرى النوم يزل   به كالئُ من قلب شيحان فاتكِ(٥٦)

بإضافة (كرى) إلى (النوم) ، وهما بالمعنى نفسه ، وإن اختلفا لفظا.

وقول الشاعر:

وقرّب جانب الغربي يأدو مَدبَّ   السبيل ، واجتنِب الشحار (٥٧)

بإضافة (جانب) إلى (الغربي) ، والجانب هو الغربي نفسه ، وقد ترادفا معنّى.

وقول الشاعر:

سقيتـــه بيـن أنهـــار ودور   وزرعِ نابتٍ وكروم جفنٍ(٥٨).

بإضافة (زرع) إلى (نابت) ، وهما إن اختلفا لفظا ، فقد التقيا في المعنى.

---

(٥٥) معاني القرآن ٢/٥٦.

(٥٦) الشاهد بلا نسبة في رسالة الإفصاح لأبن طراوه : ٩٣.

(٥٧) للراعي النميري في شعره المجموع ، وفيه (جانب الشرقي) لا (الغربي) ، ص٧١.

(٥٨) ديوان النمر بن تولب: ٥٣.

وقول الشاعر :

فقلتُ أنجو عنها نجا الجلد إنّه   سيرضيكما منها سنام وغاربة[٥٩]

وقد علّق عبد القادر البغدادي على هذا البيت السالف على أنّ الفراء يجيز إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان كما في البيت ، فإنّ النجاء والجلد مرادفان في المعنى ، وقد تضايفا ، أي أضيف الشيء إلى نفسه[٦٠].

وقول الشاعر:

كبكر المقاناة البياض بصفرة   غذاها نمير الماء غير المحللِ[٦١]

والبكر هي المقاناة ، وقد تضايفا على الرغم من ترادفهما في المعنى .

وقول الشاعر:

ومشك سابغة هتكت فروجها   بالسيف عن حامي الحقيقة معلم[٦٢]

أضاف (مشك) إلى (سابغة) ، وهما بمعنى الدرع ، وقد تضايفا على الرغم من اتحاد معنى اللفظين[٦٣].

وقول الشاعر:

ودع المدينة إنها مرهوبة   واعمد لمكة ، أو لبيت المقدس[٦٤]

---

[٥٩] خزانة الادب٤/٣٥٩.

[٦٠] خزانة الأدب: ٤/ ٣٥٩.

[٦١] ديوان أمرئ القيس: ٣٣٧.

[٦٢] ديوان عنترة: ٢١١.

[٦٣] أضواء البيان٤/ ٢١٦.

[٦٤] ديوان الفرزدق: ٣٣٤.

أضاف (بيت) إلى (المقدس) ، وهما مترادفان معنى ، واتحاد المعنى لم يمنع تضايفهما.

الكوفيون والمنهج الوصفي :

والذي يُرادُّ بالمنهج ؛ هو (فن التنظيم الصحيح لسلسلة في الأفكار العديدة من أجل الكشف عن الحقيقة)[٦٥] ، وهو (النسق الذي يتبعه الباحث وصولا إلى الحقيقة التي ينشدها)[٦٦] ، والسؤال ؛ ما المنهج الذي اتبعه الفراء من الكوفيين في تقعيد مسألة (إضافة الشيء إلى نفسه) ؟ إنّ الحديث عن ذلك يتطلب منّا مقدمة تسبق فكر الفراء والكوفيين وصولا إلى منهج الفراء والكوفيين في تقارب فكري ممنهج على محك الدرس الحديث بين فكر يقترب في أسسه مع آخر على الرغم من بعد الزمن .

يقول المحدثون في مجال اللغة في حديثهم حين التنظير للمنهج الوصفي ، إنَّ الفرق بين اللغوي التقليدي واللغوي الوصفي: (هو إنّ الأول يقدّم قواعد تعصم اللسان أو القلم من الخطأ أو اللحن ، وتقيّد مستعملي اللغة بمستوى لغوي محدد يجب الحفاظ عليه ، ويمتنع الخروج عنه ، وترسم لهم حدودا لما ينبغي أن يقولوا ، وواضح أنّ هذه الحدود لا تستخلص من الاستعمال الفعلي المعاصر للغة ، وإنما هي حدود رسمتها كتب اللغة ، وصوّرها جهابذة اللغويين)[٦٧] ، ولا نغالي إذا وضعنا بعض أحكام نحاة

---

[٦٥] الوصفي في كتاب سيبويه : ٢١ (رسالة دكتوراه) ، ص٢١.

[٦٦] نفسه : ٢١.

[٦٧] مدخل إلى علم اللغة : ١٢٥.

البصرة في هذه الدائرة التقليدية الأولى ؛ وذلك حين نأخذ كلام المستشرق (فايل) في وصف نحاة البصرة : (يبدو أنَّ البصريين كانوا يرجعون القرآن إلى قواعد النحو)[٦٨].وهو أشبه بمن (استعار لنفسه موقف المتكلم ، الذي يحدده الاستعمال لا المنهج ، وجعل دراسته على حدّ تعبير (دي سوسير) مؤسسة على المنطق ، خالية من كل وجهة نظر علمية ، وهي لا تهتم باللغة نفسها ، بل ترى فقط أن تسنّ القواعد التي تفرق بين الاستعمالات الصحيحة وغير الصحيحة ، وهذا منهج معياري ، بعيد عن الملاحظة ، يفرض وجهة نظره فرضا)[٦٩].

ومن خلال ما استدلّ به الفراء من قراءات قرآنية ثم من منثور ومنظوم على سنن العرب ؛ وكذلك من جاء – بعد الفراء – يعضّد المسألة بشواهد أخرى ، وكذلك ما جاء من حديث نبوي شريف عن أفصح الخلق محمد صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم في مسألة استقرت في ألسنة العرب وأفصحهم رتبةً نظرة وصفية اعتمدت الملاحظة المباشرة للظاهرة اللغوية الموجودة بالفعل (ولا يهدف من ذلك إلى وضع قواعد يفرضها على المتكلمين باللغة ، ...)[٧٠].

والفراء لم يقتفِ أثر القواعد التقليدية في تقعيد المسألة – ربمّا– متأثرا بأستاذه الكسائي (ت١٨٩هـ) حين سئل في مجالس البصريين عن (أيّ) ،

---

[٦٨] الإنصاف (مقدمة المحقق فايل) : ١٠.

[٦٩] اللغة بين المعيارية والوصفية : ٤٣ – ٤٤.

[٧٠] مدخل إلى علم اللغة : ١٢٥.

فكان ردّهُ (هكذا خُلِقَتْ)[٧١]. وقد عدّ بعض المعاصرين جواب الكسائي أدق جواب مقبول في ضمن منهج الوصفيين[٧٢]. وقال آخر عن هذا الجواب (وهو تعليل يدور في فلك ما يمكن وسمه بالعلل السماعية التي تمكن في الالتجاء إلى كلام العرب ، وبالعلل الأولى ، أو التعليمية ، التي يضطرون إليها للإجابة عن بعض أسئلة طلابهم ، ومريديهم ، وتبدو هذه المسألة في إجابة الكسائي سائلهُ عن بناء (أيّ) بأنها هكذا خلقت ، ولا تخرج عللهم التعليمية عن النهج الوصفي ، فهي ليست مُعقدة ، ولا تقوم على التوهم ، والتخيل ، والافتراض ؛ لأنّها تتبع من الأشكال النحوية في التركيب اللغوي ، ...)[٧٣] ، وقد بلغ بالمحدثين إلى القول عن الكوفيين (قد توصّلوا قبل الوصفيين بأكثر من ألف سنة تقريبا ، فهم يدعون إلى التوسعة ، وترك التشدّد والتضييق مكانيا وزمانيا ، والقياس الوصفي على كلام القبائل كلها ، الشاذّ والمطّرد ، ...)[٧٤] ، والغرابة أن يُعاب الكوفيون من بعض المحدثين على سلوكهم الوصفي هذا[٧٥]. والأغرب حين يقوم ناقد لغوي بانتقاد شاعر حديث جادت قريحته الشعرية ، وصفاء مذاقه اللغوي بالقول :

عروة الوثقى ومنهاج الهدى   كشفوا عن أوجه الحقّ حجابا[٧٦].

---

[٧١] الكسائي رئيس مدرسة الكوفة النحوية : ٣٩.

[٧٢] نفسه : ٤٢.

[٧٣] الكوفيون : ٩.

[٧٤] نفسه : ١٧ – ١٨.

[٧٥] من تاريخ النحو (الأفغاني): ٧٣.

[٧٦] ديوان عبد الغفار الأخرس : ٨٢.

فيخطئ الشاعر بأنه وقع (في الأخطاء النحوية كإضافة الموصوف إلى الصفة ...)[٧٧] ، والصحيح : العروة الوثقى[٧٨] ، إلّا أنَّ الأستاذ فاضل السامرائي حين تعرضه للمسائلة (إضافة الشيء إلى نفسه) يصدح بقوة منتصرا للكوفيين : (والحق فيما ذكروه من إضافة المترادفين أنّه يجوز إضافة أحدهما إلى الآخر إذا كان بينهما أدنى اختلاف... فمنعه تعسف ، ولا داعي للتأويل عليه)[٧٩] ، وفي فصل عقده الدكتور عبد الفتاح الحموز عن (الكوفيون والسماع): (أنَّ الكوفيين يمكن أن يكونوا روّادا في هذا المنهج – الوصفي– ، وأن قصب السبق بأيديهم في هذه المسألة ... حرصهم على السماع من أهل اللغة في بنائهم قواعد النحو والصرف وأصولها على شواهد سمعوها من الأعراب أيّا كانوا...)[٨٠] ، وأنّ (الكوفيين وسّعوا دائرة مسموعاتهم ، ولم يضيّقوها زمانا ومكانا...)[٨١] ، وأنّ (الكوفيين أكثر احتراما للقراءات القرآنية سبعيها وشاذها من البصريين ، في الغالب)[٨٢] ، وهذا الاحتجاج أو (الاعتداد بالقراءات القرآنية يفرض على الدارس أن يعدّهم من الوصفيين ، الذين يؤصلون الأصول على الكلام في مستوياته المختلفة ، لا الاقتصار على مثال أُنموذج ، وهو مثال يقتضي إخضاع غيره لأصوله وقواعده ، فإن لم يخضع لها بالتأويل والتقدير رُمِيَ بالشذوذ ، أو القلّة ،

---

[٧٧] لغة الشعر في القرن التاسع عشر : ٢١.

[٧٨] نفسه : ٢١.

[٧٩] معاني النحو ٣/ ١١٥.

[٨٠] الكوفيون : ١٣.

[٨١] نفسه : ١٥.

[٨٢] نفسه : ٢٣.

أو الندرة ، أو الغلط ، أو غير ذلك)[٨٣] ، وحين تناول مسألة (إضافة الشيء إلى نفسه) ، إذ ينبري الدكتور الحموز في تنظيره للمسألة المطروقة بأن اعتماد نحاة الكوفة جاء على (أربعة شواهد من القرآن ، وشاهد شعري ، وثلاثة أقوال لبعض العرب ، مبتدئين بالشاهد القرآني ، وهي مسألة لم يجوزها البصريون[٨٤] ، والآيات القرآنية: {إِنَّ هَـذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ } [الواقعة : ٩٥] ،{ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ } [يوسف: ١٠٩] ، على أن (الآخرة) نعت في المعنى لدار ، { فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ } [ق: ٩] على أنَّ (الحصيد) نعت في المعنى للحَبّ ، و {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ }[القصص: ٤٤] ، على أنَّ الجانب في المعنى هو الغربي والشاهد الشعري قول الراعي :

وقرَّبَ جانبَ الغربيّ يأدو   مدبَّ السيلِ واحتسبِ الشعارا[٨٥]

وأقوال العرب : (صلاةُ الأولى) و(مسجد الجامع) و(بقلة الحمقاء) على أنّ الأولى في المعنى هي الصلاة ، والجامع هو المسجد ، والبقلة هي الحمقاء ، وتبدو وصفية الكوفيين في هذه المسألة وحملهم لهذه الشواهد على ظواهرها بيّنة بالإضافة إلى معيارية البصريين فيها ، إذ حملوها على حذف مضاف إليه ، ليخضعوها لسلطان قواعدهم ، وأصولهم: حقّ الأمر اليقين ، ولدارُ الساعةِ الآخرة ، وحبّ الزرعِ الحصيد ، وبجانب المكان الغربي ، وصلاة الساعة الأولى ، ومسجد الموضع الجامع ، وبقلة الحبة

---

[٨٣] نفسه :

[٨٤] الإنصاف ٤٣٦/٢ (المسألة/ ٦١).

[٨٥] شعر الراعي النمري: ٧١.

الحمقـاء)[٨٦]والأسـتاذ الحمـوز فـي سـرد هـذه الشـواهد أعتمـد علـى كتـاب الإنصـاف لأبـي البركـات[٨٧] ، وكـان الأولـى لـو نهـل مـن بضـاعة القـوم – الكوفيين – إذ أورد الفراء من الكوفيين في (معاني القرآن) من شواهد تعضد المسألة إلى جانب القراءات القرآنيـة[٨٨] ، وهو جانب أغفله الدكتور الحموز تماما في مسألة إضافة الشيء إلى نفسه مع إجادته بامتياز في إبراز المسألة وأخواتها انتصارا للكوفيين والمنهج الوصفي ، إذ بات كلٌّ توأم الآخر بامتياز مـن خـلال مـا عرضـه[٨٩] ، وعرضـناه لتلتقـي روافد المشـتركات فـي شـطآن التفكير على محك واحد في بيان الحقيقة.

---

[٨٦] الكوفيون : ٣٦.

[٨٧] ينظر : ٢/ ٤٣٦ – ٤٣٨ (المسألة / ٦١).

[٨٨] ينظر : معاني القرآن ١/ ٣٣٠ – ٣٣١ ، ٢/٥٥ – ٥٦ ، ٣/ ٤١ ، ٧٦ ، ٢٨٦.

[٨٩] الكوفيون : ٣٦.

الخاتمـة :

مسألة (إضافة الشيء إلى نفسه) من المسائل المدرجة ضمن دائرة نحاة الكوفة التي روّج لها الفراء منهم ، فاستحسنتها جماعة الكوفيين ، ومن جاء من بعده فأقروا المسألة على شاكلته بالقبول والاستحسان من غير تأويل أو تقدير بل تكوّفوا حولها ، وقعدوا لها ؛ وهي مسألة مردودة وغير مقبولة عند خصومهم البصريين الذين قدّروا وأوّلوا واعتمدوا الوهم والتخييل للخروج بتقعيد على هوى مذهبهم.

ومن خلال ما أسلفنا من تقديم شواهد السماع من قراءات قرآنية ، ومن المنثور من كلام العرب ، ومن منظوم فطر الشعر عليه بالطبع لا بابتداع ناشز عن قوافي النظم أو بحور الخليل ، نتلمسُ إقرارا – بلا تردد– بجعل الكوفيين روّادا في توظيف المنهج الوصفي ومعلما بارزا في سمات مذهبهم بل لهم السبق على كل ادّعاء مستحدث يروّج له من لم يعِ حقيقة هذا التراث وغفل عن مناهله المعطاء التي لا تنضب ألبتة .

نعم ، وجدنا الكوفيين على إحاطة تمتاز بالشمول في رصد الشواهد وإشغالها في الحيز المناسب في ضوء فهم سليم وصحيح ينسجم مع السليقة اللغوية والفطرة السليمة على وجه العموم من دون صنعة أو تقدير يوهم تقويم السياق بزعم الانحراف ، وإنّما تجري اللغة على طبيعتها المألوفة وباطراد في ضوء ما استقرأ نحاة الكوفة وصنّفوا ثم قعّدوا على النظرة والملاحظة على أسس سليمة لا تمت إلى تسويف أو تخييل موهم .. وفي هذا تبرز دلالات المنهج الوصفي بأسمى معالمه مما يجعل مقوده الحادي الكوفي ريادةً لزمانهم وزماننا حتى أقرّ الدرس الحديث لهذه الريادة وتكوّف حولها طائعا

مستسلما ، وأفرى الكلام على شاكلة أبي زكريا الفراء الذي لم يتردد الخطيب البغدادي في الترويج لعلو كعبه (الفراء أمير المؤمنين في النحو) من أن ينضج النحو عنده أو يحترق ، إذ مات بحسرة مقالته (أموت ، وفي نفسي شيء من حتّى).

المصادر :

- القرآن الكريم .

١ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين المختار الجنكي الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) ، بإشراف بكر عبدالله بو زيد الراجحي ، ط٤ ، الرياض: ١٤٣٧هـ.

٢ - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مصر ، ط مصر: ١٩٨٢م.

٣ - الاقتراح ، للسيوطي (ت٩١١هـ) ، تحقيق : أحمد محمد قاسم ، مط السعادة : ١٩٧٦م.

٤ - تاريخ الاحتجاج النحوي بالحديث الشريف ، الدكتور فخر الدين قباوة ، دار الملتقى ، حلب : ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٥ - تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ، تحقيق : مجموعة من الأساتذة ، ط بيروت : ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٦ - خزانة الأدب ، عبد القادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بمصر : ١٩٨٣م.

٧ - ديوان أمرئ القيس ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر : ١٩٧٠م.

٨ - ديوان عبد الغفار الأخرس (ت١٨٧٥هـ) ، تحقيق : وليد الأعظمي ، ط بغداد : ١٩٨٦م.

٩ - ديوان عنترة ، تحقيق ودراسة : محمد سعيد مولوي ، دار عالم الكتب ، ط٢ ، القاهرة : ١٩٦٤م.

١٠ - ديوان الفرزدق ، شرح وضبط : علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٨٦م.

١١ - ديوان النمر بن تولب العكلي ، تحقيق : الدكتور محمد نبيل طريفي ، ط١ ، دار صادر : ٢٠٠٠م.

١٢ - رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح ، لابن الطراوة النحوي (ت٥٢٨هـ) ، تحقيق : الدكتور حاتم الضامن ، عالم الكتب ، ط٢ ، بيروت : ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٣ - سبك المنظوم وفك المختوم لابن مالك الطائي الجياني (ت ٧٦٢هـ) ، تحقيق : الدكتور عدنان محمد سلمان ، والدكتور فاخر جبر مطر ، ط١ ، دبي : ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٤ - الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه (ت ١٨٠هـ) ، خديجة الحديثي ، ط الكويت: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

١٥ - شرح الحدود في النحو ، عبدالله الفاكهي ، تحقيق : المتولي رمضان الدميري ، مكتبة وهبة : ١٩٩٣م.

١٦ - شرح ملحة الإعراب ، لأبي محمد القاسم بن علي الحريري (ت٥١٦هـ) ، تحقيق : الدكتور فائز فارس ، ط دار الأمل : ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

١٧ - شعر الراعي النميري ، دراسة وتحقيق : نوري حمودي القيسي ، وهلال ناجي ، مط المجمع العلمي العراقي : ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٨ -شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، جمال الدين بن مالك الأندلسي (ت ٧٦٢هـ) ، تحقيق : طه محسن ، إحياء التراث الإسلامي ، العراق : ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٩ -الشواهد والاستشهاد في النحو ، عبد الجبار النائلة ، ط١ ، بغداد : ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٢٠ -صحيح مسلم ، لأبي الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢١ -فقه اللغة وسر العربية ، لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) ، تحقيق : فائز محمد ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت : ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م .

٢٢ -الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر ، الدكتور عبد الفتاح الحموز ، دار عمار ، الأردن: ١٩٩٧م.

٢٣ -لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ) ، باعتناء : أمين محمد عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبيدي ، ط٣ ، دار إحياء التراث ، بيروت ، (د.ت).

٢٤ -اللغة بين المعيارية والوصفية ، الدكتور تمام حسان ، دار الثقافة: ١٩٩٢م.

٢٥ -لغة الشعر في القرن التاسع عشر ، إبراهيم الوائلي ، مط الإرشاد ، بغداد: ١٩٦٥م.

٢٦ -المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ، لابن جني (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق : علي النجدي ناصف وآخرون ، ط القاهرة : ١٣٨٦هـ.

٢٧ -مدخل إلى علم اللغة ، الدكتور محمد حسن عبد العزيز ، القاهرة ، (ب . ت).
٢٨ -مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، الدكتور مهدي المخزومي ، ط٢ ، القاهرة : ١٩٥٨م .
٢٩ -معاني القرآن لأبي زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) ، تحقيق : أحمد نجاتي ومحمد علي النجار ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت : ١٩٨٠م.
٣٠ -معاني النحو ، الدكتور فاضل السامرائي ، ط جامعة بغداد : ١٩٨٦ – ١٩٨٧م.
٣١ -مناهج البحث اللغوي المعاصرة ، الدكتور نعمة رحيم العزاوي ، مط المجمع العلمي العراقي : ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
٣٢ -المنهج الوصفي إلى كتاب سيبويه ، نوزادص حسن أحمد ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩١م.

ديناميكيـة الموائــع

رئيس مهندسين اقدم

سعد زكي أحمد العبيدي

الهيئة العليا للحج والعمرة / دائرة الخدمات

الملخص :

إنّ الغاية من هذا البحث هو ايضـاحُ بعضِ الأنشطةِ المُثيرةِ الجاريـةِ حاليا فـي مختلفِ مجـالاتِ السوائلِ , وإيصالُ مجموعةٍ واسعةٍ من الأفكارِ والتّطبيقـاتِ التــي تتخلّــلُ المجــالَ ، والجــزءُ الأكبــرُ مــن البحــث مكتــوبٌ للأخصّائيّينَ في ميكانيكا السوائلِ بفصولٍ منفردةٍ لموضوعات بحثٍ متنوّعـةٍ ومن ضمنها شاشاتُ البرنـامجِ , وهو – أي البحث – يركّزُ على المسـائلِ العلميّةِ التي تُحدّدُ اتجاهاتِ البحثِ . بيد أنَّ القسم الحاليّ موجّهٌ الى القارئ الاعتيـادي الـذي يهتمُّ أكثـر بـالطرائق التـي قد يـؤثّرُ بهـا هذا البحـثُ علـى السياسةِ العامّـةِ , أو يُعزّزُ الإقتصادَ والقدرةَ التّنافُسيّةَ للـدول الاجنبيـة فـي الأسواقِ الدّوليةِ أكثرَ من التفاصيلِ الفنيّةِ .

ملاحظات عامّـــــة General Remarks

قد نبدأ ببعضِ البياناتِ العامةِ القليلةِ حول **ميكانيكا السوائل** ،ودراسةِ حركةِ " السوائل" التي تعني السوائلَ والغازاتِ , وتأثيرِ مثلَ هذهِ الحركةِ . إنّ حركةَ السوائلِ مسؤولةٌ عن معظم النقل والمزجِ (للموادِ او الخصائصِ) التي تحصلُ في البيئةِ , وفي العملياتِ الصناعيةِ , وفي المركباتِ , وفي الكائناتِ الحيّةِ . وبالتالي فهي مسؤولةٌ عن معظمِ الطاقةِ الّلازمةِ لتشغيلِ الطائراتِ والسّفُنِ والسياراتِ لضخِ النفطِ عِبرَ خطوطِ الأنابيبِ وهلُمَّ جرّا . وحركةُ السائلِ , في البيئةِ , هي المسؤولةُ عن نقل معظمِ الملوّثاتِ (الحراريةِ والجسيماتِ الكيميائيةِ منها) من مكانٍ لآخرَ , واضافةً لذلكَ فهي تجعلُ الحياةَ ممكنةً بنقلها غاز الأوكسجين وغاز ثاني أوكسيد الكاربون والحرارة من أماكنَ إنتاجِها الى الأماكن التي ستستخدَمُ فيه أو تُرفَضُ. وفي العملياتِ الصناعيةِ , فإنَّ حركة السوائلِ مسؤولةٌ بشكلٍ كبيرٍ عن النِسَبِ التي تستمرُّ فيها العديدِ من العمليّاتِ , وعن انتظامِ الناتجِ الحاصلِ . والبحثُ في ميكانيكا السوائلِ له غايتهُ الجوهريّةُ لتحسينِ قدرتنا على التّنبؤ والتّحكمِ في جميعِ هذه المواقفِ من أجلِ تحسينِ قدرتنا على تصميمِ الأجهزةِ (على سبيل المثالِ : التوربينات الغازية للطائراتِ , ومحركاتِ السياراتِ) والتنظيمِ (مثل : الإنبعاثات الصناعية) . وإذا كانت حركاتُ السائلِ تبدو في كلّ مكانٍ , فقد يتذكّرُ المرءُ أنَّ فلاسفةَ الإغريقِ القدماءِ افترضوا أنّه لم يكن هناك إلا أربعةِ عناصرَ هي : الهواءُ والأرضُ والنارُ والماءُ . ومن بينِ الأربعةِ , هناكَ ثلاثُ حالاتٍ سائلةٍ , والرابعةُ الأرضُ , ليست مشبّعةً بالماءِ فقط في الطبقاتِ القاريّةِ الرقيقةِ التي نعيشُ عليها , ولكنها غالبا معدنٌ سائلٌ أسفلَ القارّاتِ .

ومنَ المُفيدِ أن نضعَ في بالنا أنَّ الميكانيكا الحديثة للسوائلِ _ كنظامٍ _ قديمةٌ نسبيا, وقد كان لها جذورها في النصفِ الأوّلِ من القرنِ الثامنِ عشرَ , على الرّغمِ من أنّ بعض العملِ الأوّليّ قد قامَ به الإغريقُ والرومانُ بدايةً من القرون القليلة الأخيرةِ قبل الميلادِ . ومع ذلكَ , فحتى بعدَ مرورِ (250) أو (2500) عام , اعتمادا على وجهة النظرِ ، بقيتِ العديدُ من المشكلاتِ التي لم تُحَلْ , وقدرتُنا على التنبؤ بالعديد من المجرياتِ محدودةً . وهناك العديدُ من الأسبابِ المُحتملةِ لهذا الأمرِ . ومع ذلكَ، فإنّ فحص السّجلِّ يوحي الى أنّها لم تكن تفتقرُ الى الأموال الاتحاديةِ أو المصلحةِ العسكريةِ أو التجاريّة التي كانت مسؤولةً . وبالفعلِ ، فإنَّ المصلحةَ العسكريةَ أو التجاريةَ في تطبيقاتِ ميكانيكا السوائلِ كانت مكثّفةً على الدوام تقريبا ، بدءا من هيرون طاغية سايراكيوز (والذي استخدم أرخميدس ولكنّه بعكس ذلك أعطى اللقب اسما سيئا) , فقد كان لديه اهتمامٌ كبيرٌ في تطوير أسلحةِ مكافحةِ الدمارِ , والمستمرةِ الى يومنا هذا . وكان التقدّم البطيء نوعا ما بسبب الصعوبة الاستثنائية للموضوعِ نفسهِ . ولهذا الأمرِ أسبابٌ كثيرةٌ متأصّلةٌ في الموضوعِ وليست ذات شأنٍ لنا هنا – لإيرادها – ولكن تبقى الحقيقة . إنّ التقدُّمَ صعبٌ ، وعلى الأرجحِ أنّه سيبقى كذلكَ ، لكنّ المردودَ يمكنُ أن يكونَ كبيرا .

التدفقات الانضغاطيّـة Compressible Flows

دعونا ننتقل الآن الى مناطق محدّدة , فالتدفقات القابلة للضغط هي تلك التي تكون فيها تغييراتُ ضغطِ التدفّقِ كبيرةً من مكانٍ الى آخرَ بحيثُ

تتغيّرُ كثافةُ السائلِ . والتّدفقُ حول طائرةٍ تجاريّةٍ قابلٌ للإنضغاطِ , كما هو التّدفّقُ داخلَ المحرّكِ . هذه التدفقات تواجه صعوباتٍ خاصّة : اذ تنتشرُ الموجاتُ في هذه التّدفقات بسرعةِ الصّوتِ , ودرجات الحرارةِ مرتفعةٌ وغير منتظمةٍ مما يسبّبُ عددا من التأثيراتِ التي يصعبُ التنبّؤ بها . وتقتربُ السرعاتُ في هذه التدفّقاتِ من سرعةِ الصوتِ (أو أسرع منه) , وربّما تتجاوزه بشكلٍ كبير . إنَّ التدفقاتِ القابلةِ للضغطِ هي الأكثرُ شيوعا في تطبيقاتِ الطيرانِ التي تتطلبُ تدفقاتٍ داخليّةٍ وخارجيّةٍ عاليةِ السرعةِ , ولكن هناك مجموعة كبيرة من التطبيقات غير الجويّةِ مثل : تكنولوجيا الليزر وتكنولوجيا التفريغ ومفاعلات الغاز المرحلية ومعالجة البلازما للمواد وعملية التصنيع التي تتطلب موجات الصدمة والمجال المتطور بسرعة لحساسات (مستشعرات) التدفّق الالكترونية الدقيقة والمشغلات المتعلقة بالتحكم . إنّ تطوير جيل جديد من الطائرات العسكرية والمدنية عالية السرعة , وتطوير محركات طائرات جديدة باستخدام ضواغط الهواء ذات الضغط العالي والتوربينات ونفاثات الاحتراق الأسرع من الصوت هو لأجلِ دفعِ تنفّسِ الهواء المرتفعِ , اذ يتطلّبُ تطويرُ مفاهيمِ طائراتِ الهليكوبتر الجديدة اجراءُ ابحاثٍ حول التدفقاتِ الانضغاطيّة . وتتطلّبُ التطبيقاتُ التي تنطوي على رحلةٍ بارتفاعاتٍ عاليةٍ أو عمليةٍ في مدارِ الأرضِ أو الفضاءِ تدفقاتٍ تفوقُ سرعةَ الصوتِ. ويتمُّ تصنيعُ بعضَ الموادّ الجديدةِ (مثل طبقة رقيقة جدا من الألماس) من الغازاتِ شديدةِ السخونةِ لدرجةِ أنّ العديدَ من الجزيئاتِ تفتقدُ الى الذرّاتِ المكونةِ لها , وتنفصلُ الذرّاتُ عنِ العديدِ منَ الألكترونات ، فيسمّى السائلُ في هذه الحالةِ بـ"البلازما" وهذا التدفّقُ قابلٌ للانضغاطِ أيضا ,

ولكنه صعبٌ على وجه الخصوص . في هذا التوليف البلازمي وكذلك في تطوير ديناميكية ليزر عالية الطاقة تتغير الأمور كثيرا وبسرعة جدا بحيث إنّ الحالة الداخلية للسائل دائما ما تكون متخلفة بشكل خطير بما يحيط بها مما يخلق مشاكلَ خاصّةٍ للتنبؤ . إنّ نماذج العمليات التي تحصل في الطبيعة مثل الحمل الحراري الشمسي ، وديناميكية سحب الغاز الكوني , وتطور المجرات وما الى ذلك تتضمّنُ أيضا تدفقاتٍ انضغاطيةٍ .

ديناميكا السوائل الحسابية Computational fluid dynamics

إنّ جميع هذه التدفقاتِ اضافةً الى نظيراتها المنخفضة السرعة ، غير القابلة للضغط نسبيا يمكنُ ويجبُ أن تُحسبَ عدديا كجزءٍ من عمليةِ التّصميمِ . وهذا الإجراءُ يُسمّى ديناميكا السوائل الحسابية أو الديناميكا الهوائية الحسابية وهي مع مجموعاتها الفرعية تشكّلُ دوامةً مباشرةً وكبيرةً لاضطرابٍ زائفٍ . وقد حلّتِ القدرةُ على حسابِ هذه التدفقاتِ المختلفةِ في جزءٍ منها محلّ التجربةِ وأصبحت جزءا أساسيا من عمليةِ التصميمِ , مما يسمحُ بالتقييمِ السريعِ للتغيراتِ في معاييرِ التصميمِ . وهذا يقلّلُ زمنَ دورةِ التصميمِ فعليا فيؤدي الى تخفيضاتٍ مماثلةٍ في تكلفةِ التصاميمِ الجديدةِ .

الإضطراب Turbulence

إنّ معظم هذه التدفقاتِ تتسمُ بالاضطرابِ , أي أنّها غير مستقرة ومشوشة ولا تكرّر التفاصيل . والحالة المضطربة تعارض الحالة الصفيحية والتي تكون متنوعة ومنظمة بشكل سلس وليست فوضوية . والفرق مهمٌ لأنّ

الحركات الفوضوية تنتجُ 1000 ضعفٍ من السُحبِ أو انتقالِ الحرارةِ للتدفّقِ الصفائحي المقابل . إنّ الإضطرابَ هو آخرُ مشكلةٍ لم تُحَلْ بعدُ في الفيزياء الكلاسيكية ، فلا توجد نظريةٌ شاملةٌ للإضطرابِ على الرغمِ من تحقيقِ الكثيرِ من الفهمِ النّوعي الجزئي . وحتى في غياب الفهمِ الكاملِ فقد أُجبرنا على تطويرِ طرائق لحسابِ التدفقاتِ المضطربةِ لأغراضِ التصميمِ. إنّ عدمَ كفايةِ النماذجِ المستخدمةِ هو العاملُ الذي يحِدُّ من تطويرِ ديناميكيات السوائلِ الحسابيةِ . إنّ استخدامَ النظرية والنظمِ الديناميكية مثل المقاييس المنحنية والأعراق المتعددة هي محاولات لبناء نماذج من مختلفِ جوانب التدفقاتِ المضربةِ التي تسمحُ لنا بإجراء حساباتٍ أكثرَ دقّة .

تقليل المقاومة , وكفايةُ الدّفعِ

Drag reduction, propulsion efficiencies

إنّ المكاسبَ المحتملةَ كثيرةٌ ، وسنذكرُ القليلَ منها فقط : تخفيضُ سحبِ الطائراتِ , أو زيادةُ كفاية الدفعِ ، سيُينتجُ أُسطول طائراتٍ تجاريةٍ مع انخفاضِ استهلاكِ الوقودِ المحدّدِ بشكلٍ كبيرٍ وخفضِ التكاليفِ لكلّ ميلٍ مسافر ، وتحسين القدرةِ التنافسيةِ ، والحدّ من الاعتمادِ على الوقود الأجنبيّ . وبشكلٍ عام ، فإنّ تطويرَ الطائراتِ التي لها غطاء أداء أوسع (ارتفاع اعلى ، نطاق أطول ، سرعة أعلى ، حمولة أكبر) قد يُحسّنَ القدرةَ التنافُسيّةِ . في هذا الشأن, كما هو الحال في مجالات أخرى، نواجه حاليا منافسةً شرسةً من أوربا وربّما قريبا من حافة المحيط الهادئ . وتشعر (ناسا) أنّهُ من أجلِ الحفاظِ على قدرتها التنافسيّةِ في العقدينِ المقبلينِ . وسيتعيّنُ

علينا تحسينُ نسبةِ الرفعِ / السحبِ بمقدارِ عاملٍ من اثنينِ وتحسينُ الكفايةِ الدّافعةِ , كلُّ ذلكَ عن طريقِ التحكُّمِ في التدفّقِ لأنواعٍ مختلفةٍ ، وتقليلِ السّحبِ أو زيادةِ الخلطِ على الأجنحةِ وجسمِ الطائرةِ وداخلَ المحرّكِ .

التّحكمُ في التّدفّقِ Flow Control

إنَّ عمليةَ التحكُّمِ في التدفّقِ مازالت في مهدها . والمُتصوّرُ هو الأسطحُ المغطاةُ بأجهزةٍ صغيرةٍ يمكنُها استشعارُ حالةِ التدفّقِ , والمشغّلاتُ التي يمكنُها التأثيرَ على التدفّقِ ، وادخالِ الاضطراباتِ في الوقتِ المناسبِ لزيادةِ أو تقليلِ خلطِ السائلِ بسرعةٍ عاليةٍ أو واطئةٍ (مما يجعل التدفق يتبع محيط الجناح , على سبيل المثال ، أو زيادة معدّلِ حدوثِ الاحتراق في المحرك) أو تقليل السحبِ . وأحدُ اهمّ جوانبِ هذه العمليةِ هو تفسيرُ مدخلاتِ الحسّاسِ (المستشعر) , والقرارات المتعلقةِ بالاضطراب الذي يتمُّ تقديمه , متى وأينَ (وتُعرفُ باسمِ خوارزميّةِ التحكّم) . وهذا يتطلّبُ فهما حادّا لهيكلِ التّدفّقِ ، ومثلُ هذا الفهمِ يتم الحصولُ عليه باستخدامِ نظريةِ الأنظمةِ الديناميكيّةِ ممّا يسمحُ ببناءِنماذجَ بسيطةٍ نسبيا للتدفقاتِ (رغمَ أنّه لا يزالُ معقّدا) .

الصوتيّات والضوضاء والفراغ

Acoustics, noise, and cavitation

قد نذكرُ هنا التلوّثَ الضوضائيّ وإلغاءَ أو السيطرةَ على مصادرِ السوائلِ الناجمةِ ميكانيكيا . وهناكَ تطبيقانِ رئيسانِ : الأولُ هو الطائرةُ

وضوضـاءُ محـرّكِ الطـائرةِ . علـى سـبيلِ المثـالِ ، إنّ تخفيـفَ الضـجيجِ أو التّحكمَ فيه هو مفتاح ملائمٌ لأيّ نقلٍ أسرعَ من الصوتِ في المستقبلِ . وبدون معالجةٍ خاصّةٍ , فإنّ محركات النقلِ الأسرعِ من الصوتِ ذاتُ ضجيجٍ بحيثُ أنّ اللوائحَ الحاليّة تمنعُ تشغيلها من المطاراتِ العالمية والاجنبية. وللالتزام باللوائحِ يجبُ خفض مستوى الضوضاءِ بشكلٍ كبيرٍ للغايةِ ، ولتحقيقِ هذا الأمرِ فإنّنا بحاجةٍ الى طريقةٍ لزيادةِ اختلاطِ هواءِ المحرّكِ النّفاث الساخنِ مع الهواءِ المحيطِ ليجعلَ الطائرةَ تتوسّعُ بسرعةٍ أكبرَ وتتباطأُ بشكلٍ كبيرٍ . لقد تمّ تجربة أشكالِ الفوّهةِ الغريبةِ دون نجاحٍ كبيرٍ ، وتبحثُ الجهودُ الحاليةُ التحكّمَ الفعّالَ في التدفّقِ بالطريقةِ الموصوفةِ سابقا . والتطبيقُ الثاني يتعلّقُ بالسفنِ والآلاتِ أو المكائنِ الهيدروجينيةِ . هنا ، لايشكّلُ انتاجُ الضجيجِ الميكانيكي السائلِ مصدرا رئيسا لتلوّث الضوضاءِ فقط ، بل مصدرا رئيسيّا للضررِ أيضا ممّا يؤثّرُ على العُمّالِ والمسافرينَ . ترتبطُ الكثيرُ من الضوضاءِ الناتجةِ في السوائلِ بالتجويفِ والتبخيرِ المحلي للسائلِ في مناطقِ الضغطِ المنخفضِ ، وما يلي ذلكَ من انهيارِ فقاعةِ البخارِ إذ يتمُّ حملها الى مناطقِ الضغطِ العالي , إنّ انهيارَ الفقاعةِ على سطحٍ يولّدُ ضغوطا عاليةً كافيةً لإتلافِ الفولاذِ . ويفشلُ الدّفعُ البحريّ عادةً بسببِ تلفِ التجويفِ . عادةً ما يتمُّ اكتشاف الغوّاصاتِ والطوربيداتِ من خلال أثرها الصوتي ، وفي هذه الحالةِ تُصممُ الأوعيةُ عادةً ، لتتجنّب التجويف الذي يكونُ صاخبا للغايةِ ، بيدَ أنّ الطبقاتِ الحدودية المضطربةِ تثيرُ الاهتزازاتِ الهيكليةِ التي يمكن أن تُطلقَ الضوضاءَ لمسافاتٍ كبيرةٍ . وتولّدُ الطبقةُ الحدوديّةُ المضطربةُ تقلباتٍ في الضغطِ أيضا (تُعرَفُ بالضوضاءِ الذّاتيّةِ)

ممّا يُربِكُ جهازَ الاستماعِ الخاصّ بالسفينةِ . وهناكَ الكثيرُ من الأبحاثِ تجري في محاولةٍ للحد من هذهِ الآثارِ . ويمكننا أن نذكُرَ هنا أيضا صوتا طبيعيّا يحدثُ في المحيطاتِ والبحيراتِ ، وهو أمرٌ مثيرٌ للإهتمامِ ، جزئيا لأنّهُ يحجبُ الكشفُ عن السونار , والى حدٍّ ما بسبب الصوتِ الناتجِ عن سقوطِ المطرِ ، وعلى سبيلِ المثالِ يمكنُ أن توفّرَ وسيلةً مفيدةً لمراقبةِ الطّقسِ عن بُعدٍ .

التّدفقاتُ التي تهيمِنُ عليها الدّواماتِ Vortex-dominated flows

إنَّ العديدّ من التدفقاتِ الطبيعيّةِ والتكنولوجيّةِ تهيمِنُ عليها الدّواماتُ ، ومثلَ هذه التدفقاتِ تخضعُ لدراسةٍ خاصةٍ . فالدوّامةُ عبارةٌ عن قناةٍ من السوائلِ تدورُ بقوّةٍ , والإعصارُ هو مثالٌ دراماتيكيّ . ومنَ الدوّاماتِ الأخرى ذات الطاقةِ العاليةِ والواسعةِ النطاقِ : الأعاصير والدوّامة القطبية (ثقب الأوزون). يقومُ الجناحُ بتوليدِ دوّامةٍ تتدحرجُ خلف الطائرةِ عبر الأجنحة لدعمِ وزن الطائرةِ . وكثافةُ هذه الدّواماتِ تتناسبُ مع وزنِ الطائرةِ . هذه الدّوامات القريبة من الطائراتِ الكبيرةِ جدّا قويّةٌ بما فيه الكفاية لإسقاطِ طائرةٍ خفيفةٍ , وهي _ أي الدوامات _ السببُ في الفصلِ المطلوبِ بين الإقلاعاتِ في المطاراتِ . اذ يتمُّ القاء دوّاماتٍ اضافيةٍ من الطائراتِ المناورةِ , ولفهمِ هذا الأمرِ علينا النظرِ في كيفيّةِ تحرّكِ السائلِ على السطحِ . بما انّ السائلّ يلتصقُ بأيّ سطحٍ يكونُ على اتّصالٍ به فينبغي أن يتدفّقَ السائلُ الى الأمامِ ليتجاوزَ السطحَ. يسمى هذا المتداول بالشراهة , والدوامة هي شراهة مركّزة . وعند مناورة الطائراتِ ، يتركُ التدفّقُ أحيانا السطحَ ويحملُ معهُ الشراهةَ التي

تولّدت بجوارِ السطحِ , والذي يتمُّ تدويره عن طريق التدفّقِ في دوّامةٍ . ويلعبُ جيل وتفاعل وتشتيت أو اختلاطُ الشرايينِ دورا عميقا في طبقةٍ واسعةٍ من تدفقاتِ السوائلِ التطبيقيةِ والجيوفيزيائيةِ والأساسيةِ . وسوف تتولّد قدرة أفضل للتنبؤ والتحكّم في التدفقاتِ نتيجة فهم عميقٍ للعملياتِ التي تؤدّي الى تكوين وتطوّرِ واستمرارِ تراكيب دوامةٍ متناسقةٍ في التدفقات التي توجد فيها شراهة موزعة . ومن شأنِ هذا الفهمِ أن يتيحَ إمكان استيعابِ البياناتِ في رموزِ التنبّؤاتِ وردودِ الفعلِ الراجعةِ من أجلِ التّحكّمِ في أداءِ الطائراتِ والسفنِ والعملياتِ الكيميائيّةِ . تخيّل التنبؤ بأحداث الأرصادِ الجويةِ أو الأوقيانوغرافية التي يتم فيها ارتداد القياسات البيئية المحلية والأرصاد البعيدة (مثل الستالايت) مرة أخرى , في مناطق الزمان المسموح به محليا لرمز محاكاة الكمبيوتر . وهذا يعطي القدرة على الحد من الأخطاءِ وتحسينِ مصداقية التنبّؤاتِ . وقد يكونُ لدينا أجهزة استشعارٍ تقعُ داخلَ التدفّقِ بطريقةٍ مشابهةٍ بالنسبة للتدفقات التي يصنعها الانسانُ ، والتي تقدمُ اشاراتِ تغذيةٍ مرتدةٍ لإجبارِ التدفقِ بطريقةٍ مستقرةٍ .

طبقاتُ الحدود Boundary layers

كما اقترحنا ، في معظم الأجهزة وبخاصةٍ المركبات البرية والبحرية والجويّة ، تحصل مقاومة السحب والسوائل في طبقة رقيقة جدا من السائلِ بالقربِ من الجسمِ الصلبِ المتحرّكِ . وهذا ما يُعرفُ باسمِ "الطبقةِ الحدوديّةِ" . فضلا عن لكونها مصدرُ السحبِ فإنّ العمليات في هذه المنطقة الرقيقةِ تخضعُ لتغيّراتٍ دراميّةٍ تسبّبُ ظواهرَ مثلُ الفقدِ المفاجئ للرفعِ ...

أو التوقّفِ ... في الطائراتِ ، وزيادة مفاجئة متزامنة في السحبِ . هذا يحدثُ عادةً بسبب التغيّر الهائلِ في تدفّقِ الهواءِ بالقربِ من الأجنحةِ التي لم يحصل التدفقُ فيها بسلاسةٍ الى محيطها , ولكنه اندفع بقوة في عملية تُسمّى فصل الطبقةِ الحدوديةِ , وهي العملية التي ذكرناها سابقا . ولقد تمّ احرازُ تقدّمٍ كبيرٍ في فهمِ هذه القضيّةِ وكيفية منعها . إنّها قضية تثيرُ قلقا كبيرا ليس لأسبابٍ اقتصاديّةٍ فحسب ، بل لأسبابٍ تتعلّقُ بسلامةِ الطائراتِ بالقربِ من المطارِ ، وفي الرحلاتِ خاصّةً أثناء المناوراتِ . إنّ عدمَ ثباتِ الطبقةِ الحدوديةِ هو السببُ المباشرُ لانتقالِ التدفقِ من الصفيحةِ الى الإضطرابِ ، مع ما يترتّبُ على ذلكَ من تغيّرٍ في السلوكِ . وتنشأُ مشكلاتٌ مماثلةٌ في الفصلِ وعدم الاستقرارِ في الطبقاتِ الحدوديةِ في مجموعة متنوعة كبيرةِ من التدفقاتِ الأخرى ، بضمنها التدفقات الداخلية في محركاتِ الاحتراقِ الداخلي والنفاثاتِ ومحركاتِ الصواريخِ ، وفي المعدّاتِ الطبيةِ مثل آلاتِ القلبِ ، وفي عملياتِ التصنيعِ التي تنطوي على موّاد في حالةٍ سائلةٍ أو منصهرةٍ ، وما الى ذلك . في معظمِ الحالاتِ يكونُ لهذه الظواهرِ عواقبَ وخيمة على أداءِ وسلامةِ هذه الأجهزةِ . ويُعدُّ التنبؤُ بالحركاتِ في الطبقةِ الحدوديّةِ مسألةً حاسمةً لنجاحِ التكنولوجيا المرتبطةِ بها .

الأمواج Waves

يتمُّ نقلُ الجزءِ الأكبرُ من التجارةِ الدوليّةِ عن طريقِ البحرِ لكلٍّ من المواد الخامِ أو السلعِ المصنّعةِ . وتواجه السّفنُ البحريةُ ، من جميع الأنواعِ ، ظروفا قاسيةً وخطرةً وخصوصا بسبب قوةِ أمواجِ المحيطِ . تتطلّبُ التحسيناتُ

في تصميمِ مثلَ هذهِ السّفنِ ، وكذلك التركيب الثابت والمهم للمحيط مثلَ منصّاتِ النفطِ البحريةِ ، فهمَ وتنبؤَ التفاعلَ بينَ التركيبِ والأمواجِ . وتُعدُّ أمواجُ المياهِ مصدرا رئيسا أيضا لمقاومةِ السفنِ ، وهذا عاملٌ رئيسيٌّ يحدُّ من السرعة ومن تكلفةِ النقل البحريّ . وقد أدّى فهم بعض جوانبِ هذه المقاومةِ التموجية الى تحسيناتٍ مهمةٍ في التّصميمِ , مثلَ القوسِ المنتفخِ الذي يُستَخدمُ الآنَ بشكلٍ عامٍ للحدّ من السحبِ التموجيّ على سفنِ الشحنِ . هناك حاجة لبذل المزيدِ من الجهودِ لإنتاجِ تصاميمَ أفضلَ للسفنِ ، وإصلاحِ منصاتِ المحطاتِ ، ولفهمِ آثارِ الأمواجِ عندما تقومُ السفنُ بالمناورةِ في كلٍّ من المياه المفتوحة وفي مناطقِ الميناءِ ، والتعاملِ مع الدولِ ذاتِ الأمواجِ المتطرفةِ التي تهدّدُ بقاءَ السفنِ والمنصّاتِ وبالطبعِ ركّابها وطاقمها .

إنّ المناطقَ الساحليةِ مكتظّةٌ بالسكانِ وذاتُ أهميّةٍ اقتصاديّةٍ ؛ لأنّها توفّرُ إمكان الوصولِ الى مصدّاتِ المياه والهواء , والشحنِ البحريّ ومصائدِ الأسماكِ والمواردِ الأخرى للمحيطاتِ والاستجمامِ . والخطوطُ الساحليّةُ متحركةٌ ببطءٍ بسببِ الأمواجِ والتياراتِ والمدّ والجزرِ . إنّ تفاعلَ الأمواجِ مع المنشآتِ الساحليةِ والموانئ وحركة الرواسبِ في منطقةِ الأمواجِ المضطربةِ والموجّهةِ بالموجاتِ تتسببُ في تغيّرِ شكلِ الخطِ الساحليّ وهي من بينِ اهتماماتِ مهندسي الساحلِ . إنّ من الصعبِ التنبؤَ بالأمواجِ وتأثيراتها ، خاصّةً عندما تكونُ الأمواجُ عاليةً وما يترتّبُ على ذلكَ من عواقبَ مؤثّرةٍ للغايةِ . وقد تم احراز تقدم هام في فهم مسارات الأمواجِ ونموها وانتشارِها في أعماقِ المحيطاتِ ، لكنّ العديدَ منَ القضايا الحاسمةِ في هذه العمليةِ لا تزالُ مجهولةً . ويزدادُ الأمرُ شيوعا عندما تدخلُ الأمواجُ الى المياهِ الضحلةِ

بالقربِ من السواحلِ , حيثُ تتأثرُ بشدّةٍ وتساعدُ على توجيهِ التياراتِ القويّةِ ، اذ تخضـعُ لتـأثيراتِ الـدورانِ فـي العمـقِ المتنـاقصِ ، فـي حـين أنّ بعـضَ تـأثيراتِ الموجـةِ والحركـةِ الحاليـةِ بطيئـةٌ نسـبيا ، مثـل إعـادةِ تشـكيل خـط السـاحلِ ، فـإنّ الـبعضَ الآخـرَ يكـونُ مفاجئـا وكارثيـا مثـل موجـاتِ المـدّ (التسـونامي) . إنّ خـرابَ الممتلكـاتِ والحيـاةِ التـي تتبـع التسـونامي غالبـا ما يكونُ أثرها مدمّرا . والآن ، فإنّ فهمَ كيفية تولُّد وكُبُر موجات المدّ والجَزرِ قد وصل إلى مستوىً يسمحُ بتتبّعِ هذه الموجاتِ وتحذيرِ السكانِ مبكّرا من مسـاراتها . ويتطلّـبُ التنبّؤُ بالأضـرارِ فهمَ الأمـواجِ فـي أضـخمِ سـعةٍ لهـا ، وما زالت هذه مشكلة تحدٍّ مفتوحةً .

ديناميكا السوائل الجيوفيزيائية Geophysical fluid dynamics

إنّ التنبؤَ الدقيق للطقسِ هو مصدرُ قلقٍ يوميّ مع وجودِ تداعياتٍ هائلةٍ لمعظـمِ الأنشـطةِ البشـريةِ ، والآثـار الاقتصـاديّة الهائلـة للغايـةِ التـي لا يمكـن حسابها . وهذا هو عـالم " الأرصـاد الجويـة " الـذي لطالمـا طرحَ بعضـا مـن أكثرِ المشـاكلِ الميكانيكيةِ سلاسـةً وصـعوبةً . وتلعبُ المحيطـاتُ دورا رئيسيا في هذه العمليةِ ، إذ أصبح (النينو – أي الطفل) اسما مألوفا . إنّ ميكانيكا السوائل وما يصاحبها من نقل حراريّ في المحيط هما مجال رسّام المحيطاتِ الطبيعيّ , وبالتالي فإنّ نظام السوائل وأجواء المحيط يقترنُ بـالطقسِ واتجاهه البعيد المدى – المنـاخ . وتتّسمُ الميكانيكا السائلة لهذه العمليات بالعديد من الصـفاتِ المشـتركةِ ، وغالبـا ماتُسـمّى هـذه الحقـولُ وعمليـاتُ السـوائل ذاتُ الصـلةِ فـي علـومِ الأرضِ بــ "ديناميكـا السـوائل الجيوفيزيائيـة " . وتتطلـبُ

المجالات ذات الصلة بميكانيكا السوائلِ في النجومِ والكواكبِ الغازيةِ العملاقةِ وفي قضايا ديناميكية الفيزياء الفلكية الأخرى , وفي ميكانيكا السوائل الداخلية للأرضِ التي تشكلُ حركةَ توزيعِ وانجرافِ القاراتِ والنشاط البركاني وتوليد المجال المغناطيسي لكوكبنا عبرَ الحركات الديناميكية للحديد الداخلي المنصهرِ . إنّ عملياتٍ مثل تكسُّر أمواج الرياح في المحيط والبحيرات يسبّبُ ظهور فقاعاتِ الغاز من الغلاف الجوي لتختلطَ بالطبقاتِ السطحيةِ عند دخول الغازِ كمركبٍ في الماء . وهذه العملياتُ حيويةٌ ، فعلى سبيل المثالِ يتمُّ تحديد مستوياتِ الأوكسجين ، وبالتالي الإنتاجية البيولوجية للبحار والبحيرات من خلالِ هذا التبادلِ للغازِ بين الغلافِ الجويّ والمياه السطحية ، وعلى نفس المنوالِ ، تتأثرُ مستويات الغازاتِ في الغلاف الجويّ بشدةٍ من نقلها الى المحيط ، والذي يتمتّعُ بقدرةٍ هائلةٍ على امتصاصها . وبهذه الطريقةِ يلعبُ نقلُ الغازِ دورا مهما في النقاشِ المهمِ عن ظاهرةِ الاحتباسِ الحراريّ .

ميكانيكا السوائل البيئية Environmental fluid mechanics

إنّ فهم عملياتِ السوائلِ هو المفتاحُ لطائفةٍ واسعةٍ من الأسئلةِ البيئيةِ . وهنا يهتمُّ المرءُ بتحديدِ مواقعِ محطاتِ الطاقةِ والمنشآتِ الأخرى التي تشكّلُ مصادرَ للموادِ الكيمياويةِ السامة أو التي تتطلبُ تدفقاتٍ كبيرةً من المياه للتبريد وأغراضَ أخرى ، ومنبع البحيرة أو النهر الذي قد يندرج ضمن العمليةِ . وتشملُ الإهتماماتُ الأخرى الحمايةَ من تسرُّبِ الملوّثاتِ السائلةِ أو انبعاثاتها من الهواء أو التنبّؤ بها . غالبا ما تستخدم المناطق الساحلية

الحساسة ومصبات الأنهار " ايكولوجيا " بكثافة ، والتنبّؤ بالتدفقات في هذه الأنظمة أمر بالغُ الأهميةِ للمخططينَ المعنيينَ بتجنب تلوثها . وتمثّلُ المياه الجوفية وحركتها وجودتها قضايا رئيسية في الصحة العامة . وتُثيرُ الآثارُ السطحيةُ للبراكينِ قضايا بالغةِ الصعوبةِ يتوجّبُ فهمها . هذه المشاكلُ والعديدُ من المشاكلِ الأخرى لميكانيكا السوائلِ البيئيةِ جديدةٌ ومعقدةٌ ، وغالبا ما تكونُ غير مفهومةٍ وغير مدروسةٍ بشكلٍ كافٍ . فهي أساسيةٌ للتخطيطِ لمجتمعٍ معقدٍ , وتوقّع العواقبِ والاستعدادِ للكوارثِ الطبيعيةِ والبشريةِ التي تمرُّ بنا باستمرارٍ .

ردّ فعلِ التدفقاتِ والإحتراقِ Reacting flows and combustion

يعمل احتراق الوقود الحفري (أي المستخرج بحفر الأرض) على تزويد معظم الطائرات والسفن ومحركات السيارات بالكثير من الطاقة الكهربائيةِ والتدفئةِ المنزليةِ والصناعيةِ . إنّ تحسين عمليات الإحتراق هذه تقلّلُ من استهلاكِ الوقودِ وتوليدِ الملوّثاتِ . وقد ساهمت بعضُ الأمثلةِ البارزةِ في بحث ميكانيكا السائلِ بتحقيقِ هذه الغاية بفائدةٍ اقتصاديةٍ هائلةٍ . على سبيل المثال ، وُجِدَ أنّ نقل الدوامة الى الهواء في المحركات النفاثة أثناء الإحتراق أدّى الى تحسين الاقتصاد في الوقود بشكل حقيقي . وقد وجد هذا الابتكار طريقه الى تصميمِ المواقد الزيتية الجديدة وذات الكفاية العاليةِ للمنازلِ ، مما زاد في الفائدة الاقتصاديةِ الى حدّ كبير . وهناك العديد من الأمثلةِ الأخرى على تصميمِ محرّكٍ مبتكرٍ مبنيّةٌ على فهمِ ميكانيكا السوائلِ التي تقومُ عليها كابينةُ المحرّكِ . ينطوي بحث الاحتراق على قياسات تجريبية

فـي بيئـة تحـاول أن تـذوّب الأدوات , وتتطلـب خبـرة فـي التفاعـل الكيميـائي وإطـلاق الحـرارة وتـدفقات الجسيمات ذات الكثافـة المتغيـرة فالتحـديات العلميـة والـهندسية هائلة .

عدمُ استقرارِ السائلِ Fluid instability

عندما تحدثُ تغييراتٍ صغيرةً ذات تأثيراتٍ كبيرةً فيمكنُ أن يكونَ هذا الظرفُ سعيدا أو كارثيا . وهذا هو الحال مع حركات السوائل التي تميلُ الى أن تكـونَ حساسـةً للغايـةِ ومتجاوبـة ، وأحيانـا الـى تعـديلاتٍ دقيقـةٍ لمعـدلاتِ التدفقِ والأشكالِ الحدوديـةِ ودرجـاتِ الحـرارةِ الحدوديـة , وفـي الحقيقـة لجميـعِ شـروطِ الحركـةِ تقريبـا . وهـذه الحساسية سببها ميـل حـالاتِ الحركـة السـائلةِ لتكـون غيـر مسـتقرّةٍ . مـن وجهـةِ نظـرٍ علميـةٍ , فانّهـا تـوفرُ فرصـةً لضـبطِ التصاميمِ والعملياتِ الصناعيّةِ لتحقيقِ نتيجةٍ مرغوبةٍ مع تعديلاتٍ صغيرةٍ . وهكذا علـى سبيل المثالِ , عادةً ما تسحبُ العملياتُ التـي تنتجُ صفائحَ من المواد (معادن , أو بلاستك , أو غيرها من المواد) الألـواحَ بسرعة من حالـة الانصهار وجودة السطحِ للألواحِ والأفلام المنتجةِ ، أو المعدّلاتِ التي يمكن انتاجهـا بهـا تتـأثرُ بعـدم اسـتقرار الصـفائح السـائلة قبـل حـدوث التصـلّب . وبالمثلِ فإنّ صناعةَ البلّورِ، مثل السليكون المستخدم فـي أجهزة الكمبيـوتر ومعظـم المعـدات الألكترونيـة الحديثـة ، تتحقـقُ مـن خـلالِ بلـورةٍ مـن سـائلٍ متحـركٍ ، وعـدمُ الاسـتقرارِ فـي السـوائلِ يـؤثّرُ فـي معـدلاتِ الانتـاجِ ونوعيـةِ المُنتَجِ . مع كلّ التشعباتِ المرتبطةِ بالانتقال ، فإنّ المشكلة العامـة للانتقال من الصـفيحة الـى الحركـة المضـطربة هـي مشكلة طويلـة الأمد لعدم استقرار

السوائل . ويمكن أن يكون لعدم ثبات حركة السائلِ تأثيراتٍ ايجابيةٍ أو سلبيةٍ اعتمادا على ما إذا كانت نتيجة عدم الاستقرار تنتج أو تدمّر خاصية مرغوبة للتدفق . وهكذا , على سبيل المثال قد يرغب المرءُ في تجنّب أو تأخير الانتقال الى الاضطرابات لتقليل مقاومة المركبة , أو قد يرغب المرءُ في الترويج لها لتعزيز الخلط في عملياتِ الاحتراق في المحركات ، في حين أنّ الفوائد الاقتصادية لفهم ومكافحة عدم استقرار السوائل معروفة جيدا في الصناعات المذكورة انفا ، فإنّ الوعي بإمكاناتها لتحسين جودة الانتاج ومعدلاته غير موجود فعليا في الصناعات الأخرى . إنّ ادخالَ هذا المجال من علم السائل الميكانيكي الى العديدِ من القطاعاتِ الصناعية التي لا يعرف عنها يمكن أن يكون له توابع قيّمة . وفي الفقرة القادمة التي ستطرحُ موضوعا آخرَ سيُعثَرُ على عديد الأمثلة المتعلقة بهذه الفقرة .

المغنطيسية الديناميكية Magnetothyrodynamics

تُعدُّ المغناطيسية الديناميكية ،التي تتعاملُ مع التأثيرات المجتمعةِ للقوةِ الميكانيكية والكهرومغناطيسية ، مثيرةً ولكنّها في الوقت الراهنِ منطقة فعّالة وبشكلٍ معتدلٍ للبحث والتطويرِ لم يتم استغلالها بكامل امكاناتها تقريبا . هذا المستوى المنخفض من النشاط الحالي أمرٌ مؤسفٌ بالنظر الى إمكان تعديلِ مجموعةٍ كبيرةٍ ومتنوعةٍ من ظواهر التدفق بطريقة دراماتيكية من خلال التطبيق المُتَحكَّمِ فيه للقوى الكهرومغناطيسية . وتشمل الأمثلة المعروفة جيدا الترطيب والتعديل وحتى اخماد الاضطراب في مجموعة متنوعة من التدفقات ، وكذلك استخدام النمامات الكهرومغناطيسية في حمام

من المعدِ المنصهرِ ، كما في صب الفولاذِ والذي يوفرُ الطريقةَ الوحيدةَ غير التدخليّة (أي لا تتطلبُ ادخالَ حمام الجهاز ، الذي من المرجح أن يذوبَ) المتاحةَ حاليا للحفاظِ على محتوياتِ الحمامِ المختلطةِ جيّدا . في الوقت الحالي ، يبدو أنّ تطبيق المغناطيسية الديناميكية مبشّرا في صناعةِ معالجة الموادِ , حيث إنّه على سبيل المثال يمكن استخدام حقل مغناطيسي لتعديل أنماط التدفق التي تحدث بشكل طبيعي في انتاج بلورات أحادية من أشباه الموصلاتِ ، ومن ثَمَّ ضمان أن تركيبة المنتجِ (التي تحتوي على كميات ضئيلة من العناصر الأخرى لجعلها نشطة كهربائيا) موحّدة .

الحمل الحراري التعويمي Buoyant convection

وتنشأُ أنماطُ التدفقِ الطبيعيةِ المشارِ اليها في أعلاه ، لأنّ المادة المتدفقة من مكانٍ الى آخرَ أخف (تميلُ الى الإرتفاع) أو أثقل (تميل الى الغرق) ؛ لأنّ درجة الحرارةِ وتكوينها ليس موحّدا . ويُسمّى التدفق الناتجُ عن هذه التأثيراتِ بالحمل الحراري التعويمي ، وهو يحدثُ في العديدِ من التدفقاتِ البيئيةِ . تشملُ الأمثلةُ ، الحمل في حرائقِ الغرفِ في أنظمةِ تخزينِ الطاقةِ ، وفي النظمِ الجويةِ والمحيطيةِ في ضوءِ تكرارِ حدوثها إذ إنّ هذه التدفقات تحظى باهتمامٍ خاصٍ . يمكن ايضا استخدام القوى التي تحركُ التدفقاتِ الحملية ؛ لاستخدامها كضوابط لتحسينِ تشغيل العمليات المختلفةِ, والتي تشملُ على سبيلِ المثالِ نموّ البلور أو ترسّب البخارِ الكيميائيّ ، واعتمادا على التطبيق إما لتحسينِ ، أو ايقافِ عدم ثبات التدفقِ داخلَ النظامِ .

ديناميكيات الغاز قليل الكثافة Rarefied gas dynamics

إنّ انتاجَ موادٍ وموادٍ هيكليةٍ الية الأداء (مثل البلاستك المقوّى بالألياف الكربونية المستخدمِ في نوادي الغولف ومضارب التنس وإطاراتِ الدراجاتِ) وينطوي على ظواهر معقدةٍ حيث لا يمكنُ تجاهل الطبيعة الجزيئية المنفصلة للغاز ، وخصوصا في تصنيع الأجهزة الكهروميكانيكية الدقيقة . هذه الظواهر معقّدة ؛ لأنّ حالات الغاز شديدة للغاية وتتغيّرُ بسرعة لدرجة أنّ الحالة الداخليّة للغاز لا تلحق بمحيطها ، ونتيجةً لأهميةِ هذه الظواهرِ في هذا الانتاجِ ، ظهر اهتمامٌ جديد في ميدان ديناميكا الغاز النادر الذي ارتبط تقليديا بطيران الطائرات والصواريخِ على ارتفاعاتٍ شاهقةٍ . وفي الحقيقة ، يتطلّبُ تصميمُ الآلات الصغيرةِ ذات الأبعادِ لطبقةِ الميكرون تنفيذَ وتعديلَ تقنيات حوسبة ديناميكية للحوسبة الغازية التي تم تطويرها في الأصلِ لتطبيقٍ مختلفٍ تماما .

الديناميكا الجزيئية Molecular dynamics

إنّ العديدَ من التقنيّاتِ الحسابيةِ المشارِ اليها في أعلاه تهدفُ الى بناءِ حلولٍ لمعادلاتٍ دقيقةٍ ، الى حدٍّ ما ، تصفُ تدفقَ الغازاتِ في حالات قلةِ كثافتها . وفي السنواتِ الأخيرةِ , تمّ تحقيقُ تقدّمٍ مهم أو كبير باستخدامِ طريقةِ الديناميكياتِ الجزيئيةِ ، والتي تنطبقُ على السوائلِ زيادة على الغازاتِ. هنا يتمُّ تحديدُ سلوك السائلِ في ظلّ ظروفٍ معيّنةٍ من خلالِ حوسبةِ جميعِ الجزيئاتِ المتفاعلةِ فرديا في وقتٍ واحدٍ . وهذا ممكن بالطبعِ على أكبرِ الحواسيبِ . وهكذا تم الحصولُ على رؤى مهمةٍ في حالاتٍ تكونُ فيها أبعادُ

التدفقِ بنظامِ الأبعادِ الجزيئيةِ ، فعلى سبيل المثال ، تمزّق غشاء سائل رقيقٍ كما يحدثُ عندما تقتربُ فقاعةُ غازٍ من واجهةِ بخارٍ سائلٍ ، أو انتشار ديناميكية الحافة المتحركة لسقوطِ سائلٍ عبر طبقةٍ سائلةٍ . توفرُ هذه الحسابات معلوماتٍ مفيدةً للغايةِ فيما يخص النقطة التي يجبُ أن نتخلّى فيها عن الصورةِ المعتادةِ للسائلِ كمتسلسلٍ سلس ، وينبغي أن نعدّهُ مجموعةً من الجزيئاتِ بدلا من ذلك . لقد لاحظنا أنّ السائلَ يلتصقُ عادةً بأي سطحٍ صلبٍ . وهذا تقريبٌ ممتاز طالما أنّ السائلَ يتدفقُ على السطحِ مثلَ الرملِ فوق كرة الشاطئ ، وهذا طالما أنّ الأبعادَ الجزيئية صغيرة بالنسبة لأبعادِ السطحِ . ومع ذلك ، عندما يصبحُ الاثنانِ قابلينِ للمقارنةِ ، مثل تدفق الرمل على رأس دبّوس فإنّ الحالة البسيطةَ على السطح لن تعملَ ، وعليه ينبغي تطبيقَ شروطٍ أكثرَ تطوّرا والديناميكا الجزيئية يمكن أن تساعدَ في تحديدِ ما هؤلاء . وعلى نفس الشاكلةِ ، توفرُ الديناميكا الجزيئية فرصةً لدراسةِ التدفقاتِ التي تتطلبُ اثنينِ من السوائلِ التي تختلطُ قليلا على المستوى الجزيئي ، بحيثُ لا يتمُّ فصلها حيث تقابلها واجهة حادة ولكنّها تنتشرُ بعضها ببعض أثناءَ تدفقها . ومثل هذه الحالة تحدثُ في العديدِ من العملياتِ الكيميائيةِ الصناعيةِ وفي المطبخِ . تخيّل مزج الدبس بالقشطة . وتسمحُ الديناميكا الجزيئيةُ لنا أيضا بالتحقيقِ في الظواهرِ التي تتضمنُ واجهةً بين سائلينِ ، أحدهما يتأثرُ بشدّةٍ بالشوائبِ السطحيةِ ، والآخرُ بالعملياتِ الصناعيةِ غالبا . كلُّ هذه التدفقاتِ معقدة للغاية ولا يمكنُ حسابها من المعادلاتِ , وهذا النوعُ من المحاكاة الجزيئيةِ هو الطريقةُ الوحيدةُ لمعرفةِ ما يحدثُ .

تدفقات متعددة الأطوار والجسيمات

Multiphase and particulate flows

تسمّى تلك التدفقات التي تتضمنُ اثنينِ (أو أكثر) من السوائل التي لا تمزج , أو قد تُخلطُ قليلا بـ "التدفقات الثنائية" أو متعدّدةِ المراحلِ . وهناك مادة أخرى ذاتُ مرحلتينِ تلعبُ دورا رئيسيا في مجموعةٍ متنوعةٍ من العمليات الطبيعية والصناعيةِ وهي تعليقُ الجسيماتِ الصلبةِ في السائلِ . وتتضمنُ الأمثلةُ على ذلك : عجائن الفحمِ ، والمعلقات البيولوجية , والوقود المركّب عالي الطاقة من أجلِ الدفعِ الفضائي والمعلقات التوليفية لصنعِ الأفلامِ وكذلك الطلاءات للتطبيقات الألكترونية ، فضلا عن السوائلِ المحتوية على جسيماتٍ معلقةٍ يمكنُ تغييرها بتطبيقِ مجالٍ كهربائي خارجيّ في تدفقات الجسيمات . ويتمنى المرءُ أن يتنبأ بالسلوك الجمعي للمعلقات من معرفةِ البنية الدقيقةِ ، أو بعكس ذلك ببناء معلقات لها سلوك تدقيق محدد (يسمّى الريولوجيا). وهذا يتطلبُ العديدَ من العواملِ التي تسهمُ في انسيابية هذه الأنظمة , أي بمعنى تأثير جزيء واحد عى جزيء مجاور من خلال حركة السائل المحيط به , والقوى الناتجة من قصف الجزيئات المحيطة، وقوى السطحِ المسلطة على الجزيئات ... الخ ، بحيث يمكنُ حسابها بشكلٍ صحيحٍ . علاوةً على ذلك ، تميلُ الجسيماتُ للتحركِ من مناطقَ تركيزِ الجسيماتِ الكبيرةِ الى مناطقَ منخفضة , ولكن أيضا من المناطق التي تتحركُ فيها طبقات السائل بسرعة بالنسبة بعض لبعض الى مناطق لا يكون فيها هذا الأمرُ صحيحا . وقد تبيّنَ أنّ هذا الأمرَ يلعبُ دورا رئيسا في هذه التدفقاتِ ؛ لأنّ التدفقَ يتسببُ في تغيرِ تركيزِ الجزيء أو الجسيمِ ،

وهذا يغيرُ خصائصَ السائلِ مما يتسببُ في تغيراتٍ ملحوظةٍ في التدفقِ . وهذا النوعُ من التفاعلِ يجعلُ حسابَ التدفقِ صعبا للغايةِ . وقد أتاحت التقنيات التجريبية المطورةُ حديثا ، فضلا عن المحاكاة العددية الأكثرُ تطوّرا ، رؤيةً جديدةً حول كيفية اعادة ترتيب الجزيئات المعلقة لنفسها في ظروف التدفقِ لإنتاجِ الظواهرِ المرصودةِ .

السوائل المعقدة وغير النيوتونية

Complex and non–Newtonia fluids

(نسبة الى العالم نيوتن)

كل النقاش أعلاه ، باستثناء التدفقات متعددة المراحل تتعلقُ بالمشاكلِ التي تتطلب الغازاتِ أو السوائلِ التي تحتوي على جزيئاتٍ صغيرةٍ ، مثل الماء ، حيث تكوّنُ مجموعة خصائص السائل (مثل الكثافة واللزوجة) مستقلةً عن حالاتِ التدفقِ . وهناك فرع آخر كبير ومهم من ميكانيكا السوائل يهتم بالسوائلِ التي يُشارُ اليها في كثيرٍ من الأحيانِ على أنها "معقّدةٌ", اعترافا بحقيقة أنّ هذه المواد تحملُ سلوكا أكثرُ تعقيدا . اذ يمكنُ العثورُ على أمثلة على السوائل المعقدة في أي مطبخ أو حمام أو غرفة ألعاب أو كراج ، وتشملُ بياض البيض وعجينة الكعك ومعجون سخي واضافات الزيت المسجّل والدّم والأغشية المخاطية والكثير الكثير غيرها . ومعظم السوائل تتكون من جزيئات كبيرة كليا أو تحتوي على جزيئات كبيرة تطفو فيها ، فضلا عن جسيماتٍ أو قطراتٍ . إنّ معظمَ الموادَ البلاستيكية في حالتها

السائلة تقع ضمن هذه الفئة . وغالبا ما يُطلق على هذا الفرع من ميكانيكا السوائل بـ "غير النيوتوني" لتمييزه من العمل التقليدي في سوائل الجزيئات الصغيرة (أو النيوتونية). على الرغمِ من أنّ هذا النوع من السوائل شائعٌ في الطبيعةِ ، وفي مجموعةٍ متنوعةٍ من التقنياتِ وبوصفه لسلف الحالة السائلة للعديد من الأنواع المهمة من المواد المتقدمة ، فإنّ فهمنا لسلوكها وقدرتنا على التنبؤ بحركاتها هي في مرحلة مبكرة جدا من التطوّر . وبشكلٍ عام فإنّ الفرق بين السوائلِ المعقدة والمكون الفريد ، سوائل نيوتن ، هو أنّ الصيغة الرياضية تكون معروفة في الحالة الأخيرة، ولكنّ العمليات الفيزيائية المجهرية تكون معقدة وغير مفهومة في كثير من الأحيان، وخصوصا في حالة التدفق المضطرب للسوائل المعقدة وحتى المعادلات الحاكمة المناسبة والحالات عند الحدود لا تزالُ غير مفهومةٍ جيدا (هل تلتصق هذه السوائل بالمواد الصلبة، أو أنّها أكثر تعقيدا ؟) . لمضاعفة هذه الصعوبة , فمن العسيرِ للغاية حل المعادلات النموذجية المقترحة ، والطرائق المعيارية لديناميكا السوائل الحسابية لا تعمل بشكل عام لهذه الفئة من المسائل .

معالجة متقدمة للمواد Advanced materials processing

هذه الندرة في الفهم تستخلصُ عقوبةً اقتصاديةً هائلةً . ويتمُّ تنفيذ خطوات الإنتاج والمعالجة المؤدية الى منتج نهائي باستعمال مواد متقدمة غالبا عن طريق تشوه وتدفق في الحالة السائلة (تمدد ، وعصر) . على الرغمِ من أنّ الإجراءاتِ التجريبية قد استخدمت تاريخيا في تصميمِ العملياتِ الجديدةِ ، فإنّ المنافسة الاقتصادية المستقبلية زيادة على متطلبات تحسين

جودةِ المنتجِ والاستنساخِ والدقّةِ كلّها تتطلّبُ تطوير اساسٍ استنتاجيّ لتصميمِ ومراقبةِ العملياتِ . على سبيل المثالِ ، فإنّ عدمَ القدرةِ على التنبؤ بسلوكِ سوائلِ – البوليمر – في عملية التشكيل بالانبثاق يحولُ دونَ التنبؤ بالشكل النهائيّ للمنتجِ الصّلبِ ... وهكذا يجبُ أن يتمّ تصميمُ كل قالبٍ بواسطةِ عملية تجريبية ، فأي عملية مخطوءة ستكلف عشرات الى مئات آلاف الدولارات ، ووقت كثير لكلّ جزءٍ جديد ، والحدّ من قدرتنا على انتاج أجزاء دقيقة. وبما أنّ الآلاف من عمليات ادخال القولبة يتم تطويرها كل عام ، فإنّ تكلفة جهلنا تصل الى مئات الملايين من الدولارات لهذا التطبيق التكنولوجي . وغالبا ما تختلف الظواهر النوعية التي لوحظت في تجارب التدفق غير النيوتوني بشكل كبير عن التوقعات المستندة الى ملاحظات مشابهة لسوائل الجزيئات الصغيرة (على سبيل المثال ، فإنّ اصبعا مغموسا في العديد من هذه السوائل سوف ينسجُ خيطا عند سحبه وتكون القوى المعنية مختلفة تماما عن تلك الناتجة عند فرك السائلِ ما بين راحتي اليدين).

هناك حاجة لتطوير تقنيات تجريبية جديدة لتوفير توصيف أكثر شمولا للسلوك الإنسيابي للسوائل المعقدة , ولتعريف الحالة المجهرية لسائل غير نيوتوني يمر بالتدفق ، لأنّ هذا يحدّد خصائص أي منتج حاصل عن عملية التدفق .

الفوائد الإقتصادية لمعالجة المواد المتقدمة

إذا نجحنا في الإجابة عن هذه الأسئلة الأساسية ، فإنّ المكاسبَ المحتملة في مجالِ معالجةِ المواد المتقدمة تكونُ كثيرةً . (١) سوف تشكلُ أساسا لتصميم مساعد الحاسوب في نُظُمِ المعالجة للأجزاء المصنّعة ؛ للتخلص من استهلاك الوقت وتطوير التجارب المكلفة . (٢) قد تكونُ الزيادةُ الكبيرةُ في معدلاتِ انتاجِ الألیافِ ممكنةً . إنّ عدم ثبات حجم التدفق (يؤدي الى عدم الثبات والاتساق في الألياف) , والإنهيار الواضح في الحالاتِ الحدوديةِ ، وما الى ذلك. تشكّلُ حاليا القيودَ الرئيسيةَ لكلٍّ من معدّلاتِ وجودةِ الإنتاجِ ، ولكن لا أحدَ يعرفُ كيفية تخفيض أو ازالةِ عدم الاستقرارِ، أو حتّى فيما اذا كان ذلك ممكنا . (٣) إحدى السمات الحاسمة للسوائل المعقّدة هي أنّ حالتها المجهرية ثم صفاتها المجهرية يمكن أن تتغيّر عندما تخضع لتدفق ما. وهكذا، فهناك امكانية تطوير منتجاتٍ من سائلٍ معقدٍ له خصائص يمكن تحديدها سلفا أو تحسينها عن طريق تعديل حالات عملية التدفق ، على سبيل المثال يمكن للبوليميرات أن تسفرَ عن وزن خفيف جدا وموصلات كهربائية قابلة للتشكيل ، ولكن هذا يحصل فقط اذا فهمنا كيفية معالجتها بأشكال ممتدة وموجهة للغاية . وعلى الرغم من أنّ المردودَ الإقتصاديّ المحتمل ضخمٌ من حيث المواد الخفيفة الوزن ذات القوة العالية ، والقدرة العالية على التوصيل وما الى ذلك ، فإنّ التكنولوجيا اليوم تجريبية ومحدودة الى حد كبير للغاية . (٤) وأخيرا ، فإنّ الطريق الرئيسيّ الى مواد جديدة ذات خصائص محددة , والتي تكونُ عادةً أقلُّ كلفةً بكثير من التركيب الكيميائي ، هو عن طريق المزج الميكانيكي لمكونين (أو أكثر) مائع

أو سائل أو صلب . وبالنظرِ الى مجموعةٍ من المواد المكونة لها ، وخصائصها فمن الواضحِ أنّ هناكَ حافزا اقتصاديا كبيرا لتطويرِ القدرةِ على التنبؤ بنتائجِ عملية المزجِ , وكذلك التنبؤ بكيفية تعديل العملية لتحقيق الشكل المطلوب . الى جانب تطبيقات السوائل المعقدة كأسلاف للمواد الجديدة او المنتجات القائمة على المواد ، هناك العديد من التطبيقات التكنولوجية الإضافية للتعليق والمستحلبات وتدفقات السوائل متعددة الأطوار . ومن بين هذه العوامل ، يمكنُ ذكر التدفقات متعددة الأطوار في مسوحات النفط , أو في عمليات ترشيح المياه الجوفية . وظواهر التجويف التي تؤدي الى حصول الضجيج والى العديد من الاخفاقات الهيكلية المعروفة والمكلفة والتي تتراوح من الدفع على السفنِ الى سد قنوات المجاري , بسبب تلف التجويف . وفي الأغشية الرقيقة اللزجة لتعطيل التشحيم في الآلات الهيدروجينية . واستخدام سوائل متعدّدة الأطوارِ في عملياتِ نقل الحرارة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بعمليات التبريد في محطات الطاقة النووية وعمليات نقل خطوط الأنابيبِ التي تتطلّبُ ملاطاتٍ رقيقة القوام .وما يزال هناك ميزة واحدة مشتركة في بعض هذه التطبيقات وهي خصائص التدفق المجهرية الشاملة ، ولكن في التطبيقات الأخرى من المهم أن نفهم تفاصيل الحركة في الميكروسكَيل ، فعلى سبيل المثال ، في الخزان النفطي من المهم أن نكون قادرين على التنبؤ بتكاليف الضخ الإجمالية لأي عملية انتعاش ثانوي أو ثلاثي . ولكن السيطرة على شكل الحدود التي تفصل النفط والماء تُعدُّ حاسمةً أيضا لإنتاج النفط وليس الماء . وكمثال آخر ، فإنّ تفاصيل المناطق البيئية في نقل حرارة غليان متعددة الأطوار تحدد النجاح أو الفشل

عن طريق تطوير النقاط الساخنة المحلية بسبب "جفاف" الحدود الصلبة المسخّنة .

ميكانيكا الوقود الحيوي Bio–fluid mechanics

وأخيرا ، يوفّر تقاطع ميكانيكا السوائل وعلم الأحياء في مجال ميكانيكا الوقود الحيوي الفرصة للعديد من التطبيقات المهمة ، سواء في فهم أفضل للعمليات البيولوجية الطبيعية (على سبيل المثال ، الخلية والأنسجة والغضروف وحتى نمو العظام استجابة لضغوط السوائل ، وعمليات النقل , وما الى ذلك) ، ولكن في تطوير الإجراءات الطبية العلاجية أيضا. من بين قائمة طويلة من أبحاث الوقود الحيوي ذات الآثار الطبية الواضحة ، قد نستشهد بما يأتي : (أ) دور ميكانيكا السوائل في نمو أنسجة تصلب الشرايين في الجهاز الدوري وفهم آليات تمركز أضرار تصلب الشرايين بناءً على استجابة النظام البيولوجي على المستوى الخلوي لضغط السائل . (ب) وظيفة القلب وصمام القلب ، وتقييم تصميم وأداء البدائل الإصطناعية (صمامات القلب الإصطناعية) ، (ج) طرائق قياس تدفق الأوعية الدموية القلبية : على الرغم من أنّ الكثير من التطور الحالي موجه نحو تطبيقات الأبحاث ، فمن الواضح أنّ هناك دفعة طبية رئيسية في تحسّن تشخيص مرض الأوعية الدموية وفي تصميم تقييم التدخلات العلاجية . (د) التدفقات الرئوية ... إنّ مشاكل تفاعل تركيب السوائل مثيرة للإهتمام في فهم الظواهر الفيزيولوجية مثل " الصفير" ... ربما يؤدي الى أساليب علاج أفضل لحالات الربو وغيرها , وكذلك دورها في شكل السائل ، وخفض

التوتر السطحي ، وتدفق الهواء في أمراض مثل " متلازمة موت الرضّع المفاجئ " أو " الموت السريري " . من الواضح أنّ هذا حقل في المراحل الأولى من التأثير . انّ المسائل – غالبا – أكثر مجهرية على مستوى الخلايا أو الميكروسكوبات ، أكثر مما تتميز به المناطق الأخرى من ابحاث السوائل ، وكثيرا ما تكون السوائل ، بغض النظر عن الماء والهواء ، أكثرُ تعقيدا .